روايات

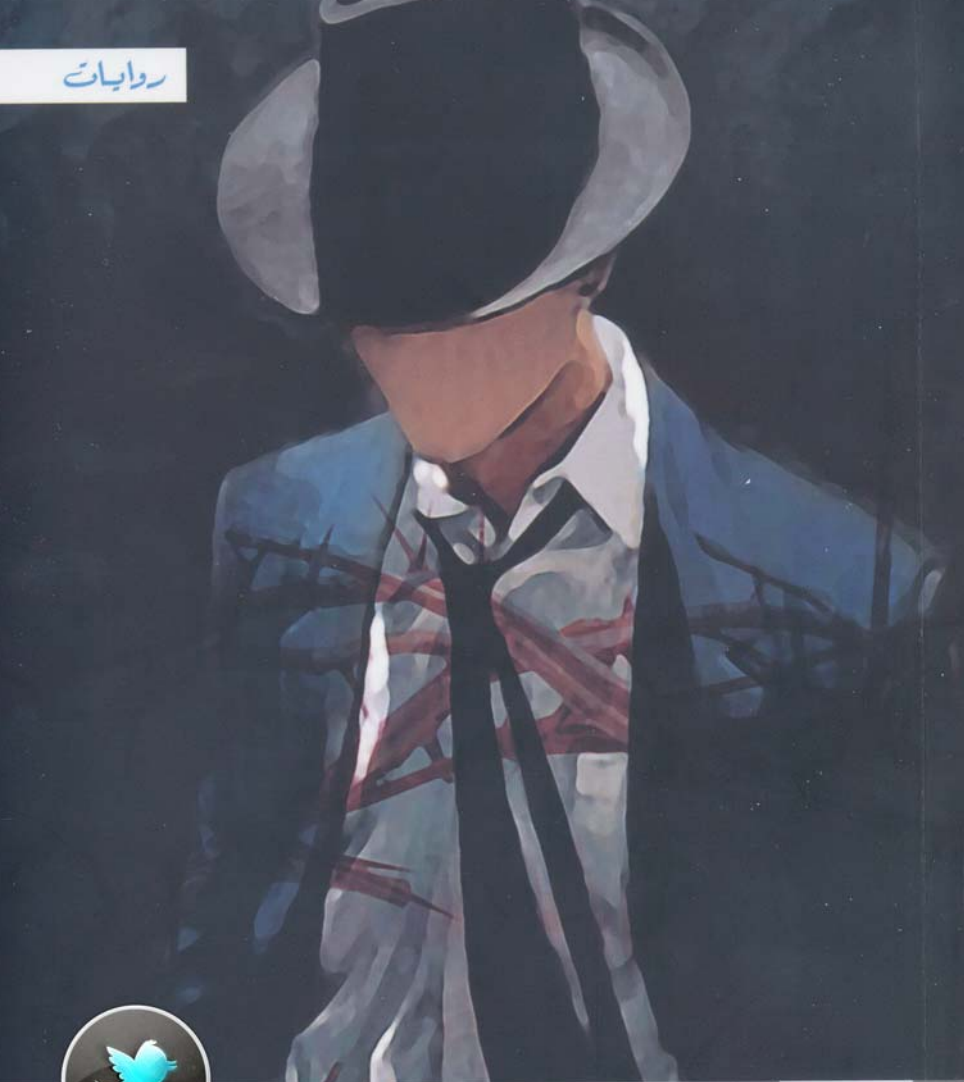

@ketab_n
Follow Me
4.6.2016

الدم الحكيم

فلانيري أوكونور

ترجمة: عبد المنعم العبيد

عالم الأدب
للترجمة والنشر

روايات

الدم الحكيم

فلانيري أوكونور

ترجمة: عبد المنعم العبيد

Twitter: @ketab_n

بسم الله الرحمن الرحيم

Twitter: @ketab_n

الكتاب: الدم الحكيم
المؤلف: فلانيري أوكونور
المترجم: عبد المنعم العبيد

عدد الصفحات: ٢٥٦ صفحة
سنة الطباعة: ٢٠١٦م
بلد الطباعة: بيروت/ لبنان
الطبعة: الأولى

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة

عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع
مؤسسة عربية تعتني بنشر النصوص المترجمة والعربية
في مجالات الثقافة العامة والأدب والعلوم الإنسانية

هاتف: 00201099938159
بريد إلكتروني: info@aalamaladab.com
القاهرة - جمهورية مصر العربية

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو أي جزء منه أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الحاسب أو نسخه على أسطوانات ليزرية إلا بموافقة خطية من الناشر.

Title: Wise Blood
Editor: Flannery O'connor
Translator: Abdul Monem Obaied

Pages: 256
Year: 2016
Printed in: Beirut, Lebanon
Edition: 1

Exclusive rights by ©

الفهرسة أثناء النشر - إعداد إدارة الشئون الفنية / دار الكتب المصرية

أوكونور/ فلانيري
الدم الحكيم/ تأليف فلانيري أوكونور، ترجمة: عبد المنعم فاضل العبيد
القاهرة: عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع، ٢٠١٥
٢٥٦ ص، ١٤,٥×٢١,٥ سم
١- القصص الأمريكية. أ- العبيد، عبد المنعم فاضل (مترجم). ب- العنوان.
رقم الإيداع: ٢٠١٥/١٩٣٣٧

ISBN: 978-977-85194-0-2

لطلبات الشراء البريدية
الرجاء الاتصال على:
00201000754066
KUTUBKOM
Info@kutubkom.com

Twitter: @ketab_n

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكاتبة للإصدار الثاني من الرواية	٧
الفصل الأول	٩
الفصل الثاني	٣٣
الفصل الثالث	٤١
الفصل الرابع	٧٥
الفصل الخامس	٨٧
الفصل السادس	١١٣
الفصل السابع	١٢٩
الفصل الثامن	١٤١
الفصل التاسع	١٥٧
الفصل العاشر	١٧٧
الفصل الحادي عشر	١٨٣
الفصل الثاني عشر	٢٠١

Twitter: @ketab_n

الفصل الثالث عشر ٢١١
الفصل الرابع عشر ٢٢٣

Twitter: @ketab_n

مُقدِّمَةُ الكاتبةِ
للنُّسخةِ الثَّانيةِ من الكتابِ

وصلت رواية «**الدم الحكيم**» لعمر عشر سنوات، ومازالت علىٰ قيد الحياة. قدراتي النقدية تكفي لكي أقول ذلك، وأنا ممتنة أنَّه بإمكاني قول ذلك. لقد كتب هذا الكتاب باستمتاع، ولو كان بالإمكان، يجب أن يقرأ باستمتاع أيضًا. إنَّها رواية هزلية عن شخص مسيحي رغم إرادته، وهي بذلك، في غاية الجدية؛ إذ ينبغي لكل الروايات الهزلية الجيدة أن تكون مُتعلِّقة بقضايا الموت والحياة.

«**الدم الحكيم**»: كتبتها كاتبة ذات نظرية بريئة بشكل فطري، غير أنَّها كانت تحمل بعض الأفكار المسبقة. إنَّ الإيمان بالمسيح، الذي هو مسألة حياة أو موت **بالنسبة إلىٰ البعض**، كان حجر عثرة بالنسبة إلىٰ القُرَّاء الذين يفضلون التفكير بتلك المسألة علىٰ أنَّها ليست كبيرة العواقب. بالنسبة إلىٰ هؤلاء؛ فإنَّ نزاهة هايز موتس تكمن في محاولاته القوية لكي يتخلص من ذلك الشخص ذي الثياب الرثَّة، الذي يتنقل من شجرة إلىٰ أخرىٰ في مؤخرة عقله. **بالنسبة إلىٰ الكاتبة**؛ فإنَّ نزاهة هايز تكمن في عدم قدرته علىٰ فعل ذلك. هل تكمن

Twitter: @ketab_n

نزاهة الشخص في عدم قدرته علىٰ التخلص من شيء ما؟ أعتقد أنَّ ذلك يكون صحيحًا في معظم الأحيان؛ لأنَّ وجود الحرية لا يعني أنَّ الشخص سيفعل شيئًا ما، بل يعني وجود نوايا كثيرة متضاربة في الشخص نفسه. لا يُمكن أن يتصوَّر المرء الحرية ببساطة. إنَّها لغزٌ غامض، ولغزٌ لا يُمكن أن يطلب من رواية، حتىٰ لو كانت رواية هزلية؛ إلَّا أنَّها تعمق مفهومه.

(١٩٦٢م)

Twitter: @ketab_n

الفصل الأول

جلس **هايز موتس** باستقامة علىٰ مقعد القطار الأخضر الفخم، ينظر تارةً إلىٰ النافذة كما لو كان يريد أن يقفز منها، وتارةً إلىٰ آخر الممر باتجاه الطرف الآخر من العربة. كان القطار يُسابق مسرعًا بين رؤوس الأشجار، وكانت بعض الأشجار ساقطة علىٰ الأرض في بعض الأماكن بحيث أظهرت الشمس الشديدة الاحمرار الماثلة عند أبعد طرف من الغابة. وبالقرب كانت الحقول المحروثة تنحني وتختفي، وكانت بعض الخنازير البارزة من الأخاديد تبدو كأحجارٍ كبيرة منقَّطة.

قالت السيدة واللي بي هيتشكوك، والتي كانت تجلس مقابل موتس في ذلك القسم من العربة: (إنَّها تظنُّ أنَّ مثل هذا الوقت في العشيَّة هو أجمل وقت خلال اليوم). وسألته إن كان يظنُّ ذلك أيضًا؟!

كانت امرأة بدينةً، وكان للباسها ياقاتٌ وأطراف أكمامٍ زهرية اللون، وكانت تملك أرجلًا كشكل حبَّات الكمثرىٰ متدلِّيةً من حافة الكرسي، ولم تكن تصل إلىٰ الأرض.

نظر إليها لبرهةٍ، ودون أن يردَّ انحنىٰ إلىٰ الأمام وحدق إلىٰ

Twitter: @ketab_n

آخر العربة مرةً أخرىٰ. والسيدة التفتت؛ لترىٰ ما يوجد هناك، غير أنَّ كلَّ الذي رأته كان طفلًا يُحدِّق النظر بمَن حوله في أحد الأقسام، وأحد الحمَّالين يقوم بفتح خزانة الأغطية.

قالت وهي تلتفت باتجاهه مرةً أخرىٰ: «أتوقع أنَّك عائدٌ لبيتك!».

لم يبدُ لها أكبر من عشرين سنة، ولكن كان يملك قبعةً سوداء قاسيةً عريضة الحواف علىٰ حضنه عادةً ما يلبسها مُبشِّرٌ قروي كبير بالسن. كانت سترته زرقاء باهية، وكان لا يزال ملصقُ السعر مشبوكًا بكُمِّها.

لم يقم بالرد عليها، أو بصرف عينيه عمَّا كان ينظر إليه!

لقد كان الكيس الذي عند قدميه حقيبةً غليظةً من الصوف تابعةً للجيش، ولقد اتضح لها حينها أنَّه كان في الجيش، وأنَّه قد سُرِّح منه، وهو في طريقه لبيته. لقد أرادت أن تقترب كفايةً لترىٰ سعر السترة، ولكنَّها وجدت نفسها تنظر بتمعُّنٍ إلىٰ عينيه، محاولةً النظر داخلهما. كانت عيناه الغائرتان في محَاجِرِهِمَا بلون قشور الجوز، وكانت معالم عظام جمجمته تحت الجلد جليَّةً ولافتةً للنظر.

شعرت واللي بالضيق، وأطلقت العنان لانتباهها، وأمعنت النظر في بطاقة السعر. لقد كلَّفه سعر السترة (١١,٩٨ دولارًا)، وشعرت أنَّ ذلك قد صنَّفه بالنسبة إليها، نظرت إلىٰ وجهه مرةً أخرىٰ كما لو كانت محصَّنةً ضده الآن. كان له أنف كمنقار طائر النهس،

Twitter: @ketab_n

وتجعيد طويل عامودي علىٰ كل طرف من فمه، كان شعره يبدو كأنَّه قد أصبح مسطحًا علىٰ الدوام بسبب القبعة الثقيلة، غير أنَّ عينيه كانتا الشيء الذي استحوذ علىٰ أغلب انتباهها لفترة طويلة.

كان مكانهما عميقًا جدًّا بحيث بَدَا وكأنَّ لهما كمثل ممرات تقود إلىٰ مكان ما، وقد مالت حتىٰ منتصف المسافة التي كانت تفصل بين المقعدين محاولةً النظر داخلهما. أدار هايز رأسه نحو النافذة لبرهة، ثم عاد والتفَّ بسرعة نحو المكان الذي كان يحدق به.

كان الذي ينظر إليه هو الحمَّال. عندما صعد إلىٰ القطار كان الحمَّال يقف بين العربتين، وكان رجلًا عريض البنية، ذا رأسٍ أصفر مدوَّرٍ أصلع، عندها توقف هايز والتفتت عينا الحمَّال نحوه، ثم مالت بعيدًا عنه مُشيرًا إلىٰ العربة التي يجب عليه الجلوس فيها، وعندما لم يذهب إلىٰ هناك، **قال الحمَّال باستفزاز**: «إلىٰ اليسار... إلىٰ اليسار»، وكان هايز قد ابتعد حينها.

قالت السيدة هيتشكوك: «حسنًا! لا يوجد مكان كالبيت».

نظر إليها، ورأىٰ وجهها المسطح والمائل إلىٰ الحمرة تحت قبعتها المصنوعة من شعر الثعلب. لقد قامت بالركوب قبل محطتين، ولم يكن قد رآها قبل تلك اللحظة. **وقال لها**: «يجب أن أذهب لرؤية الحمَّال!».

نهض وذهب باتجاه آخر العربة، حيث كان الحمَّال قد بدأ بإعداد أحد المضاجع. وقف بجانبه ومال علىٰ يد أحد المقاعد بيد

Twitter: @ketab_n

أنَّ الحمَّال لم ينظر إليه، حيث كان يسحب الحائط العازل لأحد الأقسام بعيدًا.

قال له هايز: «كم من الوقت يستغرقك لإعداد واحدٍ منها؟!».

قال الحمَّال دون أن ينظر إليه: «سبع دقائق!».

جلس هايز علىٰ يد المقعد، وقال: «أنا من إيسترود . . .».

قال الحمَّال: «هذه ليست علىٰ هذا الخط، أنت علىٰ القطار الخاطئ!».

قال هايز: «أنا ذاهب إلىٰ المدينة، لكنَّني نشأت في إيسترود».

لم يقل الحمَّال أيَّ شيء . . .

قال هايز بصوت عالٍ: «إيسترود!».

قام الحمَّال بشدِّ الستارة للأسفل، وقال: «أتريد أن أجهِّز مضجعك الآن؟! أو ماذا تريد من وقوفك هنا؟!».

قال هايز: «إيسترود . . . بجانب ميلسي . . .».

قام الحمَّال بطيٍّ جانب المقعد؛ ليصبح مسطحًا، وقال: «أنا من شيغاغو!».

ثم طوىٰ الطرف الآخر للأسفل، وعندما انحنىٰ للأسفل؛ ظهرت ثلاثة نتوءات علىٰ مؤخرة رقبته!

قال هايز وهو يغمز: «نعم؛ أراهن أنَّك من هناك!».

Twitter: @ketab_n

قال الحمَّال: «قدماك في منتصف الممر، أحدهم قد يريد العبور من جانبك!».

قالها والتفَّ فجأةً، وعبر وهو يحتكُّ به.

ثم نهض ووقف هناك لبضع ثوانٍ. كان يبدو وكأنَّه مربوطٌ من وسطه ومشبوكٌ بسقف القطار. راقب الحمَّال وهو يتحرك بتمايلٍ محسوبٍ دقيقٍ إلىٰ آخر الممر، ويختفي في الطرف الآخر من العربة. كان يعرف أنَّه زنجيٌّ من عائلة باروم من مدينة إيسترود. وبعد ذلك عاد إلىٰ قسمه، واسترخىٰ واضعًا أحد قدميه علىٰ أنبوب كان تحت النافذة. كانت إيسترود تملأ رأسه، ثم ذهبت إلىٰ أبعد من ذلك، وملأت الفراغ الممتدَّ من القطار عبر الحقول الفارغة المظلمة. رأىٰ البيتين والطريق ذا اللون الذي يشبه لون الصدأ، وبعض أكواخ الزنوج، والحظيرة، والكشك الذي كان يحمل الإعلان المقشور ذا اللون الأبيض والأحمر للسُّعوط (CCC) علىٰ جانبه.

سألت السيدة هيتشكوك: «هل أنت ذاهبٌ إلىٰ البيت؟!».

نظر إليها بحدة وقبض علىٰ طرف قبعته، وقال: «لا؛ لست ذاهبًا هناك . . .».

قالها بنبرة عالية حادَّة بلكنة أهل مدينة تينسي.

قالت السيدة هيتشكوك: (إنَّها هي أيضًا ليست ذاهبة إلىٰ بيتها. أخبرته إنَّها كانت تسمىٰ سابقًا بالآنسة ويثرمان قبل أن

Twitter: @ketab_n

تتزوج، وإنَّها ذاهبة لفلوريدا لتزور ابنتها المتزوجة سارة لوسيل).

قالت: «إنَّه كان يبدو لها أنَّها لن تستطيع أبدًا أن تحصل علىٰ الوقت للقيام برحلةٍ بهذا البُعد. هكذا تسير الأمور؛ حيث إنَّ كل شيء كان يأتي بعده شيء آخر، حتىٰ إنَّ الوقت بدا كأنَّه يمرُّ بسرعة كبيرة، وكأنك لم تعد تستطيع معرفة إن كنت شابًّا أو عجوزًا!».

كان يظنُّ أنَّه يستطيع أن يخبرها إنَّها عجوز إن هي سألته عن ذلك. لكنَّه توقف عن الاستماع إليها.

بعد فترة: عبر الحمَّال الممر عائدًا، ولم ينظر إليه.

أضاعت السيدة هيتشكوك سلسلة كلامها، وسألت: «أظنُّ أنَّك ذاهب لزيارة أحدهم؟!».

قال: «أنا ذاهب إلىٰ تولكنهام»، وثبت نفسه بالمقعد، ونظر إلىٰ الشباك ...

وأكمل: «لا أعرف أحدًا هناك، ولكنَّني ذاهب لأقضي بعض الأمور ...».

«سوف أقوم بعمل أشياء لم أعملها من قبل»، ثم نظر إليها نظرة مائلة ولوىٰ فمه قليلًا.

قالت: «إنَّها تعرف رجلًا اسمه ألبرت سباركس، من تولكنهام، وإنَّه شقيق زوج أخت زوجها، وإنَّه ...».

قال: «أنا لست من تولكنهام! أنا ذاهب هناك، هذا كل ما في الأمر ...».

Twitter: @ketab_n

بدأت السيدة هيتشكوك بالكلام مرة أخرىٰ، ولكنَّه قاطعها قائلًا: «ذلك الحمَّال نشأ في المكان نفسه الذي نشأت فيه، ولكنَّه يقول إنَّه من شيغاغو!».

قالت السيدة هيتشكوك: «إنها تعرف رجلًا من شيغا ...».

قال: «يُمكنكِ أيضًا الذهاب لمكان ما علىٰ أنَّك شخص آخر، هذا كل ما أعرفه».

قالت السيدة هيتشكوك: «إنَّ الوقت يمرُّ سريعًا، وكأنَّه يطير».

وأخبرته: «إنَّها لم ترَ بنات أختها منذ خمس سنوات، وإنَّها لا تدري هل ستعرفهم لو رأتهم. كانوا ثلاثًا: (رُوي، وبُوبر، وجُون ويسلي). كان عمر جون ويسلي: ست سنين، وكان قد كتب رسالة إليها قائلًا: «عزيزتي ماما دول»[1] ... كانوا ينادونها: «ماما دول»، وزوجها: «بابا دول»».

قال: «أعتقد أنَّكِ تظُنِّينَ أنَّك قد كفَّرتِ عن ذنبك!».

قامت السيدة هيتشكوك بنتف ياقتها ...

أعاد قائلًا: «أعتقد أنَّك تظُنِّين أنَّك قد كفَّرتِ عن ذنبك!».

احمرَّت خجلًا، وبعد برهة قالت: «نعم؛ الحياة كانت إلهامًا لي ...».

ثم أخبرته: إنَّها جائعة.

---

(١) (ماما دول): لقب يطلق أحيانًا علىٰ الجدة في أمريكا.

Twitter: @ketab_n

وسألته: إذا ما كان يريد الذهاب لعربة الطعام، فلبس قبعته السوداء العدوانية المظهر، وتبعها إلىٰ خارج العربة.

كانت عربة الطعام ممتلئة، وكان الناس ينتظرون للدخول. وقف هو والسيدة هيتشكوك في الطابور لنصف ساعة، يتأرجحون في الممر الضيق، ويبسطون أجسادهم علىٰ الحائط كل بضع دقائق؛ ليسمحوا لبعض الناس بالعبور.

تحدثت السيدة هيتشكوك للمرأة التي كانت بجانبها.

نظر هايز موتس إلىٰ الحائط.

وأخبرت السيدة هيتشكوك المرأة: عن زوج أختها الذي كان يعمل لدىٰ شركة مياه مدينة تولافالز في ولاية ألباما. **وأخبرتها السيدة**: عن ابن اختها الذي كان يعاني من سرطانٍ في حلقه.

أخيرًا: وصلوا تقريبا لمدخل المطعم، وكان باستطاعتهم رؤية ما في الداخل. كان هناك مضيفٌ يوجِّه الناس إلىٰ أماكنهم، ويناولهم قوائم الطعام، كان رجلًا أبيض، ذا شعرٍ أسود دهني، وسترة سوداء لامعة. كان يتحرك متنقلًا من طاولة إلىٰ أخرىٰ. أشار إلىٰ شخصين، وتحرك الصف بحيث أصبح هايز والسيدة هيتشكوك والسيدة التي كانت تتكلم معها جاهزين للدخول بعد ذلك مباشرةً. بعد دقيقة خرج شخصان، وأومأ المضيف، وتحركت السيدة هيتشكوك والسيدة الأخرىٰ للداخل وتبعهم هايز.

Twitter: @ketab_n

قام الرجل بإيقافه، وقال: «اثنان فقط». ودفعه إلىٰ الخلف باتجاه الباب.

احمر وجه هايز غضبًا، وحاول الالتفاف حول الشخص الواقف خلفه، وبعدها حاول المرور من خلال الطابور عائدًا إلىٰ العربة التي جاء منها، غير أنَّ الكثير من الناس كانوا متجمهرين عند المدخل. فكان عليه الوقوف هناك بينما كان جميع من حوله ينظر إليه، لم يغادر أحدٌ لفترة من الزمن.

وأخيرًا: نهضت امرأة من آخر العربة، وقام بعدها المضيف بالإشارة بيده مرة أخرىٰ.

تردَّدَ هايز، ثم رأىٰ إشارة اليد مرة أخرىٰ، فانطلق وهو يتمايل في الممر، وسقط علىٰ طاولتين في طريقه وبلَّلَ يده بقهوة أحدهم، أجلسه المضيف مع ثلاث نساء شابات يلبسون لباسًا كالببغاوات.

كان لأيديهنَّ أطراف حمراء شبيهة بالحِرَاب موضوعة علىٰ الطاولة. فجلس ومسح يده بغطاء الطاولة، ولم يخلع قبعته. كانت النساء قد انتهين من الأكل، وكُنَّ يدخِّنَّ السجائر، فامتنعوا عن الكلام عندما جلس. قام بالإشارة لأول شيء علىٰ قائمة الطعام، **وقال المضيف الواقف علىٰ رأسه:** «اكتبه يا سوني»، ثم غمز إحدىٰ النساء، فأصدرت هي صوتا من أنفها، وقام المضيف بكتابة الطلب وذهب.

جلس هايز، ونظر بحدة وكآبة إلىٰ عنق المرأة الجالسة أمامه. خلال فترات من الزمن كانت يدها التي تحمل السيجارة تمر أمام

Twitter: @ketab_n

البقعة التي كان يحدق فيها عند رقبتها، كانت تخرج عن نظره، ثم تعود للعبور أمامه مجددًا. ونظر إليها بعد أن نفخت الدخان عليه ثلاث أو أربع مرات. كانت تملك تعبيرًا جريئًا علىٰ وجهها، وعينان صغيرتان تنظران مباشرة إليه.

قال لها: «لو كنتِ قد كفَّرت عن ذنبك؛ فإني لا أريد ذلك».

ثم أدار رأسه تجاه النافذة، رأىٰ انعكاس وجهه الشاحب المصاحب للفراغ المظلم الخالي قادمًا باتجاهه، فعبرت عربة نقل بجوار القطار مصدرةً ضجيجًا قطع الصمت إلىٰ نصفين، وضحكت إحدىٰ النساء.

قال بسكون شبه تام وهو مائل نحوها: «وهل تظُنِّين أنِّي أؤمن بيسوع؟! أنا لن أؤمن به حتىٰ لو كان موجودًا، حتىٰ لو كان علىٰ متن هذا القطار!».

قالت له بلهجة أهل الشرق الأمريكي بنبرة ماكرة: «مَن قال إنَّه عليك أن تؤمن به؟!».

تراجع **هايز** بعدها.

إثر ذلك أحضر النادل عشاءه. فبدأ يأكل ببطء في البداية، ثم بدأ بالإسراع مع ازدياد تركيز النساء علىٰ مراقبة عضلاته التي كانت تبرز وهو يقوم بالمضغ. كان يأكل شيئًا يحتوي علىٰ بعض البيض والكبد.

انتهىٰ من ذلك وشرب قهوته وأخرج نقوده. رآه المضيف،

Twitter: @ketab_n

ولكنَّه لم يكن آتيًا ليجمع الحساب؛ إذ كان كلما عبر من جانب الطاولة؛ غمز للمرأة وحدق بهايز.

كانت السيدة هيتشكوك، والمرأة التي معها قد انتهتا وغادرتا. فأتىٰ الرجل أخيرًا وجمع الفاتورة، قام هايز برمي النقود باتجاهه، ثم دفعه مُبعِدًا إيَّاه عن طريقه، وذهب باتجاه العربة.

ثم وقف لفترة بين عربتي القطار في مكان يوجد فيه بعض الهواء النقي، وقام بلفِّ سيجارة، ثم عبر الحمَّال بين العربتين.

ناداه قائلًا: «هاي أنت يا باروم!».

لم يتوقف الحمَّال.

تبعه هايز إلىٰ العربة، حيث كانت كل المضاجع مُجهَّزة. كان الرجل في محطة ميزلي قد باعه بطاقة مضجع؛ لأنَّه قد أخبره بأنَّه سيضطر للجلوس طول الليل في عربة القطار، وكان قد باعه مضجعًا علويًّا. ذهب هايز إلىٰ مقعده، وتناول حقيبته، وذهب إلىٰ حمام الرجال؛ ليجهِّز نفسه للنوم. كانت بطنه ممتلئة جدًّا وأراد أن يُعجِّل، ويذهب للمضجع ويستلقي عليه.

فكَّر في أن يستلقي هناك، وينظر خارج النافذة، ويرىٰ كيف تمرُّ المدينة أمام القطار في الليل.

كانت هناك لافتة تُشير إلىٰ أن تطلب من الحمَّال بأن يوصلك للمضاجع العلوية.

قام هايز بوضع حقيبته علىٰ مضجعه، وذهب يبحث عن

Twitter: @ketab_n

الحمَّال، لم يجده في طرف العربة؛ فانقلب عائدًا نحو الطرف الآخر.

عندما كان سينعطف حول الزاوية اصطدم بشيءٍ ثقيل وزهري، قالت بلهثة وهدوء: «أخرق!».

كانت السيدة هيتشكوك تلبس إزارًا ورديًّا، وكان شعرها مربوطًا بعُقدٍ حول رأسها. نظرت إليه بعينين مفتوحتين قليلًا، وكانت عُقَدُ الشعر تجعل شكلها يشبه رأس حبة داكنة من الفطر. حاولت أن تعبر من حوله، وحاول أن يفسح لها الطريق، ولكنَّهم كانوا يتحركون بنفس الاتجاه كلَّ مرة.

أصبح كل وجهها تقريبًا أرجوانيًّا ما عدىٰ بقعًا صغيرة عليه لم ترتفع حرارتها!

وقفت بثباتٍ، وقالت: «ما خطبك؟!».

انسلَّ من جانبها، وأسرع عبر الممر، واصطدم عندها بالحمَّال، وأوقعه أرضًا.

قال له: «عليك أن تساعدني في الصعود إلىٰ المضجع يا باروم . . .».

قام الحمَّال وذهب متمايلًا عبر الممر، وبعد دقيقة عاد بوجه كالحجر مع السُّلم.

وقف هايز ينظر إليه وهو يضع السلَّم، ثم بدأ بالصعود عليه، وفي منتصف المسافة التفت، **وقال**: «أنا أتذكرك، أبوك كان زنجيًّا

Twitter: @ketab_n

يدعىٰ كاش باروم، أنت كذلك لا تستطيع العودة هناك، لا أحد يستطيع العودة، حتىٰ لو أراد ذلك».

قال الحمَّال بصوت منفعل: «أنا من شيغاغو، واسمي ليس باروم».

قال هايز: «كاش قد مات، أصابته عدوىٰ الكوليرا من خنزير».

فتح الحمَّال فمه قائلًا: «أبي كان عامل سكة حديدية».

ضحك هايز!

وقام الحمَّال فجأة بهزِّ السُّلم بقوة ملقيًا الفتىٰ الممسك ببطَّانيته علىٰ المضجع.

ظل هايز مستلقيًا علىٰ بطنه لبضع دقائق دون حراك. بعد قليل تقلَّب وعثر علىٰ المصباح، ثم نظر حوله، لم يكن هناك نافذة. كان المكان مغلقًا من كلِّ الاتجاهات ما عدا فتحة صغيرة فوق الستارة. كان سقف المضجع منخفضًا ومائلًا. استلقىٰ هناك ولاحظ أنَّ السقف المائل لم يكن يبدو أنَّه مغلقٌ تمامًا. كان يظهر له أنَّه في طور الإغلاق. جلس هناك بلا حراك. كان هناك شيء كالإسفنج بطعم البيض في حلقه، ولم يشأ أن يتقلَّب خشية أن يحركه. كان يريد أن يطفئ الأضواء. مدَّ يده للأعلىٰ دون أن يلتفت، وتحسس المفتاح وأطفأه، ثم خيَّم عليه الظلام.

ثم خفَّ الظلام قليلًا بسبب الضوء القادم من الممر الذي كان

Twitter: @ketab_n

يدخل من فتحة لم يقع إغلاقها. كان يريد ظلامًا تامًّا، ولم يكن يريد الظلام مخففًا. سمع هايز صوت خطوات الحمَّال الخفيفة القادمة بسرعة ثابتة علىٰ السجادة وهو يحتكُّ بالستائر الخضراء، ويتلاشىٰ في الاتجاه الآخر بعيدًا عن الأسماع.

ثم بعد برهة عندما شارف علىٰ النوم تقريبًا، ظنَّ أنَّه سمعها عائدةً مجددًا، ارتعشت ستارته وتلاشىٰ صوت الخطوات. كان يعتقد وهو نصف نائم أنَّ المكان الذي كان مستلقيًا فيه يشبه التابوت. كان أوَّلُ تابوت رآه تابوتَ جدِّه. حيث كانوا قد تركوا التابوت مفتوحًا، وكان غطاء التابوت مستندًا علىٰ عصًا، في تلك الليلة التي كان التابوت فيها في المنزل، وكان الرجل العجوز فيه، كان هايز يشاهد من بعيدٍ وكان يفكِّر بأنَّه لن يسمح لهم بأن يغلقوه عليه، وعندما يأتي الوقت سيدخل كوعه في الفتحة. كان جده قسيسًا مسؤولًا عن حلقة من الكنائس، كان رجلًا لاذعَ اللسان، وكان قد قام بالسفر إلىٰ ثلاث دول، ويسوع مستكن في رأسه كالحشرة القارصة. عندما أتىٰ موعد دفنه، قاموا بإغلاق الغطاء، ولم يوات هايز بأيِّ حركة.

كان لهايز أخوان، أحدهما مات عندما كان طفلًا، ووُضع في صندوق صغير، والآخر وقع أمام عربة حربٍ وهو بعمر سبع سنين، كان صندوقه بحجم نصف الصندوق المخصص للشخص العادي تقريبًا، وعندما أغلقوه ركض هايز وفتحه مجددًا. أخبروه أنَّ ذلك كان بسبب حزنه علىٰ فراق أخيه، ولكن لم يكن ذلك هو

Twitter: @ketab_n

السبب. كان ذلك بسبب أنَّه فكَّر في ماذا كان سيحدث لو كان هو في الصندوق وأغلقوه عليه.

لقد أخذ في النوم الآن، وحلم أنَّه كان موجودًا أثناء دفن أبيه مجددًا. رآه حادبًا نفسه علىٰ يديه وركبتيه في تابوته، محمولًا بهذا الشكل إلىٰ المقبرة.

سمع أباه يقول: «إذا أبقيت مؤخرتي معلقة في الهواء، فلن يستطيع أحد أن يغلق أيَّ شيء عليَّ!».

ولكنهم عندما وصلوا بصندوقه للحفرة، أنزلوا الصندوق، فسقط بقوة وأحدث جلجلة، واستلقىٰ أبوه مثل البقية!

اهتزَّ القطار، فحرَّك هايز، وأعاد إليه نصف وعيه مجددًا، وفكَّر حينها أنَّه كان هناك خمسة وعشرون شخصًا في إيسترود وقتها، ثلاثة من عائلة موتس، والآن لم يعد يوجد أحد من عائلة موتس، ولا أحد من عائلة أشفيلد، ولا من فلاسنجيم، فاي، جاكسون ... أو باروم - حتىٰ الزنوج لم يعودوا يريدون البقاء. عندما انعطف ماشيًا في الطريق، رأىٰ في الظلمة المحل ذا اللافتة، والحظيرة المائلة، والبيت الصغير الذي كان نصفه غير موجود. كانت الشرفة الأمامية غير موجودة، وكانت الصالة من دون سقف.

لم تكن تبدو هكذا عندما تركها في عمر الثامنة عشرة، كان وقتها يوجد عشرة أشخاص هناك، ولم يلاحظ هايز أنَّها أصبحت أصغر ممَّا كانت عليه في زمن أبيه. ترك هايز ذاك المكان عندما استدعاه الجيش وهو في الثامنة عشرة، فكَّر حينها في أن يطلق النار

Twitter: @ketab_n

علىٰ قدمه، وأن لا يذهب، كان يريد أن يصبح قسيسًا كجده، والقسيس يمكن أن يدبِّر أموره من دون قدم. إذ تكمن قوة القسيس في عنقه ولسانه ويده.

سافر جده لثلاث دول في عربة من طراز (فورد)، كان يأتي إلىٰ إيسترود في السبت الرابع من كل شهر إذا كان يمتلك ما يكفي من الوقت لينقذ الجميع من الذهاب إلىٰ الجحيم، كان يصرخ قبل أن يفتح باب السيَّارة. وكان الناس يجتمعون حول سيَّارته الفورد؛ لأنَّه كان يدعوهم لذلك. كان يصعد فوق غطاء محرك السيارة، ويعظ الناس من هناك، وكان أحيانًا يقف علىٰ سقفها ويصرخ فيهم. كانوا كالحجارة! ولكنَّه كان يصرخ فيهم. لقد مات يسوع ليتوب عليهم! مات يسوع من شدَّة تعطُّشه كي ينقذ أرواح الناس، موتة واحدة من أجل الجميع! هل فهموا هذا؟ هل فهموا أنَّه لكل روح جامدة كالصخر، كان عليه أن يموت عشرة ملايين مرة، وأن تُشدَّ يداه ورجلاه ويصلب عشرة ملايين مرة لكل واحدٍ منهم؟

كان الرجل العجوز يُشير إلىٰ حفيده هايز، لم يكن يحترمه بالتحديد؛ لأنَّ تعابير وجهه كانت تشبه تعابير وجه الطفل الذي بدا كأنَّه كان يسخر منه.

هل كانوا يعلمون أنَّه حتىٰ من أجل ذلك الولد الواقف هنا، ذلك الولد الشرير المسيء الذي لا عقل له الواقف هناك ويداه الوسختان تنقبضان وتنبسطان بجانبه، كان يسوع علىٰ استعداد أن يموت عشرة ملايين مرة قبل أن يدعه يخسر روحه ويذهب لجهنم؟

Twitter: @ketab_n

كان ليطارده فوق مياه الذنوب! هل كانوا يشكُّون أن يسوع كان يمكنه المشي علىٰ مياه الذنوب؟ ذلك الولد قد تاب، وما كان يسوع ليتركه أبدًا. لن يجعله يسوع أبدًا ينسىٰ أنَّه تاب عليه من ذنبه. ماذا كان يظنُّ العاصي أنَّه سيَجني في النهاية؟ سيمتلكه يسوع في النهاية!

لم يكن الولد يحتاج لسماع ذلك، كان يوجد أساسًا في داخله قناعة سوداء غير مكتوبة أنَّ الطريق لتجنب يسوع هو أن لا تُذنب. كان يعرف منذ أن كان في الثانية عشرة أنَّه سيصبح قسيسًا. ثم رأىٰ يسوع لاحقًا يتنقل من شجرة إلىٰ أخرىٰ داخل عقله، كان شخصًا أشعثَ جامحًا، يُشير إليه ليستدير ويأتي للظلام، حيث يصبح المرء غير متأكدٍ من موضع قدمه، حيث يمكن أن يكون المرء يمشي علىٰ الماء وهو لا يدري، وفجأة يلاحظ ذلك ويغرق.

كان يريد أن يبقىٰ في إيسترود، حيث كانت عيناه مفتوحتين، ويده دائمًا تقوم بما هو مألوف، وقدمه تسير علىٰ الطريق المعروف، ولم يكن لسانه طليقًا جدًّا. عندما كان في الثامنة عشرة واستدعاه الجيش، كان يرىٰ الحرب خدعة تقوده إلىٰ المغريات، وكان سيطلق النار علىٰ قدمه؛ إلَّا أنَّه كان واثقًا من نفسه بأنَّه سيعود بعد بضعة أشهر دون أن يشوبه الفساد. كان لديه ثقة قوية بقدرته علىٰ مقاومة الشر. كان شيئًا قد ورثه، مثل وجهه، من جده. كان يفكر بأنَّ الحكومة إن لم تتركه في غضون أربعة أشهر؛ فإنَّه

Twitter: @ketab_n

سيترك الجيش ويرحل علىٰ كلِّ حال.

كان يفكر آنذاك، عندما كان في الثامنة عشرة، أنَّه سيمنحهم بالضبط أربعة أشهر من وقته.

رحل هايز لأربع سنين ولم يعد خلالها حتىٰ للزيارة.

لم يأخذ معه من إيسترود للجيش سوىٰ إنجيل أسود، ونظارات حوافُّها من الفضة كانت تعود لأمه.

ذهب هايز إلىٰ مدرسة في المدينة، حيث تعلم القراءة والكتابة، ولكن كان من الحكمة أن لا يفعل؛ لأنَّ الإنجيل كان الكتاب الوحيد الذي كان يقرأه. لم يكن يقرأه كثيرًا، ولكنَّه عندما كان يقرأه كان يلبس نظَّارات أمَّه. كانت النظَّارات تتعب عينيه، فكان عليه أن يتوقف بعد فترة قصيرة.

كان ينوي أن يقول لأيِّ أحد يدعوه لمعصية في الجيش: إنَّه من إيسترود من ولاية تينسي، وإنَّه ينوي أن يعود هناك، وأن يبقىٰ هناك، وإنَّه ينوي أن يصبح قسيسًا مُبشِّرًا بالإنجيل وإنَّه لم يكن ليسمح لروحه بأن تصبح ملعونة بسبب الحكومة، أو بسبب أي مكان غريب أرسلته إليه.

بعد بضعة أسابيع في المخيم، كان لديه بعض الأصدقاء -لم يكونوا في الحقيقة أصدقاءه، ولكن كان عليه العيش معهم-، وأُتيحت له الفرصة التي كان ينتظرها، أن يقوموا بدعوته.

أخذ نظارات أمه من حقيبته ولبسها، ثم قال لهم: إنَّه لن

Twitter: @ketab_n

يذهب معهم حتىٰ ولو كان ذلك في مقابل مليون دولار وسرير من الريش!.

أخبرهم: (إنَّه من إيسترود من تينسي، وإنَّه لم يكن ليجعل روحه تُلعن بسبب الحكومة، أو أي مكان غريب . . .).

ولكنَّ صوته تصدَّع، ولم يكمل كلامه، نظر إليهم فقط محاولًا أن يُصلِّبَ وجهه.

أخبره أصدقاؤه: (إنَّ أحدًا لا يهتم بروحه الملعونة؛ إلَّا لو كان كاهنًا!).

واستطاع أن يجيب قائلًا: «إنَّه لا يوجد كاهن يأتمر بأمر البابا سيعبث بروحه».

أخبروه: «إنَّه لم يبقَ عنده روح»، وذهبوا لبيت دعارتهم!

أخذ وقتًا طويلًا ليُصدقهم؛ لأنَّه أراد أن يصدقهم.

كلُّ ما كان يريده هو أن يُصدِّقهم وأن يتخلص منها للأبد، **فرأىٰ الفرصة هنا حتىٰ يتخلَّص من روحه دون أن يصبح فاسدًا، أن يتحول للا شيء بدل أن يتحول لجانب الشَّر.**

لقد أرسله الجيش إلىٰ الطرف الآخر من العالم ونسيه. فأصيب وتذكروه بما يكفي ليخرجوا الشظية من صدره -قالوا: إنَّهم أخرجوها، ولكنَّه لم يرها، وكان يشعر أنَّ تلك الشظية الصَّدئة ما تزال هناك في صدره تسمِّمه-، ومن ثَمَّ أرسلوه إلىٰ صحراء أخرىٰ ونسوه مجددًا.

Twitter: @ketab_n

كان يملك كل الوقت الذي كان يريد لدراسة روحه، وليطمئن نفسه أنَّها لم تكن هناك، وعندما أصبح موقنًا تمامًا رأىٰ أنَّ ذلك كان شيئًا معروفًا لديه من البداية. كان ذلك اللُّغز هو مجرد حنين لبيته، ولم يكن ليسوع دخل فيه. عندما تركه الجيش أخيرًا، كان مسرورًا؛ لأنَّه كان يظنُّ أنَّه كان ما يزال غير فاسد.

كل ما كان يريده هو العودة لإيسترود في تينسي. كان الإنجيل الأسود، ونظارات أمه لا يزالان في قاع حقيبته. لم يعد يقرأ أي كتب الآن، ولكنَّه احتفظ بالإنجيل؛ لأنَّه كان من بيته. واحتفظ بالنظارات من أجل أن يستخدمها إن ضعف نظره.

عندما سرَّحه الجيش قبل يومين في مدينة تبعد ثلاثمئة ميل شمال المكان الذي كان يريد أن يذهب إليه، ذهب مباشرة لمحطة القطار، حيث حجز تذكرة إلىٰ أقرب محطة قطار من إيسترود وهي مدينة ميلسي. وبما أنَّه كان عليه الانتظار أربع ساعات حتىٰ يأتي القطار، فقد ذهب لمحلٍّ مظلم للملابس الجاهزة بالقرب من المحطة. كان محلًا صغيرًا كريه الرائحة مصنوعًا من الورق المقوىٰ، وكان يزداد ظلمة كُلَّما ازداد عمقًا. ذهب إلىٰ آخره واشترىٰ سترة زرقاء وقبعة سوداء. ووضع زيَّه العسكري في كيس ورقي ورماه في صندوق مهملات في زاوية الطريق. عندما خرج إلىٰ الضوء تحوَّلت سترته الجديدة إلىٰ اللون الأزرق الساطع، وتصلبت الخطوط الموجودة علىٰ قبعته بشكل عنيف.

كان في ميلسي في الساعة الخامسة بعد الظهر وحصل علىٰ

Twitter: @ketab_n

توصيلة علىٰ متن عربة تنقل بذور القطن لأكثر من منتصف المسافة باتجاه إيسترود. قام بالسير بقية المسافة، ووصل هناك في التاسعة مساء عند بداية حلول الظلام. كان البيت مُظلمًا كظلام الليل، وعند ولوجه ظنَّ أنَّه رأىٰ أنَّ السور حول البيت قد سقط جزء منه، وأنَّ الأعشاب كانت تنمو علىٰ امتداد الشرفة. لم يدرك في بادئ الأمر أنَّ ذلك كان مجرد قشرة، وأنَّه لا شيء هناك سوىٰ هيكل عظمي لبيت.

قام بطيٍّ ظرف رسالة، وأشعل فيها عودًا من الكبريت، وذهب بين الغرف الفارغة، وصعد الدرج، ونزل منه. عندما انطفأ الظرف قام بإشعال واحد آخر، وذهب بين الغرف مجددًا. في تلك الليلة نام هايز علىٰ أرضية المطبخ، فوقع لوح علىٰ رأسه من السقف وشقَّ وجهه.

لم يبقَ أيُّ شيء في البيت سوىٰ الخزانة في المطبخ. كانت أمه تنام دائمًا في المطبخ، وكانت خزانتها المصنوعة من خشب الجوز عندها في المطبخ، كانت قد دفعت ثلاثين دولارًا في مقابلها، ولم تشترِ لنفسها شيئًا كبيرًا مجددًا.

أيًّا كان من أخذ كلَّ شيء؛ فقد ترك الخزانة!

قام هايز بفتح كلّ الأدراج، كان هناك حبلان للتغليف في الدرج العلوي، وكان الدرج الآخر فارغًا. كان مندهشًا أنَّه لم يأتِ أحد لسرقة خزانة كهذه. ثم أخذ حبل التغليف وربطه حول الأرجل، وخلال ألواح الأرضية، وترك قطعة من الورق في كل

Twitter: @ketab_n

درج مكتوب عليها: **«هذه الخزانة تعود ملكيتها لهايز موتس. لا تقم بسرقتها، وإلَّا فستتم ملاحقتك وقتلك»**.

فكَّر في الخزانة وهو نصف نائم، وقرر أنَّ أُمَّه ستنام بسهولة أكبر في قبرها وهي تعلم أن خزانتها محروسة. إذا أتت لتنظر في أي وقت من الليل فسترىٰ ذلك. تساءل إن كانت تأتي في الليل إلىٰ هناك. ستأتي وتلك النظرة القلقة علىٰ وجهها، نفس النظرة التي رآها من خلال الفتحة في تابوتها. كان قد رأىٰ وجهها من خلال الفتحة عندما كانوا يغلقون عليها التابوت. كان في السادسة عشرة حينها. كان قد رأىٰ الخيال يطبق علىٰ وجهها ويسحب فمها للأسفل كأنَّها لم تكن راضية عن كونها ميتة، مثل ما كانت غير راضية وهي حية، كأنَّها كانت ستهبُّ واقفةً وتدفع ذلك الغطاء للخلف، وتطير خارجًا، وتشعر أخيرًا بالرضا . . .

لكنَّهم أغلقوا الباب!!

كان من الممكن أن تطير خارج ذاك المكان، كان من الممكن أن تقفز منه!

لقد رآها في منامه، وكان شكلها مرعبًا، مثل شكل الخفاش الكبير، تقفز من الفتحة طائرةً بعيدًا، غير أنَّ الظلام كان يخيِّم عليها، كان يطبق عليها من كل مكان. رآه يطبق عليها من الداخل، يقترب أكثر فأكثر، ويطفئ الضوء في الغرفة!

فتح عينيه وقفز من خلال الفتحة، أدخل رأسه وكتفيه منها، وبقي في مكانه يشعر بالهذيان، كانت السجادة تحته تظهر شيئًا

Twitter: @ketab_n

فشيئًا في ضوء الممر الخافت. جلس هناك فوق ستارة المضجع، ورأىٰ الحمَّال في آخر العربة، كان يبدو كجسمٍ أبيضَ في الظلام، وكان واقفًا هناك ينظر إليه ولا يتحرك.

نادىٰ قائلًا: «أنا مريض! لا أستطيع أن أكون محبوسًا في هذا المكان ... أخرجني من هنا ...».

وقفف الحمَّال ينظر إليه ولم يتحرك.

قال هايز: «يسوع ...! يسوع ...!».

لم يتحرك الحمَّال!

أكمل هايز قائلًا بصوت فيه مزيج من الشعور بالانتصار وخيبة الأمل: «**يسوع غادر منذ زمن طويل!**».

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الثاني

لم يصل للمدينة حتىٰ السادسة من مساء اليوم التالي!

في ذلك الصباح نزل من القطار عند محطة تقاطع ليحصل علىٰ بعض الهواء، وعندما كان ينظر للطرف الآخر، انسلَّ القطار مبتعدًا. ركض خلفه، ولكنَّ قبعته طارت منه، وكان عليه أن يركض في الاتجاه المعاكس؛ لينقذها. لحسن حظه أنَّه حمل حقيبته معه خشية أن يقوم أحدهم بسرقة شيء منها. كان عليه أن ينتظر لستِّ ساعات حتىٰ أتىٰ القطار المطلوب.

عندما وصل لتولكنهام، وبمجرَّد أن نزل من القطار، بدأ برؤية لوحات الإعلانات والأضواء!

كانت الإعلانات تحمل شعارات، مثل[1]: *(PEANUTS)*[2]. *(WESTERN UNION)*[3]. *(AJAX)*[4].

---

(١) أسماء منتجات وشركات.

(٢) فستق.

(٣) شركة لتحويل النقود.

(٤) اسم شركة.

Twitter: @ketab_n

.[٣](CANDY) .[٢](HOTEL) .[١](TAXI)

كان معظمها كهربائيًّا، ويتحرك للأعلىٰ وللأسفل، أو يومض بغير اتزان بشكل مجنون!

مشىٰ ببطءٍ شديدٍ مُعلِّقًا حقيبته علىٰ عنقه. كان رأسه يستدير نحو طرف، ثم نحو الطرف الآخر، نحو لوحة، ثم نحو الأخرىٰ. مشىٰ لآخر المحطة، ثم عاد ماشيًا كأنَّه يريد أن يركب القطار مجددًا. كان وجهه يبدو عابسًا وحازمًا تحت تلك القبعة الثقيلة، ما كان لأحد كان يراقبه أن يعلم أنَّه لم يكن لديه مكان ليذهب إليه. مشىٰ ذهابًا وإيابًا عبر غرفة الانتظار مرتين أو ثلاث مرات، ولكنَّه لم يكن يريد الجلوس هناك علىٰ المقاعد. كان يريد مكانًا منعزلًا ليذهب إليه.

في النهاية قام بفتح بابٍ عند آخر المحطة، حيث كان مكتوبًا علىٰ اللوحة بالأبيض والأسود: **(حمام الرجال البيض)**.

دخل إلىٰ غرفة ضيقة يوجد في طرفها الأول مغاسل مرصوفة، ويوجد في طرفها الآخر صفٌّ من المراحيض. كانت جدران هذه الغرفة في وقت من الأوقات صفراء زاهية مبهجة، ولكنَّها الآن تميل للون الأخضر، وكانت مزينة بكتابات، وبعض الرسوم

---

(١) سيارات أجرة.

(٢) فندق.

(٣) حلوىٰ.

Twitter: @ketab_n

المفصّلة لأعضاء من جسم الرجل والمرأة. كان لبعض المراحيض أبواب، وعلىٰ واحد منهم كان مكتوبًا بخط كبير باستخدام قلم تلوين كبير: (مرحبًا)، متبوعة بثلاث علامات تعجب، وكان مرسومًا بجانبها شيء يبدو كالأفعىٰ. دخل هايز في ذلك المرحاض.

ظلَّ جالسًا في ذلك المكان الضيق لفترة من الزمن، يدرس الكتابات الموجودة علىٰ الباب والجوانب قبل أن يلاحظ واحدة موجودة علىٰ اليسار فوق ورق المرحاض، كانت مكتوبة بخط يد شخص مخمور، وكانت تقول:

«السيدة: ليورا واتس!

شارع بكلي، رقم: (٦٠).

الفراش الأكثر حميمية في البلدة.

بيت دعارة».

أخرج بعد فترة قلم رصاص من جيبه، وكتب العنوان علىٰ ظهر مغلف.

ركب في الخارج سيارة أجرة، وأخبر السائق أين يريد الذهاب.

كان السائق رجلًا صغيرًا ذا قبعة جلدية كبيرة علىٰ رأسه، وطرف سيجار في منتصف فمه. كانا قد عبرا بعض الأحياء قبل أن ينتبه هايز أنَّ السائق يحدق فيه عبر مرآة الرؤية الخلفية.

Twitter: @ketab_n

سأله السائق: «أنت لست صديقًا لها، أليس كذلك؟!».

قال هايز: «أنا لم أقابلها من قبل».

«من أين سمعت بها؟! هي لا تعرف مبشرين في العادة!».

قالها دون أن يحرك السيجار من مكانه.

كان يستطيع الكلام علىٰ أي طرف من مكان وجود السيجار.

قال هايز: «أنا لست مُبشِّرًا، لقد رأيت اسمها في المرحاض».

قال السائق: «أنت تشبه المُبشِّرين، قبعتك تشبه قبعة المبشرين».

قال هايز: «هي ليست كذلك».

ثم مال إلىٰ الأمام، وأمسك بمؤخرة المقعد الأمامي، وقال: «إنَّها فقط مجرد قبعة».

ثم توقفَا أمام بيت صغير، مكون من طابق يقع بين محطة وقود، وقطعة أرض فارغة.

خرج هايز ودفع الأجرة عبر النافذة.

قال السائق: «هي ليست القبعة فقط! بل والنظرة علىٰ وجهك أيضًا!».

قال هايز وهو يرخي القبعة فوق عينه: «اسمع! أنا لست مُبشِّرًا . . .».

قال السائق: «أنا أفهم ذلك . . . لا يوجد أحد كامل علىٰ

Twitter: @ketab_n

وجه أرض الرب الخضراء، لا المبشرون، ولا غيرهم. **وبإمكانك أن تقول للناس بشكل أفضل كم فظيعة هي ذنوبهم إذا كنت تعرف ذلك من تجربتك الشخصية . . . !»**.

وضع هايز رأسه علىٰ الشباك مرجعًا القبعة لوضعها المستقيم مجددًا. كان يبدو أنَّه أرجع وجهه كذلك لوضعه الأصلي؛ لأنَّه أصبح خلوًا من أي تعابير.

قال هايز: «اسمع! افهم ما أقول، أنا لا أؤمن بأي شيء».

أخرج السائق طرف السيجار من فمه، وسأل قائلًا: «ولا بأي شيء؟!».

وقد ترك فمه مفتوحًا بعد السؤال.

قال هايز: «ليس عليك أن تقولها سوىٰ مرة واحدة لأي أحد».

أغلق السائق فمه، وبعد برهة أعاد قطعة السيجار لفمه، وقال: «هذه المشكلة معكم أنتم المبشرون، **أصبحتم أفضل من أن تؤمنوا بأي شيء!»**.

وقاد بعيدًا، حاملًا نظرة ازدراء وورع.

استدار هايز، ونظر للبيت الذي كان سيدخله. كان أكبر من الكوخ؛ إلَّا أنَّه كان هناك وهج دافئ قادم من إحدىٰ النوافذ الأمامية. مشىٰ فوق الشرفة الأمامية، ووضع عينه علىٰ شقٍ في الظل، ووجد نفسه ينظر مباشرة لركبة بيضاء كبيرة. بعد بعض

Twitter: @ketab_n

الوقت تحرك بعيدًا عن الشق وجرَّب الدخول من الباب الأمامي. لم يكن مغلقًا ودخل إلىٰ صالة صغيرة مظلمة، وكان يوجد باب في كل طرف فيها. كان الباب الأيسر في شقٍّ، وكان يخرج منه القليل من الضوء. تحرك باتجاه الضوء، ونظر من الشق.

كانت السيدة واتس تجلس وحيدة علىٰ فراش أبيض حديدي، تُقلِّم أظفار رجليها بمقصٍّ كبير!

كانت امرأة كبيرة الحجم، ذات شعر شديد الشقار، وجلد أبيض يلمع لمعانا دهنيًّا!

كانت تلبس فستان نوم زهريٍ كان ليناسب امرأة أصغر حجمًا منها!

أصدر هايز صوتًا عندما وضع يده علىٰ قبضة الباب، ورفعت نظرها إليه، وأمعنت فيه وهو يقف وراء الشق. كانت تملك نظرة جريئة ثابتة مخترقة. بعد دقيقة استدارت، وعادت تقلم أظفار أرجلها مجددًا.

دخل الغرفة ووقف ينظر حوله، لم يكن فيها الكثير، سوىٰ فراش، ومنضدةٍ، وكرسي هزاز عليه الكثير من الثياب المتسخة، ذهب هايز صوب المنضدة، ولمس بإصبعه مبردًا للأظفار، ووعاء زجاجيًّا للمربىٰ، وهو ينظر إلىٰ المرآة المصفرَّة، ويراقب السيدة واتس، التي كانت تميل باتجاهه قليلًا وهي تبتسم له. كانت مشاعره مثارةً إلىٰ أقصىٰ حدٍّ لها، التفت بسرعةٍ، وذهب باتجاه

Twitter: @ketab_n

الفراش، وجلس علىٰ الطرف البعيد منه. قام بأخذ نفسٍ طويل عبر أنفه ومرَّر يده بحذرٍ فوق غطاء الفراش.

ظهر الطرف الزهري للسان السيدة واتس، وبدأت بترطيب شفتها السفلية. كانت تبدو سعيدة برؤيته، كما لو أنَّه كان صديقًا قديمًا، ولكنها لم تقل أي شيء!

أمسك هايز بقدمها، وقام بتحريكها جانبًا مسافة إنشٍ، وأبقىٰ يده عليها.

انقسم فم السيدة واتس بابتسامة إلىٰ قسمين كاشفًا عن أسنانها. كانت أسنانها حادةً، وعليها نقط خضراء مع وجود فراغ بين كل واحدة والأخرىٰ!

مدت يدها وجذبت يد هايز من فوق الكوع، وتشدقت قائلةً له: «أتبحث عن شيءٍ ما؟!».

ولو لم تكن تمسك بيده بثباتٍ؛ لكان قفز من النافذة!

تحركت شفتاه من دون إرادةٍ منه قائلةً هذه الكلمات: «نعم؛ سيدتي!».

ولكن لم يخرج من فمه أيُّ صوت.

سألت السيدة واتس قائلة: «هل يوجد شيء يشغل بالك؟!».

وهي تسحب جسمه المتصلب قليلًا نحوها.

قال: «اسمعي . . .».

كان محكمًا السيطرة علىٰ صوته!

Twitter: @ketab_n

«أنا أتيت من أجل المطلب المعتاد».

أصبح فم السيدة واتس أكثر استدارة، كأنَّها ارتبكت من هذا الكلام الذي لا فائدة منه!

وابتسمت وقالت ببساطة: «اعتبر نفسك في بيتك . . .».

حدَّقَا ببعضهما لدقيقة تقريبًا، ولم يتحرك أحد منهما . . .

ثم قال بصوت أعلىٰ من صوته المعتاد: «ما أريد أن تعرفيه هو أنَّني لست بمبشِّرٍ لعين!».

نظرت إليه السيدة واتس بابتسامة متكلِّفة، ثم وضعت يدها الأخرىٰ أسفل وجهه مدغدغةً إيَّاه بحنان أمومي، وقالت: «لا عليك يا بني! أمُّك لا تبالي لو لم تكن مبشِّرًا . . .».

Twitter: @ketab_n

الفصل الثالث

إنَّها الليلة الثانية **لهايز موتس** في تولكنهام . . .

مشىٰ **هايز** في مركز المدينة، حتىٰ وصل إلىٰ واجهات المحلات الأمامية، ولكنَّه لم يكن ينظر إليها!

كانت السماء السوداء مدعومةً بخطوط فضية رفيعة، تبدو كأنَّها سقالة، وفي العمق وراءها كانت آلاف النجوم تبدو وكأنَّها تتحرك ببطء، كما لو كانت مشروع بناء ضخم يشمل الكون كله، وسيستغرق الزمن كله لينتهي . . .

لم يكن أحد يعير اهتمامًا للسماء. كانت المحلات في تولكنهام تظلّ مفتوحة مساء كل ثلاثاء لكي يتسنىٰ للناس فرصة إضافية لرؤية البضائع مخفضة الأسعار.

كان خيال هايز وراءه، ثم صار أمامه، ومن ثم وراءه، ثم انقسم بسبب ظلال بقية الناس، ولكنَّه عندما كان يتمدد لوحده وراءه، كان ظِلًّا مرتبكًا يمشي للوراء. كان عنقه مندفعًا للأمام كما لو كان يحاول شم شيء يُسحب من أمامه. كانت الأضواء الساطعة من واجهات المحلات تجعل سترته الزرقاء تبدو أرجوانية اللون.

توقف بعد فترة أمام طاولة من الورق المقوىٰ، كانت لرجل

Twitter: @ketab_n

نحيف الوجه، وكان يقوم بعرضٍ لقشارة بطاطا، كان يلبس قبعة صغيرة من الكتان، وقميصًا ذا كُمٍّ قصير، عليه مجموعة من الرسومات المقلوبة المتدرجة لطيور الذيَّال والسمان والديك الرومي. كان تردد صوته أدنىٰ من تردد بقية الأصوات في الشارع، فكان يصل لكل أذنٍ بوضوح، كما لو كان في محادثة خاصة.

تجمع بعض الناس حوله، كان هناك دلوان أمامه، واحد فارغ والآخر مملوء بحبات البطاطا، وبين الدلوين كان هناك هرم من العلب الكرتونية، وفوقها قشارة موضوعة للعرض.

وقف الرجل أمام الحضور وهو يشير لبعض الحضور، **ثم أشار إلىٰ فتىٰ ذي شعرٍ رطب، وعلىٰ وجهه بثور؛ قائلًا**: «ماذا عنك أنت؟! هل ستترك واحدة من هذه القشارات تفوتك؟!».

ثم وضع حبة بطاطا في طرف الآلة، كانت الآلة صندوقًا مربعًا من التنك، وفي جنبها يوجد مقبض أحمر، وعندما أدار المقبض، دخلت الحبة في الصندوق، وبعد لحظة خرجت من الطرف الآخر وهي بيضاء.

ثم قال: «أنت لن تترك واحدة من هذه القشارات تفوتك!».

قهقه الفتىٰ، ونظر للناس من حوله، كان يملك شعرًا أصفر، ووجهًا يشبه وجه الثعلب.

سأل البائع: «ما اسمك؟!».

قال الفتىٰ: «إينوخ إمري!».

Twitter: @ketab_n

قال البائع: «فتًى يحمل اسما جميلًا كهذا يجب أن يقتني واحدة من هذه الآلات».

قالها البائع محاولًا جذب البقية للشراء، لم يضحك أحد سوىٰ الفتىٰ.

ثم ضحك رجل يقف مقابل **هايز**، لم تكن ضحكة لطيفة، بل كان لها صوت حاد.

كان رجلًا طويلًا شاحبًا يلبس سترة سوداء وقبعة سوداء، كان يضع نظارات داكنة، وكانت علىٰ وجنتيه آثار تشبه الخطوط، كما لو كانت قد رسمت علىٰ وجنتيه ثم تلاشت. كانت هذه الخطوط تعطيه تعابير قرد مبتسم. وبمجرد أن ضحك؛ بدأ يتحرك بطريقة مدروسة، وهو يهزهز كوبًا من التنك في يدٍ، وينقر عصًا بيضاء في الأرض بيده الأخرىٰ.

كانت تمشي وراءه فتاة توزع منشورات. كانت تلبس ثوبًا أسود، وتضع قبعة مُحاكَةً تغطي جبينها، وكانت بعض خصل شعرها ظاهرة من جنبي القبعة، كانت تملك وجهًا طويلًا، وأنفًا حادًّا قصيرًا. تضايق بائع القشارات عندما وجد الناس ينظرون لذلك الزوج بدلًا منه، وقال مشيرًا إلىٰ هايز: «ماذا عنك أنت، أنت هناك، لن تجد عرضًا أفضل من هذا في أي محل آخر!».

كان هايز ينظر للرجل الأعمىٰ والفتاة.

قال إيونخ امري: «هاي!».

Twitter: @ketab_n

قالها ثم مد يده ووكزه علىٰ يده، وقال: «هاي! أنت، إنَّه يتحدث إليك».

وكزه إينوخ مرة أخرىٰ قبل أن ينظر للبائع.

قال البائع: «لماذا لا تأخذ واحدة لزوجتك في البيت».

تمتم هايز قائلًا: «ليس لدي زوجه!». ثم نظر مُجدَّدًا للرجل الأعمىٰ.

«حسنًا، لديك أمٌّ كبيرة عزيزة، أليس كذلك؟!».

«لا!».

«أُفٍّ ... حسنًا!».

ثم قال وهو يشير للناس بيده: «إنَّه يحتاج لواحدة من هذه الآلات فقط لتونسه في وحدته».

ظن إينوخ إمري أنَّ ذلك كان مضحكًا جدًّا لدرجة أنَّه انحنىٰ للأمام وضرب علىٰ ركبته، ولكن هايز لم ينظر إليه، وكأنه لم يسمعه بعد.

قال البائع: «سوف أقدم نصف دزينة من البطاطا المقشرة لأول شخص يشتري واحدة من هذه الآلات، من سيتقدم أولًا؟! فقط دولار ونصف مقابل آلة ستكلفكم ثلاثة دولارات بأي محل آخر».

بدأ إينوخ إمري بتحسس جيوبه، قال البائع: «ستشكرون اليوم الذي أتيتم به إلىٰ هنا، لن تنسوا ذلك أبدًا، كل واحد سيشترىٰ

Twitter: @ketab_n

واحدة من هذه الآلات لن ينسىٰ ذلك أبدًا».

كان الرجل الأعمىٰ يمشي ببطء للأمام، ويتمتم بصوت مشوَّش قائلًا: «ساعدوا مُبشِّرًا أعمىٰ، إذا لم تتوبوا، فتبرعوا بنكل (خمسة سنتات)! أستطيع أن أستفيد منه مثلكم، ساعدوا مُبشِّرًا أعمىٰ عاطلًا عن العمل، ألا تفضلوا أن أتسول علىٰ أن أبشر؟ تعالوا وأعطوا نكلًا إذا لم تتوبوا».

لم يكن يوجد الكثير من الناس، ولكن الموجودين بدأوا بالرحيل.

عندما رأىٰ البائع ذلك، مال فوق الطاولة باتجاه الرجل الأعمىٰ، وهو ينظر إليه بسخط، وقال: «هاي! أنت ... ماذا تظنُّ أنَّك فاعل؟! مَن تظنُّ نفسك، وأنت تنفر الناس من هنا هكذا؟!».

لم يُعِره الرجل الأعمىٰ أي انتباه، ظل يهزهز الكأس، وظلت البنت توزع المنشورات، مرَّ الرجل الأعمىٰ بجانب إينوخ إمري، وأتىٰ باتجاه **هايز**، وهو يضرب بالعصا البيضاء الطريق أمام قدمه. مال **هايز** للأمام ورأىٰ أنَّ الخطوط علىٰ وجهه لم تكن مرسومة، بل كانت ندوبًا.

صرخ البائع قائلًا: «بحق الجحيم ماذا تظن نفسك فاعلًا؟! أنا جمعت هؤلاء الناس، كيف تظنُّ أنَّه بإمكانك التدخل هكذا؟!».

قامت الفتاة بإعطاء هايز واحدة من المناشير، وقام بأخذها،

Twitter: @ketab_n

كانت الكلمات المكتوبة عليها من الخارج تقول: «**يسوع يناديك!**».

كان البائع يصرخ قائلًا: «بحق الجحيم من تظن نفسك؟!».

عادت الفتاة وناولته المنشور.

نظر إليها للحظة، وشفتاه ملويتان، وبدأ بعدها بالمشي غاضبًا حول طاولته الكرتونية، وقلب دلو البطاطا، ثم نظر بسخط حوله باحثًا عن الرجل الأعمىٰ.

تجمهر ناس جددٌ علىٰ أمل أن يروا شغبًا!

صرخ البائع قائلًا: «هؤلاء الملاعين المهووسون بيسوع . . . !».

ثم توقف عندما لَاحَظ وجود الجمع من الناس.

قال البائع: «اسمعوا يا إخوة! واحدًا تلو الآخر، يوجد ما يكفي للجميع، الرجاء عدم التدافع، سنقدم نصف دزينة من البطاطا المقشرة لأول شخص يتقدم ويشتري».

عاد يقف وراء الطاولة بهدوء، وبدأ بحمل علبة القشَّارة، وأكمل قائلًا: «تقدموا . . . يوجد ما يكفي للجميع، لا داعي للتجمهر».

لم يفتح هايز المنشور، لقد نظر إليه من الخارج، ثم قام بتمزيقه إلىٰ نصفين، ثم جمَّع القسمين، ومزقهما مجددًا، وظل يمزق القطع التي في يده، حتىٰ أصبح لديه حفنة من القصاصات

Twitter: @ketab_n

الورقية الصغيرة، ثم قلب يده، وترك القطع الممزقة تتناثر على الأرض. رفع نظره ووجد الفتاة المرافقة للرجل الأعمى على بعد ثلاثة أقدام منه، كانت تنظر إليه، كان فمها مفتوحًا، وكانت عيناها تومض تجاهه، كأنَّهما قطعتان من الزجاج الأخضر، كانت تحمل كيسًا من الخيش على كتفها. عبس هايز، وقام بفرك يديه الدبقتين على بنطاله.

قالت الفتاة: «لقد رأيتك!».

ثم تحركت بسرعة صوب مكان وقوف الرجل الأعمى، بجانب الطاولة الكرتونية، ثم التفتت ونظرت لهايز من هناك. كان معظم الناس قد رحلوا حينها.

مال البائع تجاه الرجل الأعمى، وقال له: «هاي! أظنُّ أنَّ هذا قد علَّمك درسًا؛ لأنَّك حاولت التدخل هكذا».

قال إينوخ إمري: «انظر! أنا لا أملك سوى دولار وستة عشر سنتًا . . .».

أكمل البائع قائلًا: «أجل! أظنُّ أنَّ هذا علمك أنَّك لا تستطيع أن تنافسني، لقد بعت ثماني قشَّارات، وبعت . . .».

قالت الفتاة المرافقة للرجل الأعمى: «أعطني واحدة منها». كانت تشير للقشارات.

قال البائع: «هاه!». كانت تفك عقدة منديل يحتوي على قطعتين من فئة الخمسين سنتًا.

Twitter: @ketab_n

ثم أعادت قائلة وهي تحمل النقود: «أعطني واحدة منها».

نظر البائع إليها وطرف فمه مرفوع، وقال: «دولار ونصف يا أختاه . . .».

سحبت الفتاة يدها بسرعة، ونظرت فجأة لهايز، كما لو كان قد أصدر صوتًا تجاهها.

كان الرجل الأعمىٰ قد بدأ بالسير بعيدًا، وقفت هناك لبرهة، ثم قامت بعدها بالالتفاف واللحاق به.

قال إينوخ إمري: «ليس لدي سوىٰ دولار وستة عشر سنتًا، أريد واحدة من هذه . . .».

قال له البائع: «يمكنك أن تحتفظ بها».

قالها، ثم رفع الدلو من فوق الطاولة، وأكمل قائلًا: «هذا ليس محل تخفيضات».

كان هايز يستطيع رؤية الرجل الأعمىٰ يمشي في الطريق من علىٰ مسافة منه. فوقف ينظر إليه، وكان يدخل ويخرج يديه من جيوبه كمن يريد التحرك إلىٰ الأمام والخلف في الوقت نفسه. ثم ألقىٰ فجأة دولارين ناحية البائع وأخذ صندوقًا من علىٰ الطاولة، وبدأ يركض في الطريق.

بعد برهة كان إينوخ إمري يلهث وهو بجانبه قائلًا: «أعتقد أنَّ لديك الكثير من النقود».

رأىٰ هايز البنت تلحق بالرجل الأعمىٰ وتقوده من كوعه.

Twitter: @ketab_n

كانوا علىٰ بعد حارة منه. أبطأ من سرعته قليلًا ورأىٰ إينوخ إمري بجانبه. كان إينوخ يلبس سترة بيضاء مائلة للصفار وقميصًا أبيض يميل للون الزهري وربطة عنق بلون البازلاء الخضراء. كان يبتسم وكان يبدو ودودًا ككلب صيد يعاني من جرب بسيط.

سأل إينوخ قائلًا: «منذ متىٰ وأنت هنا؟».

تمتم هايز قائلًا: «يومان!».

قال إينوخ: «أنا هنا منذ شهرين، أنا أعمل لصالح البلدية، أين تعمل أنت؟!».

قال هايز: «لا أعمل!».

قال إينوخ: «هذا مؤسف! أنا أعمل في البلدية».

ثم أخَّر نفسه خطوة؛ ليصبح بجانب هايز، وأكمل قائلًا: «أنا في الثامنة عشرة، ولم أتمم الشهرين هنا، وأعمل في البلدية».

قال هايز: «هذا جيد!».

ثم أنزل قبعته أكثر من ناحية إينوخ إمري، وبدأ يمشي بسرعة أكبر.

بدأ الرجل الأعمىٰ يصنع أقواسًا وهمية بعصاه يمينًا ويسارًا.

قال إينوخ: «لم أتعرف علىٰ اسمك!».

أخبره هايز باسمه.

وأكمل إينوخ قائلًا: «يبدو أنَّك تتبع هذين الشخصين، هل لديك اهتمام بأمور الدين؟!».

Twitter: @ketab_n

قال هايز: «لا!».

قال إينوخ: «أنا أيضًا، ليس كثيرًا، لقد التحقت بـ(أكاديمية الكتاب المقدس رودميل للبنين) لأربعة أسابيع، أرسلتني هناك المرأة التي أخذتني من أبي، كانت موظفة خدمة اجتماعية، يا إلهي! ظننت بعد أربعة أسابيع أنني سأصبح مجنونًا من كثرة التقديس والتطهير».

مشىٰ هايز لآخر الحارة، وظل إينوخ يمشي بجانبه، وهو يلهث ويتحدث.

عندما عبر هايز الشارع صاح إينوخ قائلًا: «ألا ترىٰ ضوء الإشارة، إنَّها تشير أنَّ عليك الانتظار!».

قام شرطي بنفخ صافرته، وضربت سيارة بوقها، وتوقفت علىٰ مقربة منه. عبر هايز التقاطع مبقيًا عينيه مركزة علىٰ الرجل العجوز في منتصف الحارة. ظل الشرطي ينفخ صافرته، وعبر الشارع إلىٰ مكان وجود هايز وأوقفه، كان وجهه نحيفًا وعيناه بيضاوين تشوبهما صفرة، سأل الشرطي وهو يشير إلىٰ إشارة المرور قائلًا: «هل تعلم ما سبب وجود هذا الشيء هناك؟!».

قال هايز: «لم أرها!».

نظر الشرطي إليه، ولم يقل شيئًا. توقف بعض الأشخاص!

نظر الشرطي إليه بانزعاج، وقال: «ربما ظننت أنَّ الضوء الأحمر للبيض، والأخضر للزنوج».

Twitter: @ketab_n

قال هايز: «نعم؛ هذا ما ظننت، أبعد يدك عنِّي».

أبعد الشرطي يده عن هايز، ووضعها علىٰ خصره، ثم تأخَّر خطوة للوراء، وقال: «أخبر أصدقاءك عن هذه الأضواء. الضوء الأحمر للوقوف والأخضر للسير. الرجال والنساء والبيض والزنوج كلهم يتبعون الضوء نفسه. أخبر أصدقاءك حتىٰ يعرفوا ذلك عندما يأتون للمدينة».

فأخذ الناس في الضحك!

قال إينوخ إمري وهو يدفع نفسه بجانب الشرطي: «سأهتم به، هو هنا منذ يومين فقط، سأهتم به!».

سأل الشرطي: «منذ متىٰ وأنت هنا؟!».

قال إينوخ: «أنا ولدت وتربيت هنا، هذه مدينتي، سأهتم به، هاي انتظر!».

صاح باتجاه هايز: «انتظرني!».

دفع نفسه بين جموع الناس ولحق به، وقال: «أظنُّني أنقذتك هذه المرة!».

قال هايز: «أنا ممتن لك!».

قال إينوخ: «لم يكن شيئًا يُذكر، لماذا لا نذهب لمتجر *(Walgreen)*، ونشتري بعض المياه الغازية؟ لا توجد نوادٍ ليلية مفتوحة بهذا الوقت المبكر!».

قال هايز: «أنا لا أحب المتاجر، إلىٰ اللقاء».

Twitter: @ketab_n

قال إينوخ: «لا بأس! أعتقد أنَّني أستطيع أن أمشي معك وأرافقك قليلًا».

نظر إلىٰ الأمام تجاه الرجل الأعمىٰ والفتاة، وقال: «أنا لا أحب أن أختلط بهذه الأنواع من الناس في هذا الوقت من المساء، بالذات هذا النوع المتدين، أنا اكتفيت منهم، تلك المرأة التي أخذتني من أبي لم تكن تفعل شيئًا طوال الوقت إلَّا الصلاة. كُنَّا أنا وأبي نتنقل مع ورشة للنجارة، حيث كُنَّا نعمل، ومرة في فصل الصيف كانت الورشة خارج مدينة بونفيل وأتت تلك المرأة».

ثم أمسك بمعطف هايز، وأكمل بشكل سري بينهما قائلًا: «اعتراضي الوحيد علىٰ مدينة تولكنهام هو أنَّ فيها الكثير من الناس في الشارع، يبدو أنَّ كل ما يريدون فعله هو أن يطرحوك أرضًا، أتت تلك المرأة علىٰ كل حال وأبدت إعجابها بي. لقد كنت في الثانية عشرة، وكنت أستطيع أن أغني جيدًا بعض الترانيم التي تعلمتها من رجل زنجي، أتت تلك المرأة وبادلتني من أبي وأخذتني لمدينة بونفيل لأعيش معها. كان لديها بيت مصنوع من القرميد وكانت لا تتحدث طوال اليوم إلَّا عن يسوع!».

ثم اصطدم به رجل صغير الحجم بدا أنَّه ضائع في ثياب عمله الكبيرة.

قال إينوخ متذمرًا: «لماذا لا تنظر إلىٰ أين تذهب؟!».

وقف الرجل الصغير ورفع يده بشكل عدواني، وبدت علىٰ

Twitter: @ketab_n

وجهه نظرة بغيضة تشبه نظرة الكلاب، **وزمجر قائلًا**: «ماذا تقول يا هذا؟!».

قال إينوخ وهو يقفز وراء هايز محاولًا اللحاق به: «أرأيت ذلك، كل ما يريدون فعله هو طرحك أرضًا. لم أسكن من قبل في مكان غير ودود كهذا، حتىٰ مع تلك المرأة، سكنت معها لشهرين، وعندما جاء الخريف أرسلتني لـ(**أكاديمية الكتاب المقدس رودميل للبنين**)، وظننت أنَّ ذلك سيكون أخفَّ علي من السكن معها!

لقد كانت تلك المرأة صعبة المراس، لم تكن كبيرة في السن، أظنُّها كانت في الأربعين من العمر، ولكنَّها كانت قبيحة. كانت تلبس نظارات بنية اللون، وكان شعرها رفيعًا جدًّا، لدرجة أنَّه كان يبدو كصلصة مصنوعة من لحم الخنزير، مصبوبة فوق جمجمتها. ظننت أنَّ العيش في الأكاديمية سيكون أخف وطأة. حاولت مرة أن أهرب، ولكنَّها أعادتني، وعرفت حينها أنَّها تمتلك أوراقًا تعطيها الحق بإرسالي للسجن الإصلاحي إذا لم أمكث معها؛ **لذلك**: كنت مسرورًا بالذهاب للأكاديمية، هل ذهبت لأكاديمية من قبل؟!».

لم يبدُ أنَّ **هايز** قد سمع السؤال!

قال إينوخ: «حسنًا ... لم يكن الحال أفضل، يا إلهي! لم يكن الحال أفضل، هربت من هناك بعد أربعة أسابيع، ثم وجدتني، وأرجعتني لبيتها مجددًا، ولكنِّي هربت رغم ذلك!».

ثم تمهّل لدقيقة، وقال: «أتريد أن تعرف كيف؟!».

Twitter: @ketab_n

قال بعد لحظة: «لقد أخفتها لدرجة الموت، لقد درست ودرست الموضوع، حتىٰ إني دعوت قائلًا: «يا يسوع أرشدني لطريق الهروب من هنا من دون أن أقتل تلك المرأة، أو يقع إرسالي للسجن الإصلاحي!»، ولقد استجاب لي. استيقظت ذات صباح عندما كان الضوء قد بدأ بالظهور وذهبت لغرفتها دون أن ألبس بنطالي وسحبت الغطاء من عليها، وسببت لها نوبة قلبية، ثم عدت لوالدي، ولم نرها منذ ذلك الوقت!».

ثم قال وهو يراقب وجه هايز: «فكُّكَ يتحرك بشكل بطيء، ولا تضحك أبدًا. لن أستغرب لو كنت رجلًا غنيًّا جدًّا!».

انعطف هايز في أحد الشوارع الجانبية، كان الرجل الأعمىٰ والبنت يقفان عند زاوية الحارة التالية.

قال إينوخ: «حسنا، أظنُّ أنَّنا سوف نلحق بهم في النهاية، هل تعرف الكثير من الناس هنا؟».

قال هايز: «لا!».

قال إينوخ: «ولن تتعرف علىٰ أحدٍ! هذا المكان يصعب فيه تكوين الأصدقاء، أنا أسكن هنا منذ شهرين ولا أعرف أحدًا، يبدو أنَّه كلَّ ما يريدونه هو أن يطرحوك أرضًا، أراهن أنَّك تمتلك كمية كبيرة من المال!».

قال هايز: «لا، حتىٰ لو كنت أملك ذلك؛ فلن أعرف ماذا أفعل به!».

Twitter: @ketab_n

توقف الرجل الأعمىٰ والبنت عند الزاوية، وانعطفا عند الجانب الأيسر من الشارع.

قال إينوخ: «نحن نقترب منهم، أراهن أنَّه سينتهي بنا الأمر في اجتماع ننشد الترانيم معها هي وأبوها إذا لم نتوخَّ الحذر!».

كان في نهاية الشارع مبنىٰ كبير له أعمدة وقبَّة. وكان الرجل الأعمىٰ والبنت الصغيرة يتجهان صوبه. كان هناك سيارات واقفة في كل مكان حول المبنىٰ وفي الطرف الآخر من الشارع، وفي الشوارع المجاورة أيضًا.

قال إينوخ: «هذه ليس صالة لعرض الأفلام!».

صعد الرجل الأعمىٰ والبنت الدرج المؤدي للمبنىٰ، كان الدرج يمتد عبر الباحة الأمامية، وكان يوجد هناك تماثيل لأسود يجلسون علىٰ ركائز علىٰ جانبي الدرج.

قال إينوخ: «هذه ليست كنيسة!».

توقف **هايز** عند الدرج، كان يبدو كما لو كان يحاول أن يستقر علىٰ تعبير لوجهه. ثم جذب القبعة السوداء إلىٰ الأمام بزاوية حادة، ومشىٰ باتجاه الاثنين اللذَيْن كانا قد جلسا عند الزاوية بجانب أحد الأسود.

اقترب **هايز** من مكان الرجل الأعمىٰ دون أن يقول شيئًا، ووقف أمامه، ومال كما لو كان يحاول أن يرىٰ من خلال النظارات السوداء. كانت الفتاة تنظر إليه.

Twitter: @ketab_n

تمدد فم الرجل قليلًا، وقال: «أستطيع أن أشمَّ الخطيئة في رائحة زفيرك!».

تراجع **هايز** للخلف.

تابع الرجل: «لماذا كنت تتبعني؟!».

قال هايز: «أنا لم أكن أتبعك!».

قال الرجل الأعمىٰ، وهو يشير إلىٰ الفتاة: «هي زعمت أنَّك كنت تتبعنا».

قال هايز: «أنا لم أكن أتبعك».

وتحسس صندوق القشارة في يده ونظر للبنت. كانت قبعتها السوداء المنسوجة تصنع خطًّا مستقيمًا عبر جبينها. ابتسمت البنت فجأة، ثم تغيرت تعابيرها بسرعة كما لو كانت قد اشتمت رائحة سيئة.

قال هايز: «أنا لم أتبعك لأي مكان، أنا كنت أتبعها هي . . .!».

ثم قدَّم لها القشارة.

في البداية كان يبدو أنَّها ستأخذها، ولكنَّها لم تفعل.

قالت: «أنا لا أريد هذا الشيء، لماذا تظنُّ أنَّني أريد ذلك الشيء؟! خذه، هو ليس لي، أنا لا أريده!».

قال الرجل الأعمىٰ: «خذيه، ضعيه في حقيبتك واخرسي قبل أن أضربك».

Twitter: @ketab_n

أعطاها هايز القشارة مرة أخرىٰ.

قالت: «لن آخذها».

قال الرجل الأعمىٰ: «خذيه كما قلت لك، لم يكن يتبعك أنت».

فأخذته ووضعته في حقيبتها، حيث كانت المنشورات موجودة.

قالت: «إنَّها ليست لي، أخذتها ... ولكنَّها ليست لي ...».

قال هايز وهو ينظر للرجل الأعمىٰ: «لقد تبعتها لأقول لها إنَّني لست مسرورًا من النظرة القاسية التي رمقتني بها من قبل».

صاحت البنت قائلة: «أيُّ نظرة؟!».

ثم قالت وهي تربت علىٰ كتف الرجل الأعمىٰ: «أنا لم أنظر إليك نظرة قاسية. أنا شاهدتك وأنت تمزق المنشور الديني، لقد مزقه لقطع صغيرة، لقد مزقه ورماه علىٰ الأرض، كما لو كان يرش ملحًا، ومسح يديه علىٰ بنطاله».

قال الرجل الأعمىٰ: «لقد تبعني أنا، لم يكن أحدٌ ليتبعك، أنا أسمع في صوته الشوق إلىٰ يسوع».

تمتم هايز مناديًا: «يسوع ... يا يسوع ...».

جلس **هايز** بحذاء قدم الفتاة، ووضع يده علىٰ الدرجة المجاورة لقدمه. كانت تلبس حذاءً رياضيًّا وجوارب قطنية سوداء.

Twitter: @ketab_n

قالت بصوت منخفض: «استمع إليه، وهو يتهكم هكذا! لم يلحق بك أبدًا يا أبي . . .».

ضحك الرجل الأعمىٰ ضحكته المتهكمة، وقال: «اسمع يا فتىٰ، لا تستطيع أن تهرب من يسوع، يسوع حقيقة!».

قال إينوخ: «أنا أعرف الكثير عن يسوع، لقد ارتدت **(أكاديمية الكتاب المقدس رودميل للبنين)**، حيث إنَّ امرأة أرسلتني إلىٰ هناك. إذا كان هناك أي شيء تريد معرفته عن يسوع فاسألني أنا».

ثم جلس علىٰ ظهر الأسد ووضع رجلًا فوق الأخرىٰ.

قال هايز: «**لقد مرَّ وقت طويل منذ أن آمنت بأي شيء**. وقت يكفي لكي أدور حول نصف العالم!».

قال إينوخ: «وأنا كذلك . . .».

قال الرجل الأعمىٰ: «ولكنَّه لم يكن كافيًا ليمنعك من اللحاق بي!».

ثم مدّ يديه فجأة، وتحسس وجه هايز، لبرهة من الزمن، لم يتحرك هايز أو يصدر أي صوت، **ثم أبعد يديه، وقال:** «يكفي هذا، أنت لا تعلم شيئًا عني . . .».

قال إينوخ من فوق الأسد: «شكل أبي يشبه شكل المسيح، شعره يتدلىٰ من فوق كتفه. الفرق الوحيد هو أنَّ أبي يملك ندبة علىٰ ذقنه. لكنِّي لم أرَ شكل أمي!».

Twitter: @ketab_n

قال الرجل الأعمىٰ، وهو يضحك ضحكة خفيفة: «لقد ترك مُبشِّرٌ ما بصمته عليك، هل لحقت بي؛ كي أزيلها، أو كي أضع واحدة جديدة عليك؟!».

قالت الفتاة فجأة: «اسمع، لا يوجد حل لآلامك سوىٰ يسوع!».

ثم ربتت علىٰ كتف **هايز**.

جلس **هايز** هناك، وقبعته مائلة للأمام علىٰ وجهه!

قالت الفتاة بصوت أعلىٰ: «اسمع ... كان هناك رجل وامرأة قتلا طفلًا صغيرًا. لقد كان طفلها، ولكنَّه كان بشعًا، ولم تعطه أي مقدار من الحب. كان لدىٰ الطفل يسوع، ولم يكن لدىٰ المرأة سوىٰ جمالها، والرجل الذي كانت تعيش في الفاحشة معه. فقد أرسلت الطفل بعيدًا، وعاد مجددًا، ثم أرسلته بعيدًا، وعاد مجددًا. وكلما كانت ترسله بعيدًا؛ كان يعود مجددًا للمكان الذي كانت تعيش فيه لترتكب الفاحشة مع ذلك الرجل. قاموا بعد ذلك بخنقه حتىٰ الموت باستخدام جورب من الحرير، وعلقوه علىٰ المدفأة، ولكنَّها لم تحصل علىٰ أي راحة بال بعد ذلك. كانت ترىٰ الطفل في كل مكان تنظر إليه. لقد جعل يسوع شكله جميلًا كي تطاردها صورته مثل الأشباح في كل مكان. لم تستطع بعدها أن تنام دون أن تراه يحدق بها من المدفأة، كان يسطع من خلال قطع الطوب في منتصف الليل».

تمتم هايز قائلًا: «يا يسوع ...!».

Twitter: @ketab_n

قالت بصوت عالٍ سريع: «لم يكن لديها سوىٰ جمالها، وهذا لا يكفي أبدًا».

قال الرجل الأعمىٰ: «إنِّي أسمع صوت أرجلهم في الداخل، جهزي الأوراق، إنَّهم علىٰ وشك الخروج».

ردت قائلة: «إنَّها لا تكفي!».

قال إينوخ: «ماذا ستفعلون؟ ماذا يوجد في داخل ذلك المبنىٰ؟!».

قال الرجل الأعمىٰ: «القداس علىٰ وشك أن ينتهي، هؤلاء المصلون هم جماعتي».

أخرجت الفتاة الأوراق من حقيبتها المصنوعة من الخيش، وأعطته رزمتين مربوطتين من الأوراق.

قال الرجل الأعمىٰ لها: «اذهبي أنت والفتىٰ الآخر للطرف المقابل، ووزعوا الأوراق، وسأبقىٰ أنا والفتىٰ الذي كان يتبعني هنا».

قالت: «هو لا يملك الحق بأن يلمس هذه الأوراق، هو لا يريد سوىٰ أن يمزقها».

قال الرجل الأعمىٰ: «اذهبي، وافعلي كما قلت لك ...».

وقفت هناك لبرهة وهي كالمتذمرة، ثم قالت لإينوخ: «تعالَ معي إذا كنت تريد المجيء».

قفز إينوخ من فوق الأسد، وتبعها نحو الطرف الآخر.

Twitter: @ketab_n

انزلق هايز درجة إلىٰ الأسفل، ولكن يد الرجل الأعمىٰ امتدت وأمسكت بيده بإحكام.

همس له بسرعة قائلًا: «تُب! اذهب إلىٰ أعلىٰ الدرج وأعلن توبتك من ذنوبك، ووزع هذه الأوراق علىٰ الناس!».

ثم وضع حزمة من الأوراق في يد هايز. حرك هايز يده ذهابًا وإيابًا محاولًا أن يتخلص منه، ولكنَّه قام بشده أكثر باتجاهه.

قال: «اسمع! أنا طاهر مثلك».

قال الرجل الأعمىٰ: «زنا، وكفرٌ، وماذا أيضًا؟!».

قال هايز: «ليست سوىٰ كلمات، إذا كنت عاصيًا، إذن؛ فأنا كنت كذلك قبل أن أقترف أيًّا من تلك المعاصي، فأنا لم يطرأ علي أي تغيير».

كان يحاول أن يقتلع أصابع الرجل الأعمىٰ من فوق يده، ولكنَّه بقي يمسك به بإحكام.

قال هايز: «أنا لا أؤمن بشيء اسمه معصية، ارفع يدك عني . . .».

قال الرجل الأعمىٰ بصوت خافت زائف: «يسوع يحبك . . . يسوع يحبك . . .».

قال هايز: «**لا شيء يهم، طالما أنَّ يسوع غير موجود!**».

ثم سحب يده محررًا إياها.

«اذهب إلىٰ أعلىٰ الدرج ووزع هذه الأوراق و . . .».

Twitter: @ketab_n

صرخ هايز قائلًا: «سآخذها هناك وألقي بها فوق الشجيرات! انظر وسترىٰ، هل تستطيع أن ترىٰ؟!».

صرخ الرجل الأعمىٰ قائلًا: «أستطيع أن أرىٰ أكثر منك، أنت تمتلك أعينًا، ولكنَّك لا ترىٰ! وآذانًا، ولكنك لا تسمع! **ولكن لا بُدَّ أن ترىٰ في يوم ما**».

قال هايز: «انظر إذا كنت تستطيع أن ترىٰ!».

وبدأ بالركض إلىٰ أعلىٰ الدرج.

كان جمعٌ من الناس قد بدأوا بالخروج من أبواب القاعة، وكان بعضهم في منتصف الدرج متجهًا للأسفل. تدافع خلالهم وأكواعه مفرودة للخارج كما لو كانوا أجنحة حادة، وعندما وصل للقمة دفع حشد منهم إيَّاه لنفس المكان الذي بدأ منه تقريبًا.

وشقَّ طريقه خلالهم مجددًا، حتىٰ صرخ أحدهم قائلًا: «أفسحوا مجالًا لهذا الأحمق!».

وابتعد الناس عن طريقه. أسرع للقمة وشقَّ طريقه إلىٰ الجانب ووقف هناك، كان يلهث وتعلو وجهه نظرة ساخطة.

قال بصوت عالٍ: «أنا لم أتَّبعه أبدًا، لم أكن لأتَّبع رجلًا أحمقَ أعمىٰ كهذا، يا يسوع . . .!».

ووقف مقابل المبنىٰ، وهو يحمل رزمة الأوراق من الخيط المربوط حولها. وقف رجل بدين بجانبه ليشعل سيجارة، فقام هايز بدفع كتفه، وقال: «انظروا للأسفل، أترون ذلك الرجل الأعمىٰ

Twitter: @ketab_n

هناك؟ إنَّه يوزع الأوراق الدينية ويتسوَّل. يا يسوع! يجب عليكم أن تروه، ومعه فتاة قبيحة ترتدي ملابس النساء توزع الأوراق. يا يسوع!».

قال الرجل البدين: «يوجد دائمًا أناس متعصبون!».

ثم تابع سيره . . .

قال هايز: «يا يسوع!».

ثم مال باتجاه امرأة كبيرة في السن تملك شعرًا أزرقَ، وتلبس عقدًا مصنوعًا من الخرز الخشبي الأحمر قائلًا: «من الأفضل أن تذهبي للطرف الآخر، يوجد مغفل هناك يوزع المنشورات الدينية».

دفع الحشد المرأة للأمام، ولكنَّها نظرت إليه للحظة بعينيها الصغيرتين. فبدأ بالسير نحوها خلال الحشود غير أنَّها كانت بعيدة جدًّا فزجَّ به إلىٰ المكان الذي كان يقف عنده مقابل الحائط.

قال: «يسوع المسيح المصلوب، أريد أن أقول لكم شيئًا أيُّها الناس، ربما تظنُّون أنَّكم لستم طاهرين إذا لم تؤمنوا. دعوني أخبركم أنَّكم طاهرون. كل واحد منكم طاهر ودعوني أخبركم السبب، إذا كنتم تظنُّون أنَّ السبب هو أنَّ المسيح يسوع صُلِب؛ فأنتم مخطؤون. أنا لا أقول إنَّه لم يصلب، ولكنَّني أقول إنَّه لم يصلب لأجلكم. اسمعوني، أنا مبشرٌ وأبشر بالحقيقة».

كان الحشد يتحرك بسرعة، كان يبدو كما لو كان قطعة من

Twitter: @ketab_n

الصوف المحاك قد تفككت خيطانها، ثم اختفت تلك الخيوط في الأزقَّة المظلمة.

ثم قال هايز وهو يبكي: «ألست أعرف ما يوجد وما لا يوجد؟ ألا يوجد لدي عينان في رأسي؟ هل أنا أعمىٰ؟!».

ثم نادىٰ قائلًا: «اسمعوا، سوف أبشر لكنيسة جديدة، كنيسة لا يوجد فيها المسيح يسوع المصلوب. لن يكلفكم الانضمام لهذه الكنيسة شيئًا. هي ليست قائمة بعد، ولكنَّها ستتأسس . . .».

نظر من بقي من الناس له مرة أو مرتين. كانت بعض المنشورات الدينية مبعثرة علىٰ الرصيف والطريق أسفل منه، وكان الرجل الأعمىٰ يجلس علىٰ الدرجة الأخيرة من السلم، كان إينوخ ايمري في الطرف الآخر، يحاول أن يوازن نفسه وهو يقف علىٰ رأس الأسد، وكانت الفتاة تقف بجانبه وهي تنظر إلىٰ هايز. قال هايز: «أنا لا أحتاج إلىٰ يسوع، لماذا أريد يسوع؟ لدي ليورا واتس».

نزل الدرج ببطء إلىٰ حيث يوجد الرجل الأعمىٰ وتوقف. وقف هناك لبرهة ثم ضحك الرجل الأعمىٰ. فابتعد هايز وبدأ في العبور إلىٰ الطرف الآخر من الشارع. كان قد وصل إلىٰ الطرف الآخر قبل أن يلحقه الصوت. فالتفت وراءه ورأىٰ الرجل الأعمىٰ واقفًا في منتصف الطريق وهو يصرخ قائلًا: «هاوكس، هاوكس، اسمي أيسا هاوكس، هذا حتىٰ تستطيع أن تتعقبني مجددًا» انحرفت سيارة بحدة عن مسارها كي لا تصطدم به. «تُب!» قالها بصوت

Twitter: @ketab_n

عالٍ وضحك وركض بعدها للأمام قليلًا متظاهرًا أنه سيلحق بهايز ويمسك به.

أخفض هايز رأسه بين كتفيه المرفوعتين وأكمل مسرعًا. لم ينظر للوراء حتىٰ سمع أصوات خطوات خلفه آتية باتجاهه.

قال إينوخ إيمري لاهثًا: «بما أننا انتهينا منهم، لماذا لا نذهب إلىٰ مكانٍ ما ونلهو قليلًا؟»

قال هايز بحدة: «اسمع، لدي أعمال خاصة ولقد رأيت كفايتي منك»، ثم بدأ بالسير بسرعة شديدة.

أسرع إينوخ محاولًا اللحاق به ثم قال: «أنا هنا منذ شهرين ولا أعرف أحدًا. الناس هنا ليسوا لطفاء. أنا أسكن في غرفة ولا أحد يسكن هناك إلا أنا. أخبرني أبي أنني يجب أن آتي إلىٰ هنا. لم أكن لآتي لولا أنه أجبرني. أظن أنني رأيتك في مكان ما من قبل. هل أنت من ستوكويل؟»

«لا»

«ميلزي؟»

«لا»

قال إينوخ: «المنشرة عملت هناك لفترة، تبدو مألوف الوجه»

ثم انطلقوا سويًا دون أن يقولا أي شيء حتىٰ وصلوا للشارع الرئيس مجددًا، كان فارغًا من الناس تقريبًا. قال هايز: «وداعًا»

قال إينوخ بصوت مكتئب: «أنا ذاهب من هذا الاتجاه

Twitter: @ketab_n

أيضًا». كان يوجد علىٰ اليسار صالة لعرض الأفلام وكانوا يغيرون اللائحة الكهربائية. تمتم إينوخ قائلًا: «لو لم نضيع وقتنا مع هؤلاء الاثنين لكان ممكنا أن نذهب ونرىٰ عرضًا» كان يمشي بجانب كوع هايز، يتحدث متمتمًا نصف الوقت ومهمهمًا في النصف الآخر. عندما لحق بكمِّ قميصه أمسك به ليحاول أن يخفف من سرعته ولكن هايز أبعد يده. فقال بصوت متذبذب: «أبي هو من أجبرني علىٰ القدوم». نظر هايز إليه ورآه يبكي، كان وجهه الزهري متشققًا ورطبًا. قال وهو يبكي: «أنا فقط في الثامنة عشرة من العمر، وهو أجبرني علىٰ القدوم هنا وأنا لا أعرف أحدًا. لا أحد هنا يهتم لأمر الآخر، ليسوا لطفاء أبدًا. لقد رحل مع امرأة وأجبرني علىٰ القدوم إلىٰ هنا، ولكنها لن تستمر طويلًا معه، سيبرحها ضربًا قبل أن تقرر البقاء. أنت الوجه المألوف الأول الذي أراه منذ شهرين. لقد رأيتك من قبل في مكان ما. أنا متأكد أنني رأيتك من قبل في مكان ما»

نظر هايز إلىٰ الأمام مباشرة وظل إينوخ يتحدث بصوته الجامع بين التمتمة والنحيب. لقد مرَّا بجانب كنيسة وفندق ومحل لبيع الأغراض العتيقة ثم انحرفا تجاه الشارع الذي تقطن فيه السيدة واتس.

قال إينوخ: «إذا كنت تريد امرأة، فليس عليك أن تتبع فتاة مثل التي أعطيتها القشارة قبل قليل، سمعت عن بيت حيث يمكن أن نستمتع بوقتنا. بإمكاني أن أعيد لك النقود في الأسبوع القادم»

Twitter: @ketab_n

قال هايز: «انظر، أنا ذاهب لمكان معين، بعد بابين من هنا. لدي امرأة، لدي امرأة، أفهمت؟ وأنا ذاهب إلىٰ هناك لأزورها. أنا لا أحتاج للذهاب معك»

قال إينوخ: «يمكنني أن أدفع لك الأسبوع المقبل. أنا أعمل في حديقة الحيوانات. أنا أحرس البوابة وأحصل علىٰ مرتب كل أسبوع»

قال هايز: «ابتعد عني»

«الناس هنا غير ودودين. أنت لست من هنا ولكنك لست ودودًا أيضًا»

لم يجبه هايز، وأكمل طريقه مخفضًا عنقه بين كتفيه كما لو كان يشعر بالبرد.

قال إينوخ: «أنت لا تعرف أحدًا هنا أيضًا، ليس لديك امرأة ولا شيء لتفعله. لقد عرفت عندما رأيتك لأول مرة أنك لا تملك أحدًا إلا يسوع. لقد رأيتك وعرفت ذلك»

قال هايز: «أنا ذاهب لهذا المكان»، ثم استدار وصعد الدرج من دون أن ينظر وراءه إلىٰ إينوخ.

توقف إينوخ وقال وهو يبكي: «حسنًا، حسنًا» ثم مسح مخاط أنفه بكمِّه وقال وهو يبكي: «حسنًا، اذهب للمكان الذي تريد، ولكن انظر هنا» ثم ضرب علىٰ جيبه وركض وأمسك بكمِّ قميص هايز وهزَّ صندوق القشارة أمامه وقال: «لقد أعطتني إياه. لقد

Twitter: @ketab_n

أعطتني إياه ولا تستطيع فعل شيء حيال ذلك. أخبرتني بمكان سكنهم وطلبت مني أن أزورهم وأن أحضرك معي، لا أن تحضرني أنت، بل أن أحضرك أنا، وأنت من كنت تتبعهم». ومضت عيناه من خلال الدموع وعلت وجهه ابتسامة شريرة وقال «أنت تتظاهر أنك تملك دمًا أكثر حكمة من بقية الناس، ولكنك لا تملك ذلك! أنا من أمتلك ذلك. أنا لا أنت»

لم يقل هايز أي شيء. وقف هناك لبرهة في منتصف الدرج، ثم رفع يده ورمىٰ بحزمة المنشورات الدينية. أصابت حزمة الأوراق صدر إينوخ وفمه، وظل إينوخ فاتحًا فمه من أثر الضربة. وقف إينوخ ينظر وفمه مفتوح إلىٰ المكان الذي أصابته الحزمة فيه، ثم استدار للخلف ومشىٰ مبتعدًا ودخل هايز للبيت.

بما أن الليلة الماضية كانت أول مرة ينام فيها هايز مع امرأة، فإنه لم يكن موفَّقًا مع السيدة واتس، كان كالموجة العابرة علىٰ شاطئها، فقد أصدرت تعليقاتٍ تعبر عن عدم رضاها عنه، كان يتذكر تعليقاتها أحيانًا وينساها أحيانًا. لم يكن متشجعًا للذهاب إليها مجددًا، لم يكن يعلم ماذا ستقول عندما يقوم بفتح الباب وتراه واقفًا أمامها.

عندما فتح الباب ورأته قالت: «ها ها»، كانت القبعة تقبع علىٰ رأسه باتزان، دخل والقبعة علىٰ رأسه وقام بخلعها عندما ضغط علىٰ المفتاح الكهربائي للمصباح المتدلي من السقف. كانت السيدة واتس علىٰ السرير تضع مرهمًا دهنيًا علىٰ وجهها. وأسندت

Twitter: @ketab_n

ذقنها علىٰ يدها ونظرت إليه. فبدأ بالتحرك في الغرفة، يتفحص هذا وذاك. شعر بأنَّ حلقه يزداد جفافًا، وأنَّ قلبه يزعزع كيانه كقرد يمسك بقضبان قفصه ويهزُّها. جلس علىٰ طرف السرير وقبعته في يده.

كانت ابتسامة السيدة واتس حادة ومقوسة تشبه نصل المنجل. كان واضحًا أنَّها كانت متكيفة لدرجة أنَّها لم تكن تحتاج للتفكير. كانت عيناها واسعة تتسع لاحتواء كل شيء، كانت كالرمال المتحركة.

قالت له: «هذه القبعة لمُتَّبِعِي يسوع!».

ثم اعتدلت ونزعت فستان نومها من عليها، وأخذت قبعته ولبستها علىٰ رأسها، وجلست واضعة يديها علىٰ خصرها، وهي تنظر إليه بشكل هزلي. حدَّق هايز لدقيقة وأصدر بعدها ثلاثة أصوات كانت أصوات ضحكات. فقفز وأطفأ الضوء وخلع ثيابه في الظلام.

عندما كان هايز صغيرًا، أخذه والده لمهرجان في ميلسي. كان هناك خيمة في الجانب يكلف الدخول لها أكثر بقليل من غيرها، وكان يقف علىٰ مدخلها رجل جافٌّ ذو صوت يشبه صوت البوق. قال: إنَّ الموجود في الداخل مثيرٌ جدًّا، وإنَّ علىٰ من يرغب بالدخول دفع خمسة وثلاثين سنتًا، وإنَّ الموجود حصريٌّ جدًّا، فلا يسمح لغير خمسة عشر شخصًا بالدخول في المرة الواحدة. أرسله والده لخيمة فيها قردان يرقصان واتجه لتلك

Twitter: @ketab_n

الخيمة. فترك هايز القردة ولحق به، ولكنه لم يكن يملك خمسة وثلاثين سنتًا. فسأل الحارس عمَّا يوجد في الداخل.

قال الرجل: «ارحل من هنا! لا يوجد موسيقىٰ أو قردة هنا».

قال هايز: «لقد رأيت هذه الأشياء . . .».

قال الرجل: «حسنًا . . . اذهب!».

قال هايز: «لدي خمسة عشر سنتًا، لماذا لا تدعني أدخل وأرىٰ نصف العرض فقط؟».

كان يظنُّ أنَّه شيء سري، ثم فكر أنَّه إن كان شيئًا سريًّا بين رجل وامرأة، فلن ترغب المرأة بوجوده هناك.

ثم قال: «أملك خمسة عشر سنتًا».

قال الرجل وهو يستخدم قبعته الخشبية كمروحة: «انتهىٰ أكثر من نصف العرض، اذهب بعيدًا».

قال هايز: «إذن ستكفي الخمسة عشر سنتًا لبقية العرض».

قال الرجل: «ارحل!».

سأل هايز قائلًا: «أهو رجل زنجي؟ هل يفعلون شيئًا لرجل زنجي في الداخل؟!».

استند الرجل علىٰ منصته وتوهَّج وجهه ساخطًا، وقال: «من أين أتيت بهذه الفكرة؟!».

قال هايز: «لا أعلم!».

Twitter: @ketab_n

سأل الرجل: «كم عمرك؟!».

قال هايز: «اثنا عشر عامًا». وقد كان في العاشرة

قال الرجل: «أعطني الخمسة عشر سنتًا، وادخل للخيمة».

وضع هايز النقود علىٰ المنصة، وأسرع داخلًا قبل أن ينتهي العرض. دخل الخيمة ووجد خيمة أخرىٰ في الداخل، فدخل من خلال الخيمة الأخرىٰ ورأىٰ ظهور الرجال. صعد علىٰ مقعد ونظر من فوق رؤوسهم. كانوا ينظرون لمكان في الأسفل حيث كان شيء أبيضٌ ممدًا وهو يتلوَّىٰ في صندوقٍ مبطن بقماش أسود. للحظة ظنَّ أنَّه كان حيوانًا مسلوخ الجلد، ولكنَّه بعد ذلك رأىٰ أنَّها كانت امرأة!

كانت بدينة، وكانت تملك وجهًا عاديًّا، ولكنها كانت تملك شامةً علىٰ طرف شفتها، كانت تلك الشامة تتحرك كلما ابتسمت، وكانت تملك شامة أخرىٰ علىٰ جنبها.

قال والده وكان موجودًا في المقدمة: «عليهم أن يركبوها في الصندوق بشكل دائم، حتىٰ يصبح الاستخدام أسرع».

تعرف هايز علىٰ الصوت دون أن ينظر. فنزل من علىٰ المقعد وأسرع خارجًا من الخيمة، وانسلَّ من أحد أطراف الخيمة الخارجية؛ لأنَّه لم يرد أن يمر بجانب الحارس. ركب في مؤخرة الشاحنة، وجلس في الزاوية البعيدة منها. كان يصدر من المهرجان في الخارج أصوات هدير عالية.

Twitter: @ketab_n

كانت أمه واقفة بجانب حوض الغسيل في الباحة الأمامية وكانت تنظر إليه. عندما عاد للبيت. كانت تلبس ملابس سوداء طول الوقت، وكانت ملابسها أطول من ملابس بقية النساء. كانت تقف هناك باستقامة وكانت تنظر إليه. فذهب وراء شجرة وتوارىٰ عن نظرها. ولكنه بعد بضع دقائق كان يشعر أنَّها تحدق فيه من خلال الشجرة. رأىٰ المكان المنخفض والصندوق مرة أخرىٰ ورأىٰ امرأة نحيفة في الصندوق، كانت أطول من أن تتسع فيه، كان رأسها خارج الصندوق وكانت ركبتاها مطويتين حتىٰ تتسع في المكان. كان لها وجه يشبه الصليب وشعرٌ متدلٌ علىٰ وجهها. كان يقف مستقيمًا بجانب الشجرة وهو ينتظر. تركت حوض الغسيل وتحركت باتجاهه وهي تحمل عصًا.

قالت له: «ماذا رأيت؟!».

قالت له: «ماذا رأيت؟!».

قالت له: «ماذا رأيت؟!».

مستخدمة نفس نبرة الصوت كل الوقت.

وضربته علىٰ قدميه بالعصا، ولكنَّه كان كأنَّه جزء من الشجرة.

قالت: «يسوع مات ليتوب عليك!».

تمتم قائلًا: «لم أطلب منه ذلك!».

لم تضربه مرة أخرىٰ، ولكنَّها وقفت تنظر إليه، كان فمها مغلقًا، ونسي هايز الذنب الذي ارتكبه في الخيمة بسبب الذنب

Twitter: @ketab_n

الذي لا اسم له القابع بداخله. بعد دقيقة قامت برمي العصا بعيدًا، وعادت لمكان حوض الغسيل، وفمها مغلق.

في اليوم التالي أخذ هايز حذاءه سرًّا للغابة. لم يكن يلبسه إلَّا للاجتماعات الدينية، وفي أوقات الشتاء. أخرجه من الصندوق وملأه بالحصىٰ والأحجار الصغيرة، ولبسه بعد ذلك. فركبه بإحكام ومشىٰ لابسًا إيَّاه عبر الغابة لمسافة كان يظنُّ أنَّها ميل، حتىٰ أتىٰ علىٰ جدول. فجلس عند الجدول وخلع حذاءه وغلغل قدميه في الرمل الرطب. اعتقد أنَّ ذلك كان يجب أن يُرضِيَ يسوع. ولكن لم يحدث شيء. ولو وقعت حجرة، كان ليأخذها كعلامة عن رضاه عنه.

بعد فترة أخرج قدميه من الرمل وتركهما تجِفَّان، ثم لبس حذاءه مُجدَّدًا والحجارة ما تزال فيه ومشىٰ عائدًا مسافة نصف ميل قبل أن يخلعه.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الرابع

نهض هايز من فراش السيدة واتس في الصباح باكرًا قبل أن يتسرَّب أي ضوء للغرفة. عندما استيقظ كانت ذراعها ملفوفة حوله. فاتَّكأ وأزاح يدها من فوقه ووضعها بجانبها، ولكنَّه لم ينظر إليها. كانت فكرة واحدة فقط تجول في باله، كان ينوي شراء سيارة. كانت الفكرة قد اكتملت في باله عندما استيقظ، ولم يكن يفكر في شيء آخر. لم يكن قد فكَّر من قبل في شراء سيارة، لم يكن حتىٰ يريد واحدة من قبل. كان قد قاد واحدة من قبل لمدة قصيرة، ولم يكن يملك رخصة قيادة. كان يملك خمسين دولارًا فقط، ولكنَّه اعتقد أنَّه يستطيع شراء سيارة بهذا المبلغ.

انسلَّ بهدوء من الفراش دون أن يزعج السيدة واتس ولبس ثيابه بسكون. عندما كانت الساعة تشير للسادسة والنصف، كان في مركز المدينة يبحث في أماكن السيارات المستعملة.

كانت أماكن بيع السيارات المستعملة مبعثرة بين مجموعة من البنايات القديمة التي كانت تقع بين القسم التجاري من المدينة وساحة السكك الحديدية. فتجول حولهم حتىٰ حان موعد فتح المحلات. كان باستطاعته أن يعرف من خلال المظهر الخارجي

Twitter: @ketab_n

للمحل إن كان يوجد فيه سيارة بقيمة خمسين دولارًا. عندما فتحت المحلات، تجول فيها بسرعة ولم يهتم لأحد ممن حاولوا أن يعرضوا له بضاعتهم. كانت قبعته التي تقبع علىٰ رأسه لكي تعطي انطباعًا محددًا، وكان وجهه يبدو هشًّا كما لو كان قد تهشَّم، وتمَّ إعادة تجميع قطعه مرة أخرىٰ، أو كما لو كان مسدسًا لا يعلم أحدٌ أنَّه محشو.

كان يومًا مشمسًا رطبًا. وكانت السماء تبدو كقطعة رقيقة من الفضة الملمَّعة والشمس كبقعة داكنة في زاويتها. في الساعة العاشرة كان قد استطلع كل المحال الجيدة وكان قد اقترب من ساحة السكك الحديدية. حتىٰ في ذلك المكان كانت المحال ممتلئة بسيارات أغلىٰ سعرًا من خمسين دولارًا. أخيرًا أتىٰ علىٰ محل يقع بين مخزنين. كانت اللافتة فوق المدخل تقول: محل (سليد) لبيع السيارات الأحدث.

كان هناك طريق من الحصىٰ يمتد عبر منتصف المحل ويصل للطرف المجاور للمدخل، وكان هناك كوخ من التنك مكتوب علىٰ بابه كلمة (المكتب). كان بقية المحل ممتلئًا بالسيارات القديمة والآلات المكسورة. كان هناك ولدٌ أبيض يجلس علىٰ سيارة تعمل بوقود الجازولين أمام المكتب. وقد بدا وكأنَّ الغرض من وجوده هناك أن يُبقي الناس بعيدًا. كان يلبس معطفًا مطريًّا أسودًا، وكان وجهه مختفيًا وراء قبعة جلدية. وقد كانت هناك سيجارة ظاهرة من طرف فمه وكان الرماد عليها بطول إنش.

Twitter: @ketab_n

تحوَّل هايز إلىٰ مؤخرة المحل، حيث رأىٰ سيارة معينة.

فصاح الولد قائلًا: «هاي! أنت لا تمشي هناك هكذا، سأريك ما لدي».

غير أنَّ هايز لم يعره أي انتباه. وذهب إلىٰ مؤخرة المحل، حيث رأىٰ السيارة. فركض الولد وراءه لاهثًا، وهو يسبُّ ويلعن. كانت السيارة التي رآها في الصف الأخير من صفوف السيارات المعروضة. كانت مركبة عالية بلون يشبه لون الفئران ولها عجلات كبيرة رفيعة وأضواء أمامية منتفخة. عندما اقترب منها، رأىٰ أنَّ أحد الأبواب كان مربوطًا بحبل، وأنَّ لها شبَّاكًا بيضاوي الشكل في مؤخرتها. كانت تلك هي السيارة التي كان سيشتريها.

قال هايز: «دعني أقابل سلايد».

قال الولد بنبرة تفحصية: «لماذا تريد أن تراه؟».

كان يملك فمًا عريضًا، وكان يستخدمُ طرفًا واحدًا من فمه للكلام.

قال هايز: «أريد أن أراه بخصوص هذه السيارة . . .».

قال الولد: «أنا هو».

كان وجهه تحت القبعة أشبه ما يكون بوجه نسر نحيف. جلس علىٰ مقدمة سيارة علىٰ الطرف المقابل من طريق الحصىٰ وعاد يشتم ويلعن مرة أخرىٰ.

طاف هايز بالسيارة، ونظر إلىٰ داخلها من خلال النافذة. كان

Twitter: @ketab_n

لونها ترابيًّا باهتًا يميل للاخضرار من الداخل. وكان المقعد الخلفي مفقودًا؛ إلَّا أنَّه كان يوجد هناك لوح خشبي يمتد بعرض المقعد الخلفي مُعَدٌّ للجلوس. كان لون حوافّ النوافذ الخلفية أخضرَ داكنًا. ثم نظر من خلال النافذتين الأماميتين ورأىٰ الفتىٰ يجلس علىٰ مقدمة سيارة في الطرف الآخر من طريق الحصىٰ. كانت إحدىٰ أرجل بنطاله معقودة وكان يحكُّ كاحله البارز من خلال جورب أصفر اللون. كان يشتم بكثرة كما لو كان يحاول إخراج بلغم من حلقه. لقد جعلت النافذتين لونه يميل للاصفرار وأصبح شكله مشوهًا.

تحرك هايز بسرعة من جانب السيارة والتفَّ حولها وسأله قائلًا: «كم ثمن السيارة؟!».

قال الفتىٰ: «يسوع علىٰ الصليب ... المسيح صلب!».

قال هايز بصوت متذمر باهت قليلًا: «كم ثمنها؟!».

قال الفتىٰ: «كم تعتقد أنَّها تساوي؟ أعطنا تقديرًا!».

«هي لا تساوي ثمن نقلها من هنا، أنا لم أكن لأشتريها».

كان الفتىٰ قد أولىٰ كل انتباهه لكاحله، حيث كان يوجد بقعة عليها جرب.

رفع هايز نظره فرأىٰ رجلًا قادمًا بين سيارتين من طرف الفتىٰ. عندما اقترب، رأىٰ هايز أنَّ الرجل يشبه الفتىٰ باستثناء أنَّه كان أطول بمقدار رأسين، وكان يلبس قبعة صوفية بُنِّية عليها بقع من

Twitter: @ketab_n

العرق. كان آتيًا من خلف الفتىٰ بين صفين من السيارات.

وعندما صار خلفه، توقف وانتظر لبرهة وقال بصوت مسيطر له دوي: «ارفع مؤخرتك من فوق مقدمة السيارة». زمجر الفتىٰ وهرول مختبئًا بين سيارتين.

وقف الرجل ينظر إلىٰ هايز وسأله قائلًا: «ماذا تريد؟!».

قال هايز: «هذا السيارة ...».

قال الرجل: «خمسة وسبعون دولارًا».

كان يوجد علىٰ كلا جانبي المحل مبنيان قديمان لونهما يميل للاحمرار وفيهما نوافذ سوداء، وفي الخلف كان يوجد مبنىٰ آخر من دون أي نوافذ. قال هايز: «أنا مُمتنٌ». ومشىٰ عائدًا باتجاه المكتب.

عندما وصل إلىٰ المدخل، نظر وراءه ورأىٰ الرجل خلفه علىٰ بعد أربعة أقدام، وقال له: «بإمكاننا أن نتفاوض قليلًا». فتبعه هايز إلىٰ مكان السيارة.

قال الرجل: «لن تجد سيارة مثل هذه كل يوم».

ثم جلس علىٰ مقدمة السيارة التي كان الفتىٰ يجلس عليها. لم يرَ هايز الفتىٰ، ولكنه كان موجودًا، كان يجلس علىٰ سقف سيارة علىٰ بُعد سيارتين منه. كان يجلس جاثمًا كما لو كان يتجمد من البرد، ولكن وجهه كان يحمل نظرة هادئة غير ودودة.

قال الرجل: «كل العجلات جديدة».

Twitter: @ketab_n

قال هايز: «كانت جديدة عندما تمت صناعتها!».

قال الرجل: «كانت السيارات تصنع أفضل قبل بضع سنوات، لم يعد أحد يصنع سيارات جيِّدة».

سأل هايز مجددًا: «كم تريد ثمنًا لها؟!».

سرح الرجل بنظره وهو يفكر، وبعد برهة قال: «قد أستطيع أن أتركك تأخذها لقاء خمسة وستين».

استند هايز علىٰ السيارة وبدأ بلفِّ سيجارة ولكنَّه لم يستطع لفَّها. ظلَّ يسقط التبغ والورق علىٰ الأرض.

سأل الرجل: «حسنًا، كم تريد أن تدفع لقاءها؟ ما كنتُ لأقوم بمبادلة سيارة كرايسلر لقاء سيارة إسيكس كهذه. تلك السيارة لم يصنعها مجموعة من الزنوج. كل الزنوج الآن يعيشون في مدينة ديترويت، يقومون بتركيب السيارات. لقد كنت هناك قبل فترة ورأيت ذلك. ثم رجعت بعدها إلىٰ هنا».

قال هايز: «لن أدفع أكثر من ثلاثين دولارًا لقاءها!».

قال الرجل: «لديهم زنجي هناك، لونه فاتح كلونك أو لوني!».

وخلع قبعته، ومرر أصابعه علىٰ بقع العرق داخلها. كان لون شعره قريبًا من لون الجزر قليلًا.

قال الرجل: «حسنًا، قدها قليلًا، أم إنَّك تحب أن تنزل تحتها وتنظر إليها من الأسفل؟!».

Twitter: @ketab_n

قال هايز: «لا!».

رمقه الرجل بنصف نظرة، وقال: «ستدفع عندما تغادر، إذا لم تجد ما تبحث عنه في هذه السيارة، فهناك غيرها بنفس السعر ممَّا سيرضيك لتشتريه». علىٰ بعد سِيارتين بدأ الفتىٰ يسبُّ ويلعن مجددًا، كان الصوت يشبه صوت السعال الجاف. استدار هايز فجأة وركل العجلة الأمامية.

قال الرجل: «قلت لك إنَّ هذه العجلات لن تنفجر».

قال هايز: «كم؟!».

قال الرجل: «قد أستطيع أن أجعلها خمسين دولارًا».

قبل أن يشتري هايز السيارة، وضع الرجل بعض الوقود فيها وقاد السيارة لبضعة أحياء؛ ليؤكد لهايز أنَّ السيارة تعمل. جلس الفتىٰ علىٰ اللوح الخشبي في المؤخرة جاثمًا وهو يشتم ويلعن.

«هل يشكو من شيء حتىٰ يشتم كثيرًا هكذا؟!».

فأجاب الرجل: «لا تنصت له».

كانت السيارة تصدر هديرًا عاليًا عندما كانت تسير. ودعس الرجل علىٰ الفرامل ليريه كيف تعمل بفاعلية، وارتمىٰ الفتىٰ من فوق اللوح الخشبي علىٰ رأسه.

قال الرجل: «اللعنة عليك! توقف عن القفز بهذا الشكل. أبقِ مؤخرتك علىٰ اللوح».

لم يقل الفتىٰ أي شيء، حتىٰ إنَّه لم يشتم. نظر هايز للخلف

Twitter: @ketab_n

ورآه جالسًا يلف نفسه بمعطفه المطري الأسود وقبعته الجلدية السوداء تغطي عينيه تقريبًا. كان الشيء الوحيد الذي تغير هو أنَّ الرماد كان قد سقط من علىٰ سيجارته.

اشترىٰ السيارة مقابل أربعين دولارًا ودفع بعدها للرجل ثمن خمسة جالونات من الوقود. أرسل الرجل الفتىٰ للمكتب ليحضر صفيحة من الوقود بسعة خمسة جالونات ليملأ خزَّان السيارة. فأتىٰ الفتىٰ وهو يجر صفيحة الوقود الصفراء منحنيًا وهو يشتم ويلعن.

قال هايز: «أعطني إيَّاها، أنا سأقوم بذلك».

كان مستعجلًا ليرحل مع السيارة. أبعد الفتىٰ الصفيحة واعتدل واقفًا. كانت الصفيحة نصف مملوءة، ولكنَّه رفعها فوق الخزان حتىٰ تنسكب الجالونات الخمسة علىٰ مهل.

طوال ذلك الوقت كان يقول: «يا يسوع . . . ! يا يسوع . . . ! يا يسوع . . . !».

قال هايز فجأة: «لماذا لا يخرس؟! لماذا يتحدث دائمًا هكذا؟!».

قال الرجل مشتكيًا: «لا أدري من ماذا يعاني؟!».

عندما كانت السيارة جاهزة وقف الرجل والفتىٰ بجانبه ليشاهدوه وهو يقودها بعيدًا. لم يكن يريد أن يشاهده أحد؛ لأنَّه لم يقد سيارة منذ أربع أو خمس سنوات. لم ينبس الرجل والفتىٰ ببنت شفة وهو يحاول أن يشغِّلها. بل وقفا هناك ينظرون إليه.

Twitter: @ketab_n

قال هايز: «أردت هذه السيارة في المقام الأول حتىٰ تكون بيتًا لي، ليس لدي مكان أذهب إليه».

فقال الرجل: «لم ترفع الفرامل بعد».

فرفع الفرامل، وانطلقت السيارة نحو الوراء؛ لأنَّ الرجل تركها في وضع الرجوع للخلف. بعد برهة تمكَّن هايز من قيادتها للأمام، وقاد مبتعدًا بشكل غير مستوٍ أمام الرجل والفتىٰ اللذين كانا ما يزالان يقفان هناك يراقبانه.

ظلَّ يقود للأمام، من دون تفكير وكان يتعرَّق. ظلَّ لفترة طويلة علىٰ الشارع نفسه الذي كان عليه. كان صعبًا عليه أن يبقي السيارة علىٰ الطريق. ومرَّ بجانب ساحة للسكك الحديدية ومجموعة من المخازن بعدها، وعندما حاول أن يخفف من سرعة السيارة، توقفت فجأة وكان عليه أن يعيد تشغيلها من جديد. مرَّ بجانب مجموعة من البيوت الرمادية، ثم بجانب مجموعة من البيوت الصفراء الأفضل شكلًا. بدأ المطر يتساقط وعندها شغَّل هايز المسَّاحات الأمامية، كانت المساحات تصدر صوت قعقعة عاليًا يشبه صوت تصفيق المغفلين في الكنيسة. ومرّ بجانب مجموعة من البيوت البيضاء، كان كل بيت يقع علىٰ مربع من الحشيش الأخضر ويقبع أمامه وجه كلب قبيح. في النهاية عبر فوق جسر صغير ووجد الطريق السريع.

بدأ بالقيادة بسرعة.

كان الطريق السريع مملوءًا بمحطات الوقود والمجمعات

Twitter: @ketab_n

المخصصة للمقطورات والفنادق الصغيرة. بعد فترة استطاع رؤية محابس مياه حمراء اللون ممتدة علىٰ جانبي مساحات من الطريق ووراءهم كان يوجد بعض الحقول. كانت تلك الحقول تحتوي علىٰ لافتات تحمل شعار (٦٦٦) والتي كانت تبدو كأزرار القميص. بدأ المطر يهطل، ثم بدأ الماء يتسرب للسيارة. ظهرت مجموعة من الخنازير في الخندق أمامه وكان عليه أن ينحرف بالسيارة حتىٰ تتوقف، ثم انتظر يراقب آخر خنزير يذهب مختفيًا في الخندق من الجهة الأخرىٰ. ثم قام بتشغيل السيارة بعدها وتابع سيره. كان يشعر أن كل شيء رآه ما هو إلَّا قطعة مأخوذة من شيء كبير غامض كان قد نسي أنَّه قد حدث له. انحرفت شاحنة سوداء من طريق جانبي أمامه، وكان مربوطًا في مؤخرتها سرير حديدي وكرسي وطاولة وفوقهم كان يوجد قفص يحتوي علىٰ دجاج ذي ريش أسود وأبيض. كانت الشاحنة تسير ببطء، وكان لها صرير، في منتصف الطريق. بدأ هايز بالضغط علىٰ مفتاح بوق السيارة، وكان قد ضغطه ثلاث مرات قبل أن ينتبه أن البوق لا صوت له. كان القفص مملوءًا بالكثير من الدجاج لدرجة أنَّ الدجاج الذي كان مواجهًا له كانت رؤوسهم خارج القفص. لم تسر الشاحنة بسرعة أكبر فكان عليه أن يسير ببطء. كانت الحقول المبللة ممتدة علىٰ طول جانبي الطريق لتصل إلىٰ أشجار الصنوبر المنخفضة.

انحرف الطريق وأتىٰ علىٰ تلة، وظهر سدٌّ عالٍ علىٰ أحد جوانب الطريق تقف عليه أشجار صنوبر، وكان في الطرف الآخر

Twitter: @ketab_n

جلمود صخر بارز من بين حائط لمحابس المياه.

كان مكتوبًا علىٰ الجلمود كلمات بالأبيض، كانت الكلمات تقول: «ويل للكافر وللزاني! هل ستبتلعك جهنم؟!». أبطأت الشاحنة سرعتها أكثر كما لو كانت تريد قراءة اللافتة. تابعت الشاحنة سيرها متسببة برجٍّ قفص الدجاج المكتئب عند عبورها فوق التلة التالية. ثم توقفت سيارة هايز والتفتت عيناه نحو الكلمتين في أسفل اللافتة.

كانت الكلمتان المكتوبتان بحروف صغيرة تقولان: «يسوع المنقذ». جلس ينظر للافتة ولم يسمع صوت البوق. كانت شاحنة طويلة للوقود بطول الطريق خلفه. خلال برهة كان هناك وجهٌ محمرٌّ مربع الشكل أمام نافذة سيارته. نظر لظهر عنقه ولقبعته لبرهة ثم وضع سائق الشاحنة يده فوق كتف هايز وقال: «لماذا أنت واقف في منتصف الطريق؟!».

أدار هايز وجهه الهشَّ تجاهه وقال: «ارفع يدك عني، أنا أقرأ اللافتة».

بقيت تعابير وجه السائق ويده كما هما كما لو أنَّه لم يسمعه.

قال هايز: «لا يوجد هناك زانٍ لم يكن فاسدًا من الأساس، هذه ليست خطيئةً، ولا كفرًا. الخطيئة أتت قبلهما».

ظلَّ وجه السائق كما هو.

قال هايز: «يسوع هو خدعة استخدمت علىٰ الزنوج».

Twitter: @ketab_n

وضع السائق يديه علىٰ نافذة السيارة وأمسك بها.

كان يبدو كما لو كان ينوي رفع السيارة، ثم قال: «هلَّا أبعدت سيارتك اللعينة من منتصف الطريق؟!».

قال هايز: «أنا لم أكن مضطرًا للهروب من أي شيء؛ لأنَّني لم أؤمن بأي شيء».

نظر هو والسائق لبعضهما لحوالي دقيقة. كانت نظرة هايز بعيدة المدىٰ أكثر. كانت هناك خطة ترسم في رأسه.

سأل قائلًا: «في أي اتجاه توجد حديقة الحيوان؟!».

قال السائق: «في الاتجاه العكسي من الطريق الآخر، هل هربت من هناك؟!».

قال هايز: «علي أن أرىٰ فتىٰ يعمل هناك».

فشغَّل السيارة وترك السائق واقفًا هناك أمام الكلمات المكتوبة علىٰ الجلمود.

Twitter: @ketab_n

الفصل الخامس

كان إينوخ إمري يعلم عندما استيقظ في ذلك الصباح، أنَّ الشخص الذي كان ينوي أن يريه ذلك الشيء سيأتي اليوم. كان يعلم ذلك عن طريق دمه. كان يمتلك **دمًا حكيمًا**، مثل والده.

في الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم، قام بتحية الحارس المسؤول عن الوردية الثانية، قال إينوخ بانزعاج: «أنت متأخر فقط لخمس عشرة دقيقة، ولكنَّني بقيت. كان بإمكاني الذهاب، ولكنَّني بقيت».

كان يلبس زِيًّا أخضر اللون، وكان هناك خطوط صفراء علىٰ ياقته وأكمامه وشريط أصفر اللون علىٰ أسفل كل رجل من أرجل بنطال زيِّه. كان الحارس المسؤول عن الوردية الثانية فتىٰ يملك وجهًا بارزًا كان يبدو أنَّه مصنوع من صخر أملس، وكان يضع نكَّاشة أسنان في فمه، وكان يلبس الزِّي نفسه. لقد كانت البوابة التي يقفون عندها مصنوعة من قضبان حديدية وكان القوس الإسمنتي الذي يحتوي البوابة والأعمدة مزخرفًا لكي يأخذوا شكل شجرتين، وكانت الأغصان من فوق مزخرفة لتبدو كأحرف مائلة.

Twitter: @ketab_n

كانت الأحرف تقول: «حديقة غابة المدينة». استند حارس الوردية الثانية علىٰ أحد صناديق السيارات وبدأ ينظف بين أسنانه بالنكاشة.

قال إينوخ مشتكيًا: «كل يوم، يبدو أنَّه في كل يوم علي أن أخسر خمس عشرة دقيقة هنا وأنا أنتظرك».

كل يوم عندما ينتهي من وظيفته، كان يدخل للحديقة، وكان يفعل الأشياء نفسها في كل مرة يدخل إليها. كان يذهب لحوض السباحة. وقد كان يخاف من الماء، ولكنَّه كان يحب الجلوس علىٰ حافته والمراقبة في حال كان هناك أي امرأة في الحوض. كان هناك امرأة تأتي كلَّ يوم اثنين، وكانت ترتدي ثوب سباحة عليه شقٌّ علىٰ كل ورك. ظنَّ في البداية أنَّها لم تلاحظ ذلك، وبدل أن يتفرج مباشرة من الحافة، زحف بين بعض الشجيرات وهو يضحك مع نفسه، وبدأ يتفرج من هناك. لم يكن هناك أحدٌ آخر في الحوض -الغالبية لم تكن تأتي قبل الساعة الرابعة- ليخبرها عن الشقوق. قامت بالسباحة قليلًا في الماء، ثم استلقت علىٰ طرف حوض السباحة لحوالي ساعة، من دون أن تشكَّ أنَّ شخصًا بين الشجيرات كان يراقبها طوال الوقت.

في يوم آخر وعندما انتظر قليلًا، رأىٰ ثلاث نساء، كلهُنَّ يلبسن ثياب سباحة مشقوقة، كان الحوض ممتلئًا، ولم يعرهم أحد أي انتباه. هكذا كانت المدينة بالنسبة إليه -مليئة بالمفاجآت. كان أحيانًا يذهب لعاهرة عندما كان يريد، ولكنَّه كان متفاجئًا

Twitter: @ketab_n

بالانفتاح الموجود في الأماكن العامة. كان يزحف بين الشجيرات حتىٰ لا يخرج عن حدود الأدب. وكانت النساء في كثير من الأحيان ينزعن الأحزمة من علىٰ ثياب سباحتهم ويستلقين متمددات.

كانت الحديقة في قلب المدينة. كان قد أتىٰ للمدينة و -نظرًا؛ لأنَّ ذلك كان معروفًا لديه عن طريق دمه- كان قد أسس نفسه في قلبها. كل يوم كان ينظر إلىٰ قلبها، كل يوم، وكان مندهشًا ومرتعدًا ومرتبكًا لدرجة أنَّ مجرد التفكير في الموضوع كان يُؤدِّي لتصبب العرق منه. كان هناك شيء قد اكتشفه في منتصف الحديقة. كان لغزًا، مع أنَّها كانت موجودة هناك في صندوق زجاجي كي يراها الجميع وكان يوجد عليها بطاقة مطبوعة تخبر الجميع عنها. ولكن كان هناك شيء لم تستطع البطاقة قوله، وهذا الشيء كان بداخله، كان يعلم شيئًا رهيبًا لا يحمل أي كلمات ليعبِّر عنه، كانت معرفته بذلك الشيء الرهيب تزيد التوتر داخله. لم يكن يستطيع أن يري ذلك الشيء لأي شخص، ولكن كان عليه أن يريه لأحد ما. كان الشخص الذي سيريه ذلك الشيء شخصًا مميزًا. كان علىٰ ذلك الشخص أن يكون من خارج المدينة ولم يكن يعلم السبب. كان يعلم أنَّه سيعرفه عندما يراه، وكان يعلم أنَّه سيراه قريبًا وإلَّا سيتفاقم التوتر داخله لدرجة تجبره علىٰ سرقة سيارة، أو سرقة مصرف، أو اغتصاب امرأة في زقاق مظلم. كان دمه يخبره كل اليوم بأن ذلك الشخص سيأتي اليوم.

Twitter: @ketab_n

ترك هانز وردية الحراسة الثانية، واتجه لحوض السباحة عن طريق ممر كان يقود إلىٰ وراء المراحيض المخصصة للنساء إلىٰ منطقة تسمح له برؤية الحوض كاملًا في الوقت نفسه. لم يكن هناك أحد -كان الماء راكدًا ولونه مائلًا للخضرة-، ولكنَّه رأىٰ امرأة معها ولدان صغيران قادمان من الطرف الآخر باتجاه الحوض. كانت تلك المرأة تأتي مرة كل يومين تقريبًا ومعها الطفلان، فتسبح في العادة معهم ثم تتمدد علىٰ طرف الحوض في أشعة الشمس. كانت تلبس ثوب سباحة أبيض مزينًا ببقع وكان يناسبها كما لو كان كيسًا مصممًا خصيصًا لها، وكان أينوخ في مرات عديدة يراقبها بمتعة شديدة. انتقل من البقعة التي كان بها إلىٰ مكان بين بعض الشجيرات. كان يوجد نفق تحت تلك الشجيرات، فزحف بداخله حتىٰ وصل لمكان أوسع حيث كان متعودًا علىٰ الجلوس هناك. اعتدل في مكانه وأعاد ترتيب الشجيرات، حتىٰ تتسنَّىٰ له الرؤية بوضوح. كان وجهه دائم الحمرة عندما يكون بين الشجيرات. لو مشىٰ شخص بجانب الشجيرات في ذلك الوقت، لظنَّ أنَّه رأىٰ شيطانًا وكان لوقع من فوق المنحدر في حوض السباحة. دخلت المرأة وطفلاها إلىٰ المراحيض.

ذهب إينوخ مباشرة إلىٰ المكان السري المظلم في منتصف الحديقة. كان ذلك أفضل فترة لديه في الظهيرة. لم يكن يخطط لبقية الأشياء. ذهب بعد الشجيرات إلىٰ مقصف لبيع النقانق يسمىٰ (فروستي بوتل)، وكان الكشك يشبه علبة المشروبات الغازية

Twitter: @ketab_n

المصنوعة من التنك، وكان هناك رسمٌ للثلج باللون الأزرق حول قمة الكشك. كان يطلب مشروب الشيكولاتة المخلوط بالحليب والمثلجات، ويقوم بعدها بقول عبارات تلميحية للنادلة التي كان مقتنعًا أنَّها واقعة في حبه. بعد ذلك كان يذهب لرؤية الحيوانات، كانوا موجودين في صفٍّ من الأقفاص الحديدية مثل (سجن ألكاتراز)[1] في الأفلام. كانت الأقفاص تدفّأ كهربائيًّا في الشتاء، وتبرد باستخدام أجهزة التكييف في الصيف، وكان هناك ستة أشخاص معينيون لخدمة الحيوانات وإطعامهم شرائح اللحم. لم تفعل الحيوانات شيئًا غير الاستلقاء والتمدد. كان إينوخ يذهب لرؤيتهم كل يوم يملؤه بالاندهاش والكراهية. ثم كان يذهب لذلك المكان.

خرج الطفلان من المرحاض وغطسا في الماء، وفي الوقت نفسه صدر صوت هدير من الشارع الموازي للطرف الآخر من حوض السباحة. رأىٰ إينوخ سيارة عالية لونها يشبه لون الفئران، وكان صوت محركها عاليًا، كما لو كان موجودًا خارج السيارة. مرَّت السيارة أمامه، وكان يستطيع سماع صوتها وهي تدور حول الملف. استمع بحذر محاولًا أن يعرف ما إذا كانت قد توقفت. انخفض الصوت وارتفع بعدها بتصاعد. ومرَّت السيارة أمامه مرة

---

(١) (سجن ألكاتراز) *(Alcatraz)*: سجنٌ مشهور يقع علىٰ جزيرة ألكاتراز في خليج سان فرانسيسكو في ولاية كاليفورنيا. اشتُهر السجن بضمه أعتىٰ المجرمين، حتىٰ وقت إغلاقه في (عام: ١٩٦٣م).

Twitter: @ketab_n

أخرىٰ. رأىٰ إينوخ هذه المرة أنَّ شخصًا واحدًا بداخلها، كان رجلًا. انقطع صوتها، ثم علا مجددًا. عادت السيارة مرة أخرىٰ وتوقفت تقريبًا مقابل إينوخ عبر الحوض. نظر الرجل الموجود في السيارة خارج النافذة وأسفل المنحدر العشبي إلىٰ الماء، حيث كان الطفلان يسبحان ويصرخان. مد إينوخ رأسه خارج الشجيرات أكثر ما يستطيع وبدأ يراقب.

كان الباب المجاور للرجل مربوطًا بحبل. فخرج الرجل عبر الباب الآخر ومشىٰ أمام السيارة وإلىٰ منتصف المنحدر المؤدي للحوض، ووقف هناك لبرهة كما لو كان يبحث عن شخص ما، ثم جلس بزاوية قائمة علىٰ العشب. كان يلبس سترة زرقاء وقبعة سوداء. كان يجلس وركبتاه مرفوعتان.

قال إينوخ: «انظروا علىٰ ماذا عثرت».

بدأ بالزحف خارج الشجيرات مباشرةً، كان قلبه يدق بسرعة، كما لو كان واحدة من تلك الدراجات النارية في الاحتفالات التي يقودها السائق علىٰ الحائط لفترة وجيزة. حتىٰ إنَّه تذكر اسم الرجل، السيد هايز موتس.

ظهر إينوخ بعد لحظة جاثيًا علىٰ يديه وركبتيه في خلف الشجيرات، ونظر عبر الحوض. كان الجسم الأزرق ما يزال هناك في المكان نفسه. كان يملك نظرة المُحتَجَز، كما لو كانت يدٌ خفية تمسك به، وكان يبدو أنَّه لو لم تكن تلك اليد تمسك به، لكان ركض وعبر الحوض بقفزة واحدة دون أن تتغير تعابير وجهه.

Twitter: @ketab_n

خرجت المرأة من المرحاض وذهبت للوح القفز. فردت يديها وقفزت من علىٰ اللوح محدثةً صوتًا أثناء ذلك. بعد ذلك قامت بالالتفاف للخلف والاختفاء داخل الماء. فاستدار السيد هايز موتس ببطءٍ شديد، وتتبعها ببطء لداخل الحوض.

نهض إينوخ وذهب للممر الموجود وراء المراحيض. خرج بهدوء وحذر من الطرف الآخر، وبدأ بالسير نحو هايز. بقي إينوخ فوق المنحدر، يمشي بنعومة فوق العشب بجانب الرصيف دون أن يحدث أيَّ صوت. كان خلفه بالضبط، وجلس علىٰ حافة الرصيف. لو كانت ذراعه بطول عشرة أقدام؛ لكان بإمكانه أن يضعها علىٰ كتف هايز. جلس يدرسه بهدوء.

خرجت المرأة من الحوض وهي ترفع نفسها علىٰ حافته. حيث ظهر وجهها في البداية، كان طويلًا وشاحبًا، وكانت تلبس قبعة للسباحة غطت رأسها حتىٰ أطراف عينيها، وكانت أسنان حادة تبرز من فمها. ثم استندت علىٰ يدها رافعة نفسها، حتىٰ ظهرت قدم كبيرة من خلفها وبعدها ظهرت واحدة أخرىٰ من الطرف الآخر، وكانت عندها خارج الحوض.

وقفت هناك بخلاعة وهزت جسمها وتناثر الماء من عليها. كانت تقف مواجهة لهم وعندها ابتسمت. كان إينوخ يستطيع رؤية جزءٍ من وجه هايز ينظر إليها. لم يبتسم لها، ولكنَّه ظل ينظر إليها وهي تستلقي علىٰ بقعة مشمسة تقع تحت مكان جلوسهم. كان علىٰ إينوخ أن يقترب أكثر كي يتمكَّن من الرؤية.

Twitter: @ketab_n

جلست المرأة في البقعة المشمسة ونزعت القبعة من علىٰ رأسها. كان شعرها قصيرًا وأجعدَ ومتعدد الألوان ما بين الأحمر المائل للون الصدأ، والأصفر المخضر. ثم هزَّت رأسها ونظرت بعدها إلىٰ هايز موتس مجددًا وهي تبتسم من خلال أسنانها البارزة. تمددت علىٰ البقعة المشمسة رافعةً ركبتيها ومسندةً ظهرها علىٰ الإسفلت.

كان الطفلان الموجودان في الضفة الأخرىٰ من الحوض يضرب أحدهما رأس الآخر بطرف الحوض. استلقت حتىٰ أصبحت مسطحة تمامًا علىٰ الأرضية، ثم خلعت الأحزمة من علىٰ كتفيها.

همس إينوخ قائلًا: «يا أيها الملك يسوع!».

وقبل أن يزيح نظره عن المرأة، كان هايز موتس قد وثب وأصبح تقريبًا بجانب سيارته. كانت المرأة تجلس معتدلة وثوب السباحة مخلوع عن نصفها العلوي، وكان إينوخ ينظر في الاتجاهين معًا.

صرف إينوخ انتباهه عن المرأة وأسرع خلف هايز موتس.

كان يلوح بيده أمام السيارة وهو يصرخ قائلًا: «انتظرني!».

كانت السيارة قد بدأت بالتحرك. أطفأ هايز المحرك، كان وجهه وراء المقود منزعجًا يشبه وجه الضفدع، كان وجهه يبدو كما لو كان أحد قد صاح بجانبه، كان يبدو كمشهد من أحد أفلام

Twitter: @ketab_n

العصابات عندما يربط أحدهم بالكرسي وتوضع فوطة في فمه.

قال إينوخ: «حسنًا ... أنا أعلن رسميًّا أنَّه السيد هايز موتس. كيف حالك يا هايز؟!».

قال هايز: «قال لي الحارس: إنَّني سأجدك عند حوض السباحة. قال لي: إنَّك تختبئ في الشجيرات وتراقب السباحين».

احمر إينوخ خجلًا.

قال إينوخ: «أنا كنت -دائمًا- معجبا بالسباحة».

ثم أدخل رأسه أكثر عبر النافذة وهتف قائلًا: «هل كنت تبحث عني؟!».

قال هايز: «الرجل الأعمىٰ، ذلكِ الرجل الأعمىٰ المسمىٰ هوكس - هل أخبرتك ابنته أين يسكنان؟!».

لم يبدُ أنَّ إينوخ قد سمعه، قال: «أتيت هنا خصيصًا لتراني؟!».

«أيسا هوكس. ابنته أعطتك المنشور الديني. هل أخبرتك أين يسكنان؟!».

أخرج إينوخ رأسه بهدوء من السيارة. قام بعدها بفتح الباب وصعد بجانب هايز.

ظل هايز ينظر إليه لفترة وهو يبلل شفتيه. **ثم همس قائلًا:** «يجب أن أريك شيئًا».

قال هايز: «أنا أبحث عن هذين الشخصين، يجب أن أرىٰ

Twitter: @ketab_n

ذلك الرجل. هل أخبرتك أين يسكنان؟!».

قال إينوخ: «يجب أن أريك ذاك الشيء، يجب أن أريك إيَّاه، إنَّه موجود هنا. يجب أن تراه في ظهيرة هذا اليوم. يجب أن أفعل ذلك».

قبض علىٰ ذراع هايز وقام هايز بإبعاد يده.

قال هايز مجددًا: «هل أخبرتك أين يسكنان؟!».

ظلَّ إينوخ يبلل شفتيه، كانتا باهتتين ما عدا المكان المصاب بالقرحة والذي كان أرجواني اللون.

قال: «بالتأكيد، ألم تقم هي بدعوتي كي أزورها وأحضر معي آلة الهارمونيكا الخاصة بي؟ يجب أن أريك ذلك الشيء، ثم سأخبرك».

تمتم هايز قائلًا: «أيُّ شيء؟!».

قال إينوخ: «الشيء الذي يجب أن أريك إياه، انطلق للأمام وسأقول لك أين تتوقف».

قال هايز موتس: «لا أريد أن أرىٰ أيَّ شيء يخصُّك، أريد ذلك العنوان».

لم ينظر إينوخ إلىٰ هايز. كان ينظر خارج النافذة، وحينها قال: «لن أقدر علىٰ التذكر حتىٰ تأتي معي».

اشتغلت السيارة بعد دقيقة. كان دم إينوخ ينبض بسرعة. كان يعلم أنَّ عليه العودة لكشك (فروستي بوتل)، ومن ثَمَّ لحديقة

Twitter: @ketab_n

الحيوان قبل أن يذهب إلىٰ ذلك المكان، ورأىٰ صراعًا كبيرًا ينتظره مع هايز موتس.

كان عليه أن يأخذه إلىٰ هناك، حتىٰ لو اضطَّرَّ أن يضربه بحجر علىٰ رأسه، ثم يحمله إلىٰ هناك علىٰ ظهره.

كان ذهن إينوخ منقسمًا إلىٰ قسمين. القسم الذي كان علىٰ تواصل مع دمه كان مسؤولًا عن الإتيان بالحلول، ولكنه لم يكن يقول أيَّ كلمة. القسم الآخر كان مليئًا بالكلمات والعبارات. بينما كان القسم الأول مشغولًا بالتفكير بطريقة تجعل هايز يذهب للكشك، ومن ثَمَّ لحديقة الحيوان، **كان القسم الآخر يسأل قائلًا**: «من أين أتيت بهذه السيارة الجميلة؟ عليك أن تكتب بعض الشعارات عليها من الخارج، مثل: (استديري يا حبيبتي)، أنا رأيت سيارة كان هذا الشعار عليها، ثم رأيت أخرىٰ، قال . . .».

كان وجه هايز يبدو كأنَّه محفور من الصخر.

تمتم إينوخ قائلًا: «كان أبي يمتلك في السابق سيارة من نوع (فورد)، كان قد ربحها عن طريق بطاقة سحب، وكان فيها سقف متحرك وهوائيان لاقطان وذيل سنجاب. لقد قام بعد ذلك بمبادلتها».

ثم صاح قائلًا: «توقف هنا! توقف هنا!».

كانوا قد أصبحا أمام كشك (فروستي بوتل).

بمجرد أن أصبحا في الداخل قال هايز: «أين هو؟!».

Twitter: @ketab_n

كانا في غرفة مظلمة يوجد فيها طاولة عريضة عالية أمامها كراسيّ بنية مرتفعة علىٰ شكل ضفادع. وعلىٰ الحائط المقابل للباب كان هناك إعلان للمثلجات، كان الإعلان يظهر بقرة تلبس زيَّ ربة منزل.

قال إينوخ: «إنَّه ليس هنا، يجب أن نتوقف هنا ونأكل شيئًا. ماذا تريد؟».

قال هايز: «لا شيء ...». وقف بتصلُّب في منتصف الغرفة واضعًا يديه في جيوبه.

قال إينوخ: «حسنًا ... اجلس، يجب أن أحصل علىٰ مشروب صغير».

تحرك قليلًا وراء الطاولة، وظهرت امرأة ذات شعر قصير يشبه شعر الرجال، قامت من كرسيها الذي كانت تقرأ الجريدة عليه. نظرت بانزعاج لإينوخ، كانت تلبس زيَّ العمل الأبيض المزين ببقع بنية.

قالت بصوت عالٍ وهي تميل تجاه أذنه: «ماذا تريد؟!».

كانت تمتلك وجهًا يشبه وجه الرجال، وأذرعًا كبيرة بارزة العضلات.

قال إينوخ: «أريد مشروب الشيكولاتة الممزوج والحليب والمثلجات يا أيتها الصغيرة، وأريد الكثير من المثلجات فيه».

أزاحت وجهها وهي غاضبة عنه وحدقت في هايز.

Twitter: @ketab_n

قال إينوخ: «هو يقول: إنَّه لا يريد شيئًا، سوىٰ الجلوس والنظر إليك لفترة من الزمن، هو ليس جائعًا إلَّا للنظر إليك».

نظر هايز ببرود إلىٰ المرأة واستدارت هي بعد ذلك، وبدأت تخلط المشروب. وجلس هو علىٰ آخر مقعد في الصف وبدأ بفرقعة أصابعه.

نظر إليه إينوخ مراقبًا إيَّاه عن كثب، وقال بعد بضع دقائق: «أعتقد أنَّك تغيرت قليلًا».

نهض هايز من مكانه، وقال: «أعطني عنوان هؤلاء الناس. الآن!».

ثم أتت الفكرة لإينوخ في لحظة - الشرطة. غمرت وجه إينوخ فجأة تعابير تدل علىٰ أنَّه يعرف سرًّا، وقال: «أنا أجزم بأنَّه لا تبدو عليك ملامح الغرور التي كانت تبدو عليك يوم أمس، وأراهن أنَّ السبب يكمن في أنَّه لا يوجد دافع لذلك الآن كما كان من قبل!». كان يظن أنَّه قد سرق تلك السيارة.

جلس هايز موتس علىٰ الكرسي.

قال إينوخ: «لماذا قفزت بسرعة هناك بجانب حوض السباحة؟!».

استدارت المرأة وكان مشروب الحليب بالشيكولاتة في يدها.

قال بصوت شرير: «بالطبع، أنا ما كنت لأمتلك شاحنة ذات لون قبيح مثل تلك الشاحنة كذلك».

Twitter: @ketab_n

وضعت المرأة المشروب علىٰ الطاولة أمامه، وقالت بصوت يشبه الزئير: «خمسة عشر سنتًا».

قال إينوخ: «أنت تساوين أكثر من ذلك بكثير يا حبيبتي!».

ثم ضحك، وبدأ يحرك المشروب بواسطة المصاصة.

مشت المرأة نحو هايز بخطوات كبيرة وصرخت قائلة: «لم تأتِ إلىٰ هنا مع ابنِ ساقطة مثل هذا؟ فتىٰ هادئ ولطيف مثلك يأتي إلىٰ هنا مع ابن ساقطة كهذا. عليك أن تنتبه إلىٰ من ترافق . . .».

كان اسمها مونده، وكانت تشرب الوسكي طول اليوم باستخدام علبة زجاجية للفواكه موجودة تحت الطاولة.

«يا يسوع!».

قالتها ومسحت أنفها بيدها!

جلست علىٰ كرسي أمام هايز، ولكن كانت تواجه إينوخ وتلتفت.

قالت لهايز: «كل يوم، كل يوم يأتي ابن الساقطة هذا إلىٰ هنا».

كان إينوخ يفكر بالحيوانات. كان ينبغي لهم أن يذهبوا بعد ذلك لرؤية الحيوانات. كان يكرههم، مجرد التفكير بهم كان يجعل وجهه يتلون بلون المشروب الأرجواني، كما لو كان المشروب قد صعد إلىٰ رأسه.

قالت له: «أنت فتىٰ لطيف، أستطيع أن أرىٰ ذلك، أنف

Twitter: @ketab_n

نظيف، ابق نظيفًا ولا تعبث مع ابن ساقطة مثل هذا. أنا أعرف دائمًا الفتىٰ النظيف عندما أراه . . .».

كانت تصرخ في إينوخ، ولكنه كان يراقب هايز موتس، كان يبدو كأنَّ شيئًا ما داخله قد استيقظ، مع أنَّه لم يتحرك من الخارج. كان يبدو أنَّه مضغوط في تلك السترة الزرقاء، كما لو كان ذاك الشيء الذي استيقظ بداخلها يكبر أكثر فأكثر. دم إينوخ أخبره أن يسرع. ثم شرب المشروب بسرعة مستخدمًا المصاصة.

قالت: «نعم؛ لا شيء أجمل من فتىٰ نظيف. الرب شاهد علي. وأنا أعرف الفتىٰ النظيف عندما أراه وأعرف ابن الساقطة عندما أراه وهناك الكثير من الاختلافات بينهما، وذلك النذل الذي يشرب عن طريق المصاصة هو ابن ساقطة لعين وأنت فتىٰ نظيف عليك أن تعير انتباهًا أكبر للرفاق الذين تختلط بهم. أنا أعرف الفتىٰ النظيف عندما أراه».

أصدر إينوخ صوتًا عاليًا وهو يشرب ما تبقىٰ من المشروب من قعر الكأس، ثم أخرج خمسة عشر سنتًا من جيبه ووضعها علىٰ الطاولة ونهض. إلَّا أنَّ هايز موتس كان واقفًا، وكان يستند إلىٰ الطاولة باتجاه المرأة. بيد أنَّها لم تلاحظه مباشرة؛ لأنَّها كانت تنظر لإينوخ. استند مستخدمًا يديه علىٰ الطاولة حتىٰ أصبح وجهه علىٰ مسافة قدم من وجهها.

قال إينوخ: «هيا، لا وقت لدينا لنضيعه معها. عليَّ أن أريك هذا الآن. عليَّ . . .».

Twitter: @ketab_n

قال هايز: «أنا نظيف!».

لم تصل الكلمات لإينوخ حتىٰ قالها مرة أخرىٰ.

قال مجددًا: «أنا نظيف!».

قالها دون أيِّ تعابير علىٰ وجهه أو نبرة في صوته، كان ينظر للمرأة فقط كما لو كان ينظر للحائط.

قال: «لو كان يسوع موجودًا، ما كنت لأكون نظيفًا».

نظرت إليه وكانت مندهشة، ثم استشاطت غاضبةً وصرخت قائلة: «أتظنُّ أنني أهتم! لماذا أهتم بما تكون!».

قال إينوخ بنبرة انتحاب: «هيا بنا، تعالَ معي؛ وإلَّا فلن أخبرك بمكان سكن أولئك الناس».

أمسك بذراع هايز وجذبه من علىٰ الطاولة لجانب الباب.

صرخت المرأة قائلة: «أيُّها الوغد! أتظُنُّ أنَّني أهتم لأمركما أيها الولدان القذران؟».

قام هايز بدفع الباب بسرعة وذهب للخارج. ثم رجع إلىٰ سيارته وصعد إينوخ خلفه إلىٰ السيارة.

قال إينوخ: «حسنًا؛ سِرْ في هذا الطريق إلىٰ الأمام . . .».

قال هايز: «ماذا تريد كي تخبرني؟ أنا لن أبقىٰ هنا، يجب أن أذهب. لا أستطيع البقاء هنا أكثر من ذلك».

أخذ إينوخ يرتجف. بدأ يبلل شفتيه، وقال بصوت أجش: «يجب أن أريك إيَّاه، لا أستطيع أن أريه لأيِّ أحد سواك. أتتني

Twitter: @ketab_n

علامة أنَّك أنت الشخص عندما رأيتك تقود السيارة بجانب حوض السباحة. كنت أعلم طوال الصباح أنَّ شخصًا ما سيأتي وعندما رأيتك عند الحوض، أتتني تلك العلامة».

قال هايز: «أنا لا تهمني علاماتك!».

قال إينوخ: «يجب أن أراها كل يوم، أذهب هناك كل يوم، ولكنني لم أتمكن من أخذ شخص آخر معي. كنت بانتظار العلامة. سأخبرك بعنوان أولئك الأشخاص بمجرد أن أريك ذلك الشيء. يجب أن تراه. عندما تراه، شيء ما سيحدث».

قال هايز: «لن يحدث شيء».

أعاد تشغيل السيارة وجلس إينوخ في المقعد الأمامي، ثم تمتم قائلًا: «أولئك الحيوانات، علينا أن نسير بجانبهم أوَّلًا. لن يأخذ ذلك وقتًا طويلًا. لن يأخذ ذلك دقيقة».

كان إينوخ يرىٰ أنَّ نظرات الحيوانات الشريرة له قد تجعله يخسر بعض الوقت. كان يفكر فيما لو أتت الشرطة الآن مصحوبة بصافرات الإنذار والسيارات، وألقت القبض علىٰ هايز موتس قبل أن يريه ذلك الشيء.

قال هايز: «عليَّ أن أرىٰ أولئك الناس».

صاح إينوخ: «توقف هنا! توقف هنا!».

كان يوجد هناك صف من الأقفاص الحديدية علىٰ يسارهم، وخلف الأقفاص كان يوجد أجسام سوداء تجلس أو تمشي.

Twitter: @ketab_n

قال إينوخ: «اخرج ... لن يأخذ هذا سوىٰ لحظة ...».

خرج هايز، ثم توقف وقال: «عليَّ أن أرىٰ أولئك الناس».

قال إينوخ بصوت منتحب: «حسنًا ... حسنًا ... تعال هيا!».

«أنا لا أعتقد أنَّك تعرف العنوان!».

قال إينوخ بصوت باكٍ: «بلىٰ! بلىٰ! إنَّه يبدأ بالرقم ثلاثة، هيا بنا الآن!».

وسحب هايز نحو الأقفاص. كان هناك دبَّان يجلسان في القفص الأول متقابلان كأنهما ربات منزل يشربان الشاي، كانت تعابير وجههما مهذبة ومتواضعة.

قال إينوخ: «لا يفعلون شيئًا طول اليوم سوىٰ الجلوس هناك وإصدار الرائحة الكريهة، حيث يأتي رجل كل صباح ويغسل تلك الأقفاص باستخدام خرطوم المياه، ولكن الرائحة الكريهة تظل كما هي كما لو أنَّه لم يفعل شيئًا».

مشىٰ بجانب قفصين آخرين للدببة دون أن ينظر إليهم، ثم توقف عند القفص التالي الذي كان يحتوي علىٰ ذئبين ذوي أعينٍ صفراء ينظران حول أطراف القفص الإسمنتية.

قال: «ضباع، لا اهتمام لي بالضباع».

ثم مال باتجاه القفص وبصق فيه مصيبًا أحد الذئاب في قدمه. قفز الذئب لجانب القفص ورمقه بنظرة مائلة شريرة. نسي لبرهة

Twitter: @ketab_n

هايز موتس، ثم نظر خلفه بسرعة ليتأكَّد أنَّه كان ما يزال هناك. كان وراءه مباشرة. لم يكن ينظر للحيوانات. ظنَّ إينوخ أنَّه كان يفكر بالشرطة.

قال: «هيا بنا! ليس لدينا الوقت لمشاهدة كل القردة الموجودة بعد ذلك».

كان يقف في العادة أمام كل قفص ويتلفظ بتعبير فاحش بصوت عالٍ لنفسه، ولكن اليوم كانت الحيوانات مجرد خطوة عليه الانتهاء منها. عبر بسرعة بجانب أقفاص القردة، نظر وراءه ثلاث أو أربع مرات ليتأكد من وجود هايز موتس خلفه. توقف عند آخر قفص كأنَّه لم يستطع أن يتمالك نفسه.

قال وهو يحدق: «انظر إلىٰ ذلك القرد». كان ظهر القرد بائنًا لهم، وكان لونه رماديًّا بالكامل باستثناء بقعة زهرية أسفل ظهره. وأكمل قائلًا بنبرة تدعو للاحتشام: «لو كانت لي مؤخرة مثل هذه لجلست عليها. لم أكن لأعرضها هكذا لكل هؤلاء الناس القادمين للحديقة. هيا بنا، ليس علينا مشاهدة الطيور الموجودة بعد ذلك». ركض بجانب الأقفاص، وثم كان قد وصل لنهاية حديقة الحيوان.

قال: «لا نحتاج للسيارة الآن!». **ثم اتجه للأمام وأكمل قائلًا:** «سننزل تلك التلة عبر تلك الأشجار».

كان هايز واقفًا عند آخر قفص للطيور.

قال إينوخ متذمرًا: «يا يسوع!».

Twitter: @ketab_n

وقف وبدأ يلوح بيديه بشكل جامح، ويصيح قائلًا: «هيا بنا!».

ولكن هايز لم يتحرك من المكان الذي كان يراقب منه القفص.

ركض إينوخ عائدًا وجذبه من يده، ولكن هايز دفعه بعيدًا وظل ينظر للقفص. كان القفص فارغًا.

حدَّق إينوخ وصاح قائلًا: «إنَّه فارغ! لماذا تنظر في القفص الفارغ؟ هيا بنا!».

وقف هناك وهو يتعرق وكان لونه أرجوانيًا.

صاح قائلًا: «إنَّه فارغ!».

ثم رأىٰ بعد ذلك أنَّه لم يكن فارغًا. كانت ثمَّة عين في إحدىٰ الزوايا علىٰ الأرض. وكانت العين في منتصف شيء كان يبدو وكأنَّه قطعة من مكنسة موضوعة علىٰ سجادة قديمة. ثم اقترب من السلك ورأىٰ أنَّ قطعة المكنسة كانت بومة بعين واحدة مفتوحة. كانت تنظر مباشرة إلىٰ هايز.

قال متذمرًا: «إنَّها فقط بومة، أنت رأيت هذه الأشياء من قبل . . .».

قال هايز للعين: «أنا نظيف».

قالها بالطريقة نفسها التي قالها للمرأة في كشك (فروستي بوتل). أغلقت العين بنعومة واستدارت البومة باتجاه الجدار.

Twitter: @ketab_n

ظنَّ إينوخ أنَّ هايز قد قتل أحدًا ما في السابق.

ثم صاح قائلًا: «يا يسوع! هيا بنا . . . علي أن أريك ذلك الشيء الآن».

ثم سحبه بضعة أقدام بعيدًا عن القفص وتوقف هايز مرة أخرىٰ، ونظر لشيء علىٰ بُعد.

كان نظر إينوخ ضعيفًا. حيث حدق جيِّدًا ورأىٰ جسمًا علىٰ بُعد في آخر الطريق وراءهم، وبجانبه جسمان صغيران يقفزان علىٰ جانبيه.

استدار هايز موتس باتجاهه فجأة، وقال: «أين يوجد ذلك الشيء؟ لنره الآن، وننتهي من الأمر. هيا بنا».

قال إينوخ: «ألم أكن أحاول أخذك إلىٰ هناك؟».

كان يشعر بأنَّ العرق يجفُّ عليه، وبدأ يشعر أنَّه يلدغه وأصبح جلده مدببًا، حتىٰ فروة رأسه.

قال: «علينا أن نعبر الطريق وننزل التلة. يجب أن نذهب سيرًا علىٰ الأقدام».

تمتم هايز قائلًا: «لماذا؟!».

قال إينوخ: «لا أدري!».

كان يعلم أنَّ شيئًا ما سيحدث له. لقد توقف دمه عن الجريان، وكان صوت دمه طول الوقت يشبه قرع الطبول والآن توقف. بدآ بنزول التلة، كانت تلة شديدة الانحدار مليئة بالأشجار

Twitter: @ketab_n

المدهونة أرجلها باللون الأبيض من الأرض حتىٰ ارتفاع أربعة أقدام. كان يبدو أنَّهما يلبسان جوارب يصل طولها للكاحل. **ثم أمسك بذراع هايز موتس وقال وهو ينظر حوله بغموض:** «ستصبح الأرض رطبة كلما نزلت أكثر!».

أبعد هايز يده عنه. بعد لحظة أمسك إينوخ بيده مرة أخرىٰ وأوقفه.

أشار إلىٰ مكان في الأسفل بين الأشجار، وقال: (مفسيفم).

جعلته الكلمة الغريبة يرتعش. كانت تلك المرة الأولىٰ التي يقولها بصوت عالٍ. كان جزء من مبنىٰ رمادي يظهر في المكان حيث أشار. بدأ يكبر كلما نزلوا أكثر، ثم أتوا علىٰ نهاية الغابة وبدأوا في السير علىٰ طريق من الحصىٰ، كان يبدو وكأنَّ المبنىٰ انكمش فجأة. كان المبنىٰ دائريَّ الشكل، ولونه بلون سواد الدخان. كانت توجد أعمدة أمامه، وبين كل عامودين كان يوجد تمثال لامرأة لا أعين لها تضع قِدرًا علىٰ رأسها. كان محفورًا علىٰ الشعار الإسمنتي فوق الأعمدة أحرف كلمة: (مفسيفم)، ***(MVSEVM)***.

كان إينوخ خائفًا من أن ينطق الكلمة مرة أخرىٰ!

همس قائلًا: «علينا أن نصعد السلالم، وندخل من الباب الرئيس».

كان يوجد عشر درجات تؤدي للشرفة الأمامية. وكان الباب

Twitter: @ketab_n

عريضًا أسود، قام إينوخ بفتح الباب بحذر، وأدخل رأسه من الفتحة. **أخرج رأسه بعد برهة، وقال:** «حسنًا، تعالَ وامش بهدوء. لا أريد أن أوقظ الحارس العجوز، إنَّه ليس ودودًا جدًّا معي».

ثم دخلوا إلىٰ صالة مظلمة. كان الهواء مشبعًا برائحة مشمِّع الأرض وطلاء زيتي يستخدم لمعالجة الخشب، ورائحة أخرىٰ وراء هاتين الرائحتين. كانت الرائحة الثالثة بشعة ولم يكن إينوخ يستطيع أن يتعرف عليها؛ لأنها ليست كأيِّ شيء شمَّه من قبل. لم يكن هناك شيء في الصالة إلا جرَّتان وشخص نائم علىٰ كرسي مستندًا إلىٰ الحائط. كان يلبس اللباس نفسه الذي كان يلبسه إينوخ، وكان يبدو كأنَّه عنكبوت جافٌّ عالق في ذلك المكان!

نظر إينوخ لهايز موتس ليرىٰ إن كان يشتم نفس الرائحة الكريهة. كان يبدو عليه وكأنَّه يشتمُّها أيضًا. بدأ دم إينوخ بالجريان مجددًا وقام بدفعه للأمام. ثم أمسك بذراع هايز، ومشىٰ علىٰ رؤوس أصابعه عبر الصالة إلىٰ أن وصلوا إلىٰ باب أسود آخر موجود في آخرها. فتح إينوخ الباب قليلًا وأدخل رأسه في الفتحة. ثم قام في لحظة بفتحه كاملًا، وأشار بأصبعه لهايز أن يتبعه. دخلوا إلىٰ صالة أخرىٰ، كانت تشبه السابقة، ولكنَّها كانت أعرض وأقصر. **قال إينوخ بصوت منخفض:** «إنَّها موجودة بعد ذلك الباب!».

دخلوا إلىٰ غرفة صغيرة مليئة بصناديق العرض الزجاجية. وكانت صناديق العرض تغطي كل الحوائط، وكان هناك ثلاثة

Twitter: @ketab_n

صناديق في منتصف الغرفة علىٰ شكل توابيت. كانت الصناديق علىٰ الحائط مليئة بالطيور المتمايلة علىٰ قضبان أفقية وكان يعلو وجوههم تعابير جافة لاذعة.

همس إينوخ قائلًا: «هيا بنا!».

مرَّ بجانب أول صندوقين علىٰ الأرض باتجاه الصندوق الثالث، ومشىٰ حتىٰ نهايته ثم توقف. وقف ينظر للأسفل وعنقه ممدود للأمام وكانت يداه متشابكتين. وقف هايز موتس بجانبه.

وقف الاثنان هناك، كان إينوخ يقف باستقامة وهايز يميل تجاه الصندوق قليلًا. كان يوجد ثلاثة أوعية وصفٌّ من الأسلحة الحادة ورجل في صندوق. كان إينوخ ينظر للرجل، وكان بطول ثلاثة أقدام. كان عاريًا ومدهونًا باللون الأصفر وكانت عيناه مغلقتين تقريبًا كما لو أن قطعة من الحديد كانت ستقع عليه.

همس إينوخ قائلًا: «انظر لتلك الملاحظة!».

كان يشير لبطاقة مطبوعة معلَّقة علىٰ قدم الرجل.

ثم أكمل قائلًا: «تقول البطاقة: إنَّه كان سابقًا بطولي وطولك، ولكن بعض العرب فعلوا به ذلك خلال ستة أشهر»، ثم أدار وجهه بحذر لينظر إلىٰ هايز.

كلُّ ما كان يستطيع رؤيته هو أنَّ أعين هايز موتس كانت تحدق بالرجل المنكمش. كان يميل للأمام، حيث إنَّ انعكاس وجهه كان ظاهرًا علىٰ زجاج الصندوق. كان الانعكاس باهتًا وكانت عيناه

Twitter: @ketab_n

تشبهان حفرتين لرصاصتين أُطلقتا من مسدس. انتظر إينوخ بتصلُّب. سمع صوت خطوات في الصالة. صلىٰ إينوخ ودعىٰ يسوع أن يجعله يتمم ما هو علىٰ وشك القيام به! دخلت المرأة صاحبة الطفلين من الباب. كانت تمسك ولدًا في كل يد وكانت تبتسم. لم يرفع هايز نظره من علىٰ الرجل المنكمش. ومشت المرأة في اتجاههم. ثم توقفت في الطرف الآخر من الصندوق وظهر انعكاس وجهها المبتسم فوق انعكاس وجه هايز علىٰ الزجاج.

ضحكت المرأة ووضعت إصبعين أمام أسنانها. كان وجه كل طفل يشبه القدر وكأن هذين القدرين قد وضعا علىٰ جانبيها ليقع فيهما ما يتساقط منها من ضحكات. عندما رأىٰ هايز وجهها علىٰ الزجاج، انكمشت رقبته وأصدرت صوتًا. كان من المحتمل أنّ الصوت كان قد صدر من الرجل داخل الصندوق.

في لحظة ظنَّ إينوخ ذلك. **ثم صاح قائلًا**: «انتظر!». وأسرع راكضًا خارج الغرفة وراء هايز.

فلحق به في منتصف التلة. وأمسك به من ذراعه وأداره نحوه ووقف هناك، وشعر فجأة أنَّه ضعيفٌ وخفيفٌ كالبالون، ثم حدَّق في هايز. فأمسك به هايز من كتفيه وهزَّه وصرخ فيه قائلًا: «ما هو العنوان! أعطني العنوان!».

حتىٰ لو كان إينوخ متأكدًا من العنوان، لم يكن ليتذكره في حينها. لم يكن يستطيع الوقوف حتىٰ، وبمجرد أن تركه هايز، وقع وارتمىٰ مقابل إحدىٰ الأشجار المدهونة باللون الأبيض. التفَّ

Twitter: @ketab_n

وتمدد بعدها علىٰ الأرض، وعلىٰ وجهه نظرة فخر. كان يظنُّ أنَّه يطفو. علىٰ بُعد مسافة رأىٰ الجسم الأزرق ينحني ويمسك بحجر، ثم رأىٰ الجسم الأزرق يستدير تجاهه، ثم انطلق الحجر باتجاهه. فأغلق عينيه بشدَّة وأصابه الحجر في جبهته.

عندما استعاد وعيه، كان هايز قد رحل. ثم استلقىٰ في مكانه لبرهة. ووضع أصابعه علىٰ جبهته وعلىٰ عينيه. كانتا ملطختين باللون الأحمر. فأدار رأسه ورأىٰ بقعة من الدم علىٰ الأرض وكلما نظر إليها كان يظنُّ أنَّها كانت تتسع كأنَّها جدول صغير. جلس معتدلًا، كان يشعر أنَّ جلده متجمد، وضع أصابعه علىٰ جلده وكان يستطيع أن يسمع صوت نبض دمه خفيفًا، دمه المريب، في منتصف المدينة.

عرف عندها أنَّ ما كان ينتظره من هايز كان قد بدأ للتو.

Twitter: @ketab_n

الفصل السادس

قاد هايز في تلك الليلة سيارته في الشوارع، حتىٰ وجد الرجل الأعمىٰ وابنته مجددًا. وكانا يقفان عند زاوية ينتظران لون إشارة المرور كي يتغير. قاد سيارته من نوع (إسيكس) وراءهم لحوالي أربع حارات في الشارع الرئيس، وأبقىٰ مسافة ثابتة بينه وبينهم، ثم انحرف وراءهم إلىٰ شارع فرعي. وتبعهم إلىٰ منطقة مظلمة بعد ساحة السكك الحديدية وراقبهم وهم يصعدون للشرفة الأمامية لبيت مكون من طابقين يشبه الصندوق. عندما فتح الرجل الأعمىٰ الباب وقع عليه حزمة من الضوء ورفع هايز عنقه كي يراه بشكل أفضل. أدارت الفتاة رأسها ببطء، كما لو كان مربوطًا ببرغي، ونظرت لسيارته تعبر أمامهم. كان وجه هايز قريبًا من الزجاج لدرجة أنَّه بدا كوجهٍ ورقيٍّ ملصوق علىٰ زجاج النافذة. دوَّن رقم البيت، ولاحظ لافتة موجودة علىٰ البيت تقول: (غرف للإيجار).

عاد بعدها للمدينة، وركن السيارة أمام صالة لعرض الأفلام، في مكان يستطيع أن يرىٰ سيل الخارجين منه. كان الضوء الصادر من فوق الصالة شديد اللمعان لدرجة أنَّ القمر، الذي كان يتحرك في السماء، ومن ورائه مجموعة صغيرة من الغيوم، بدا شاحبًا وغير

Twitter: @ketab_n

ذي أهمية. خرج هايز من السيارة وجلس علىٰ مقدمتها.

كان هناك رجل صغير نحيف ذو شفة علوية طويلة أمام شباك التذاكر، وكان يشتري تذاكر لثلاث نساء بدينات خلفه. **قال للمرأة في شباك التذاكر**: «عليَّ أن أشتري بعض المرطبات أيضًا لهؤلاء الفتيات، لا أستطيع أن أتركهنَّ يشعرن بالعطش أمام عيني».

قالت واحدة من النساء: «أليس رائعًا؟ إنه يعتني بي كثيرًا».

خرج ثلاثة فتيان يلبسون معاطف حمراء من البهو. رفع هايز يده وقال بصوت باكٍ: «أين تأثير ذلك الدم الذي تعتقدون أنَّه قد طهركم؟!».

استدارت كل النساء معًا وحدقن فيه.

قال الرجل النحيف: «شخص يظنُّ نفسه حكيمًا»، ثم حدق فيه كما لو كان سيهينه.

أكمل الثلاثة فتيان سيرهم وهم يتدافعون.

انتظر هايز لبرهة، وقال مجددًا بصوت باكٍ: «أين تأثير ذلك الدم الذي تعتقدون أنَّه قد طهركم؟».

قال الرجل النحيف: «غوغائي، شيء واحد لا أستطيع تحمله هو الغوغائي».

سأل هايز وهو يشير لأطول فتىٰ، الذي يلبس المعطف الأحمر قائلًا: «إلىٰ أيِّة كنيسة تنتمي أيها الولد؟!».

ضحك الولد.

Twitter: @ketab_n

ثم أشار بفارغ الصبر بعدها للفتىٰ المجاور له وسأله: «أنت إذن؛ لأيّة كنيسة تنتمي؟!».

قال الولد بصوت عالي النبرة بصورة مصطنعة: «كنيسة المسيح!».

أعاد هايز قائلًا: «كنيسة المسيح! حسنًا، أنا أبشر لكنيسة اللا مسيح. أنا عضو ومبشر لتلك الكنيسة حيث لا يرىٰ الأعمىٰ ولا يمشي الأعرج والميت يظلُّ ميتًا. اسألني عن تلك الكنيسة وسأخبرك أنَّها الكنيسة التي لا يفوح فيها من دم يسوع رائحة التوبة الكريهة».

قالت إحدىٰ النساء: «إنَّه مبشر، هيا بنا . . .!».

قال هايز: «اسمعوا أيها الناس، سوف آخذ الحقيقة معي أينما ذهبت. سوف أبشر بتلك الحقيقة لأيِّ شخص يريد أن يسمعها في أيِّ مكان. سوف أبشر بأنَّه لم يكن هناك أيُّ نزول من الجنة؛ لأنَّه لم يكن هناك مكان لينزل منه في الأصل، وأنَّه لا وجود للتوبة؛ لأنَّه لم يكن هناك نزول، وأنَّه لا يوجد حساب لأنَّ الشيئين الأوَّلين غير موجودين. الشيء المهم الوحيد هو أنَّ يسوع كان كذَّابًا».

أدخل الرجل النحيف نساءه إلىٰ صالة العرض بسرعة، ورحل الفتيان الثلاثة، ولكن المزيد من الناس خرجوا وعاد هايز من البداية، وقال الكلام نفسه. ذهب الناس وأتىٰ غيرهم وأعاد الكلام مرة ثالثة. ثم رحلوا ولم يخرج غيرهم، لم يكن هناك أحد سوىٰ

Twitter: @ketab_n

المرأة في شباك التذاكر الزجاجي. كانت تحدق فيه طول الوقت، ولكنَّه لم يلاحظها. كانت تلبس نظارات مزينة بأحجار ملونة لامعة، وكان شعرها أبيضَ ملفوفًا علىٰ شكل حبات نقانق. **فأدخلت فمها في فتحة في الزجاج، وصرخت قائلة:** «اسمع! إذا لم يكن لديك كنيسة لتبشر فيها، فلا تفعل ذلك أمام هذه الصالة . . .».

قال: «كنيستي هي كنيسة اللا مسيح يا سيدة، لا يسوع فيها، لا يوجد سبب لأن يكون هناك مكان للتبشير منه».

قالت: «اسمع! إذا لم تذهب من أمام الصالة، فسأتصل بالشرطة».

قال: «هناك الكثير من الصالات».

ثم نزل وركب السيارة، وقاد مبتعدًا.

وبشَّر في تلك الليلة أمام ثلاث صالات أخرىٰ قبل أن يذهب للسيد واتس.

قاد السيارة في الصباح للبيت الذي دخل إليه الرجل الأعمىٰ والفتاة في الليلة الماضية. كان مصنوعًا من ألواح صفراء، كان البيت الثاني في صف من البيوت المتشابهة. ثم صعد إلىٰ الباب الرئيس وقرع الجرس. بعد بضع دقائق فتحت امرأة تحمل مكنسة في يدها الباب. **أخبرها:** (إنَّه يريد أن يستأجر غرفة).

سألت قائلة: «ما هي وظيفتك؟!».

Twitter: @ketab_n

كانت امرأة طويلة بارزة العظام تشبه عصا المكنسة التي كانت تحملها ولكن بالمقلوب.

زعم بأنَّه مبشِّر.

نظرت إليه المرأة بتمعن، ثم نظرت وراءه إلىٰ السيارة.

سألت قائلة: «أية كنيسة؟!».

أخبرها بأنَّها كنيسة اللا مسيح.

سألت بنبرة فيها شكٌّ قائلة: «كنيسة بروتستانتية؟ أو أجنبية؟».

أخبرها بأنَّها لا، إنها بروتستانتية.

بعد برهة قالت له: «حسنًا، يمكنك النظر إليها».

ثم تبعها إلىٰ صالة مدهونة بالأبيض، وصعدا بعض الدرجات الموجودة في طرف الصالة. وفتحت الباب لغرفة خلفية كانت أكبر بقليل من سيارته. كان فيها سرير متنقل وصندوق للأغراض وطاولة وكرسي. لم يكن هناك مسامير علىٰ الحائط لتعليق الأغراض.

قالت له: «ثلاثة دولارات في الأسبوع والدفع سلفًا».

كان هناك نافذة واحدة، وباب آخر مقابل الباب الذي دخلا منه. فتح هايز الباب، ظنًّا منه أنَّه خزانة. كان الباب يؤدي لحفرة بعمق ثلاثين قدمًا تقريبًا، كانت تطل علىٰ ساحة خالية صغيرة، كانت تجمع فيها النفايات. كان هناك لوح خشبي علىٰ ارتفاع الركبة مثبت علىٰ إطار الباب؛ كي يمنع أيَّ أحد من السقوط.

Twitter: @ketab_n

سأل هايز بسرعة: «هناك رجل اسمه هاوكس يعيش هنا، أليس كذلك؟!».

قالت له: «في الطابق الأسفل في الغرفة الأمامية، هو وابنته».

كانت تنظر إلىٰ الفتحة أيضًا، ثم أكملت قائلة: «كان هذا المكان مخرجًا للطوارئ، ولكنني لا أعلم ما حدث هنا».

دفع لها الثلاثة دولارات، واستلم الغرفة، وعندما ذهبت نزل السلالم وقرع باب هاوكس.

فتحت ابنة الرجل الأعمىٰ الباب ووقفت تنظر إليه. كان يبدو عليها كأنَّها تحاول أن توازن التعابير علىٰ جانبي وجهها.

قالت بنبرة منخفضة: «إنَّه ذلك الفتىٰ يا أبي، الفتىٰ الذي يتبعني باستمرار».

أبقت الباب مفتوحًا حتىٰ يستطيع أن يرىٰ ما وراءه. أتىٰ الرجل الأعمىٰ للباب، ولكنَّه لم يفتحه أكثر ممَّا كان مفتوحًا. لم تكن نظرته مشابهة لنظرته قبل يومين، كانت فجة وغير ودودة، ولم يتكلم، ووقف في مكانه فحسب.

كان هايز قد حدَّد ما سيقول قبل أن يترك غرفته.

فقال: «أنا أسكن هنا، وظننت بما أن ابنتك رمقتني ببعض النظرات الحاقدة، فعليَّ أن أرد الدين لها».

لم يكن هايز ينظر للفتاة، بل كان يحدق في النظارات

Twitter: @ketab_n

السوداء والنُدَب المثيرة للاهتمام التي كانت تبدأ من خلف النظارات، وتمتد إلىٰ خدود الرجل الأعمىٰ.

قالت الفتاة: «النظرة التي نظرت بها إليك في تلك الليلة هي نظرة استنكار لِمَا رأيتك تفعله. أنت من رمقني بنظرة حاقدة، كان يجب أن ترىٰ ذلك يا أبي، لقد نظر إليَّ باستعلاء».

قال هايز: «لقد أسست كنيسة خاصة بي، كنيسة اللا مسيح، أنا أبشِّر في الشوارع».

قال هاوكس: «أنت لا تستطيع أن تتركني وشأني، أليس كذلك؟ أنا لم أطلب منك أن تأتي هنا ولم أطلب منك أن تتسكع حول المكان».

توقع هايز أن يقوم بدعوته بشكل ضمني. فانتظر وحاول التفكير بشيء ليقوله.

سمع نفسه يقول: «أيُّ نوع من المبشرين أنت؟ ليس لأرىٰ إن كنت تستطيع إنقاذي».

أغلق الرجل الأعمىٰ الباب في وجهه، ووقف هايز للحظة أمام الباب المغلق، ثم مسح فمه بكمِّه ورحل.

في الداخل، خلع هاوكس نظارته السوداء، ونظر إلىٰ هايز من خلال فتحة في ستارة النافذة وهو يركب سيارته ويقود مبتعدًا. كانت العين التي وضعها في الفتحة أصغر وأكثر استدارة قليلًا من الأخرىٰ. ولكن من الواضح أنَّه كان يستطيع الرؤية من خلالهما.

Twitter: @ketab_n

كانت الفتاة تنظر من فتحة في الأسفل.

سألت الفتاة قائلة: «لماذا لا تحبه يا أبي؟ لأنَّه يتبعني؟».

قال لها: «لو كان يتبعك لكنت دعوته للدخول».

فقالت: «أحب عينيه، لا يبدو أنَّه يرىٰ بهما ما ينظر إليه، ولكنه يستمر في النظر».

كانت غرفتهما بنفس حجم غرفة هايز، ولكن كان فيها سريران وموقد زيت للطبخ وحوض للغسيل وصندوق خلفي لسيارة كانوا يستخدمونه كطاولة. **جلس هاوكس علىٰ أحد الأسرة ووضع سيجارة في فمه وتمتم قائلًا:** «شخص لعين أناني من محبي يسوع».

قالت له: «حسنًا، انظر إلىٰ ما كنت عليه، انظر إلىٰ ما حاولت فعله. أنت تخطيت تلك المرحلة وهو سيفعل كذلك».

قال: «لا أريده أن يتسكع في الجوار، إنَّه يسبب لي التوتر».

جلست علىٰ السرير بجانبه، وقالت: «استمع لي، ساعدني علىٰ أن أحظىٰ به، وأن نعيش معًا، ثم أرحل بعيدًا وافعل ما تريد».

قال هاوكس: «إنَّه لا يعلم حتىٰ إنَّك موجودة».

قالت له: «حتىٰ لو لم يكن يعلم، لا بأس بذلك؛ لذلك: السبب سيكون من السهل أن أحظىٰ به. أنا أريده، وأنت يجب أن تساعدني، ثم بإمكانك الرحيل كما كنت تريد».

تمدَّد علىٰ السرير وأنهىٰ سيجارته، كان وجهه يتسم بالشرِّ

Twitter: @ketab_n

وعمق التفكير، ثم ضحك وهو مستلقٍ علىٰ السرير، ثم عاد وجهه لنفس ملامحه السابقة، وقال: «حسنًا ... قد ينفع ذلك ...».

ثم أكمل بعد برهة قائلًا: «من الممكن أن يكون ذلك هو الزيت علىٰ لحية هارون»[1].

قالت: «اسمع! سيكون ذلك رائعًا، إنِّي مغرمة به، لم أرَ فتًىٰ أعجبني شكله مثله. لا تكن سببًا في رحيله. أخبره كيف أعميت نفسك بسبب يسوع وأره القصاصة التي لديك».

قال: «نعم؛ القصاصة».

خرج هايز من سيارته ليفكر، وقرر بأن يغوي ابنة هاوكس. ظنَّ بأنَّ الرجل الأعمىٰ سيصدق أنَّه جدِّي في تبشيره لكنيسة اللا مسيح حين يرىٰ أنَّ ابنته قد فسدت أخلاقها. كان هناك سبب آخر، لم يكن يريد أن يعود للسيدة واتس. عندما كان نائمًا في الليلة السابقة، نهضت وقامت بقصِّ قبعته بشكلٍ فاحش. كان يشعر بضرورة أن يكون له امرأة، لا ليحصل علىٰ المتعة منها، ولكن ليؤكد أنَّه لم يكن يؤمن بالذنب بما أنَّه يمارسه. ولكنَّه كان قد أخذ كفايته من السيدة واتس. أراد شخصًا يستطيع أن يعلمه هو شيئًا، وكان متيقنًا، بما أن تلك الفتاة كان تحب الجلوس في البيت؛ فإنَّها ستكون بريئة.

---

(١) المقصود هنا هو: (زيت الميرون المقدس)، والذي له دلالة في الإنجيل. وهذا المصطلح يستخدم للتعبير عن الرضا الناجم عن اكتمال فكرة ما.

Twitter: @ketab_n

قبل أن يعود لغرفته، ذهب لمحل للألبسة الجاهزة ليشتري قبعة جديدة. كان يريد قبعة مغايرة تمامًا لسابقتها. فابتاع في هذه المرة قبعة بيضاء من نوع: (بنما) ***(Panama)***، (تشبه قبعة راعي البقر). كان حول القبعة شريط باللون الأصفر والأخضر. أخبره البائع بأنَّها مناسبة جدًّا خصوصًا إذا كان ينوي الذهاب لولاية فلوريدا.

قال: «أنا لست ذاهبًا لفلوريدا، هذا القبعة مغايرة تمامًا لقبعتي القديمة، هذا كل ما في الأمر».

قال البائع: «تستطيع أن تستخدمها في أيِّ مكان، إنَّها نوعية جديدة».

قال هايز: «أعلم ذلك».

وخرج من المحل ونزع الشريط المزين باللون الأحمر والأخضر والأصفر، ثم مسح التجاعيد من علىٰ حافة القبعة بيده وطوىٰ طرفها للأسفل. عندما لبسها بدا شكله عنيفًا جدًّا، كما كان يبدو بالقبعة القديمة.

ثم إنَّه لم يرجع إلىٰ غرفة هاوكس إلَّا بعد ظهيرة ذلك اليوم، في الوقت الذي ظنَّ فيه أنَّهم يتناولون طعام العشاء. ففتح الباب مباشرة تقريبًا وظهر رأس الفتاة من الفتحة. دفع هايز الباب ودخل من دون أن ينظر لها مباشرة. كان هاوكس يجلس علىٰ صندوق السيارة الخلفي. وكانت بقايا عشائه أمامه، لكنَّه لم يكن يأكل. بالكاد وضع نظاراته السوداء في الوقت المناسب.

Twitter: @ketab_n

سأل هايز: «إذا كان يسوع قد شفىٰ أشخاصًا مصابين بالعمىٰ، لماذا لا تطلب منه أن يشفيك؟».

كان هايز قد جهَّز تلك الجملة في الغرفة.

قال هاوكس: «لقد أصاب بولس بالعمىٰ».

جلس هايز علىٰ طرف أحد الأسرة. ونظر حوله ثم نظر إلىٰ هاوكس. ووضع رجلًا فوق رجل، ومن ثَمَّ رفعها، ومن ثم أعاد وضع رجل علىٰ رجل مرة أخرىٰ.

سأل هايز قائلًا: «من أين حصلت علىٰ تلك الندوب؟».

مال الرجل الأعمىٰ المزيف تجاه هايز، وابتسم قائلًا: «ما زال بإمكانك أن تنقذ نفسك إذا تبت، لا أستطيع أن أنقذك، ولكنك تستطيع إنقاذ نفسك».

قال هايز: «هذا ما قمت بفعله، من دون توبة. أنا أبشر كل ليلة كيف فعلت ذلك في . . .».

قال هاوكس: «انظر لهذا . . .».

ثم أخرج من جيبه قصاصة من جريدة صفراء، وناوله إيَّاها، اختفت الابتسامة من وجهه بعد ذلك.

تمتم قائلًا: «هكذا حصلت علىٰ الندوب».

أشارت الفتاة له بأن يبتسم وألا يبدو منزعجًا. انتظر أن ينتهي هايز من القراءة، ثم عادت الابتسامة ببطء.

كان عنوان القصاصة يقول: «مبشِّرٌ للمسيحة يعد بأن يُعمي

Twitter: @ketab_n

نفسه»، كان بقية الخبر يذكر أن أيسا هاوكس، المبشر في كنيسة المسيح الحرة، قد وعد بأن يعمي نفسه ليثبت أن يسوع المسيح قد تاب عليه. قال بأنَّه سيفعل ذلك في اجتماع الصحوة الدينية مساء يوم السبت في الساعة الثامنة، الرابع من أكتوبر. كان التاريخ المكتوب عليها عمره أكثر من عشر سنوات. فوق العنوان كان يوجد صورة لهاوكس، من دون ندوب، كان يبدو رجلًا مستقيمًا في الثلاثين من عمره تقريبًا، وكانت إحدىٰ عينيه أصغر وأكثر استدارة من الأخرىٰ. وكان فمه يبدو عليه وكأنَّه شخص متدين أو ماكر، ولكن عينيه كانتا مليئتين بالجموح الذي يشير للخوف.

جلس هايز يحدق في القصاصة بعد أن قرأها. قام بقراءتها ثلاث مرات. ثم خلع قبعة، ومن ثَمَّ لبسها مجددًا، ثم قام ينظر حوله في الغرفة، كما لو كان يحاول تذكر مكان الباب.

قالت الفتاة: «لقد فعلها بسرور. وغير المئات عندها معتقدهم. أيُّ شخصٍ يعمي نفسه ليثبت إيمانه، يستطيع إنقاذك». ثم أضافت ملمحة: «أو حتىٰ شخص يحمل دمه».

تمتم هايز قائلًا: «لا يوجد شخص يملك سيارة جيدة يحتاج لأن يتم إثبات أي شيء له».

ثم عبس في وجهها، وأسرع بالخروج من الغرفة، ولكن بمجرد أن أوصد الباب وراءه، تذكر شيئًا. فاستدار وفتح الباب وناولها قطعة من الورق، كانت مطوية عدة مرات، ثم أسرع إلىٰ سيارته.

Twitter: @ketab_n

أخذ هاوكس الورقة منها وفتحها.

كانت تقول: «حبيبتي، لم أرَ أي أحد بجمالك من قبل وهذا هو سبب قدومي هنا».

قرأتها من فوق يده وتغير لونها من كثرة السعادة.

قالت: «لديك الآن الإثبات المادي يا أبي».

تمتم هاوكس قائلًا: «ذلك الوغد أخذ قصاصتي».

سألت بتهكم قائلة: «حسنًا، لديك غيرها، أليس كذلك؟».

قال لها: «أغلقي فمك».

ثم استلقىٰ علىٰ السرير.

كانت القصاصة الأخرىٰ تقول: «مبشِّرٌ تخذله شجاعته».

قالت: «أستطيع أن أحضرها لك».

كانت تقف قريبة من الباب، حتىٰ تستطيع الهرب إذا ضايقته كثيرًا، ولكنَّه استدار تجاه الحائط وذهب إلىٰ النوم.

كان ينوي قبل عشر سنوات في اجتماع ديني أن يعمي نفسه، وكان هناك مئتا شخص حاضرين في الاجتماع، ينتظرونه أن يفعل ذلك. فقام بإلقاء خطبة لحوالي ساعة عن سبب إصابة بولس بالعمىٰ، تحدث عن كيف أنَّه ارتقىٰ حتىٰ رأىٰ وميضًا إلهيًّا من الضوء أصابه بالعمىٰ. وببعض الشجاعة استطاع أن يمسك بحفنة من الجير الجاف وأن يرشَّه علىٰ وجهه، ولكنَّه لم يستطع أن يدخل أيًا منه في عينيه. كان متلبسًا من قبل عدة شياطين، ولكنَّهم في تلك

Twitter: @ketab_n

اللحظة اختفوا. وشعر بنفسه عندها يقف هناك وكان بجانبه يسوع الذي طرد الشياطين يناديه. ولكنَّه هرب من الخيمة إلىٰ الزقاق واختفىٰ.

قالت: «حسنًا يا أبي! سأخرج قليلًا للخارج وأتركك في سلام».

قاد هايز سيارته مباشرة نحو أقرب محل تصليح سيارات، حيث استقبله رجل له شعر أسود يصل لكتفه، وله وجه صغير خالٍ من الملامح. **قال هايز للرجل:** (إنَّه يريد أن يرفع صوت البوق، ويريد سدَّ التسريبات في خزان الوقود، ويريد منه أن يجعل المشغل يعمل بسهولة أكثر، وأن يشدَّ مسَّاحات الشبابيك أكثر).

فتح الرجل غطاء السيارة، وألقىٰ نظرة علىٰ الداخل وأغلق الغطاء. ثم مشىٰ حول السيارة، وكان يقف أحيانًا ليتفحص بعض أجزائها بنظره أو بيده. سأله هايز عن الوقت اللازم لكي تصبح السيارة في أفضل حالة.

قال الرجل: «لا يمكن ذلك».

قال هايز: «إنَّها سيارة جيدة، علمت عندما رأيتها لأول مرة أنَّها السيارة المناسبة لي. منذ أن امتلكتها أصبح لدي شيء أستطيع التنقل فيه».

سأل الرجل: «هل ستذهب لمكان ما باستخدام هذا الشيء؟».

Twitter: @ketab_n

قال هايز: «سأذهب إلىٰ محل تصليح آخر». ثم ركب سيارته وقاد مبتعدًا.

قال له الرجل في المحل الآخر الذي ذهب إليه: (إنَّه يستطيع أن يصلح السيارة، ويجعلها بأفضل حال بعد ليلة واحدة؛ لأنَّها سيارة جيدة، والقطع الموجودة فيها وطريقة تركيب القطع جيدة جدًّا، ولأنَّه أفضل ميكانيكي في المدينة، ويعمل في ورشة تصليح مجهز بأفضل المعدات).

ترك هايز السيارة معه، وهو موقن بأنَّ السيارة في أيد أمينة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل السابع

في اليوم التالي عندما استرجع سيارته، قادها لريف المدينة؛ ليرىٰ مدىٰ جودة أدائها في طريق مفتوح. كان لون السماء أفتح قليلًا من لون سترته الزرقاء، وكانت السماء صافية ومستوية وفيها غيمة واحدة. كانت الغيمة بيضاء وكبيرة، وكان شكلها يبدو وكأنَّ لديها خصلات شعر ولحية. كان قد قاد مسافة ميل خارج المدينة قبل أن يسمع صوت سعال خفيف وراءه. خفف السرعة ونظر وراءه ورأىٰ ابنة هاوكس تقوم من علىٰ الأرض وتجلس علىٰ لوح الخشب الموجود علىٰ إطار الكرسي.

قالت: «لقد كنت هنا طوال الوقت ولم تعلم بذلك».

كان في شعرها بعض أزهار الهندباء، وكان علىٰ وجهها الشاحب فمٌ أحمر عريض.

قال هايز بغضب: «لماذا تختبئين في سيارتي؟ لدي عمل ينتظرني، ليس لدي وقت للسخافة».

ثم غيَّر نبرته البشعة وتذكر أنَّه كان قد قرر أن يغويها.

ثم قال: «لا بأس، أنا مسرور».

Twitter: @ketab_n

لوحت بقدمها النحيفة التي تلبس جوربًا أسود عليها أمام المقعد الأمامي، وقالت: «أنت مسرور لرؤيتي، أم أنت فقط مسرور؟».

قال بجمود: «الاثنان معًا . . .».

قالت: «اسمي ساباث، ساباث ليلي هاوكس. أمي سمتني هكذا بعد أن وُلدت؛ لأنَّني ولدت في يوم السبت *(Sabbath)*[1]، ثم انقلبت في فراشها، وماتت ولم أرها أبدًا!».

قال هايز: «آهٍ . . .!».

ثم أطبق علىٰ فكِّه، وأكمل قيادة السيارة. لم يكن يرغب أن يكون برفقة أحد الآن، وكان إحساسه بمتعة قيادة السيارة وقت الظهيرة قد ذهب.

أكملت قائلة: «لم يكونا متزوجين، وذلك يجعلني بنت زنا، ولكنني لا أستطيع فعل شيء حيال ذلك. كان ذلك شيئًا فعله أبي ولم أفعله أنا».

تمتم قائلًا: «بنت زنا؟».

لم يكن يستطيع أن يتخيل أن يكون مبشرٌ أعمىٰ نفسه من أجل يسوع يمتلك بنت زنا. أدار رأسه ونظر إليها باهتمام للمرة الأولىٰ.

فهزَّت رأسها، وبدأت مخاوفها تظهر عندما أمسكت بكوعه، وقالت: «ابنة زنا حقيقية، وهل تعلم المشكلة؟ ابن الزنا لا يدخل مملكة الجنة أبدًا».

---

(١) (ساباث): في اللغة اليهودية هو يوم السبت، وهو يوم الإجازة الدينية.

Twitter: @ketab_n

كان هايز يقود السيارة في اتجاه خندق وهو ينظر إليها.

ثم قال: «كيف يمكن أن تكوني . . . !».

ثم رأىٰ الحاجز الأحمر أمامه، ثم انحرف بالسيارة نحو الطريق مرة أخرىٰ.

سألت قائلة: «هل تقرأ الجريدة؟!».

قال: «لا!».

قالت: «هناك كاتبة في الجريدة تسمىٰ ماري بريتل تجيب علىٰ أسئلة القراء وتخبرهم بما يجب عليهم أن يفعلوه عندما يكونوا في حيرة من أمرهم. كتبت لها رسالة وسألتها عن ما يجب علي فعله».

قال مكررًا: «كيف يمكن أن تكوني ابنة زنا وقد أعمىٰ . . .».

قالت: «كتبت قائلة لها: عزيزتي ماري، أنا ابنة زنا، وابن الزنا لا يدخل مملكة الجنة أبدًا كما يعلم الجميع، ولكنَّني أمتلك شخصية تجعل الفتيان يتعقبونني. هل تعتقدين أنَّه من الصواب أن أنسل وراء رغباتي؟ أنا لن أدخل مملكة الجنة في كل الأحوال؛ لذلك: لا أرىٰ الفرق في كل الأحوال»

قال هايز: «اسمعي! إذا كان قد أعمىٰ نفسه فكيف . . .».

فقالت له: «ثم أجابت علىٰ رسالتي في الجريدة. قالت: عزيزتي ساباث، القليل من المعانقة والتقبيل لا بأس به، ولكنني أعتقد أنَّ مشكلتك تكمن في التكيف مع العالم الحديث. ربما عليك أن تعيدي دراسة مبادئك الدينية، والنظر فيما لو كانت تناسب

Twitter: @ketab_n

احتياجاتك الحياتية. ممكن أن تكون التجربة الدينية إضافة جميلة للحياة لو وضعت في نصابها الصحيح، ولم يسمح لها بالتسلط عليك. اقرأي بعض الكتب عن الثقافة الأخلاقية».

قال هايز: «لا يمكن أن تكوني ابنة زنا، لا بُدَّ أن الأمر اختلط عليك. والدك أعمىٰ نفسه».

ثم قالت وهي تحك كاحله بمقدمة حذائها وتبتسم: «ثم كتبت لها رسالة ثانية، عزيزتي ماري، ما أريد معرفته فعلًا هو هل يجب علي أن أكمل موضوع الفتيان لآخره أم لا؟ هذه مشكلتي الحقيقية. أنا متأقلمة مع العالم الحديث جيدًا».

أعاد هايز قائلًا: «والدك أعمىٰ نفسه».

فقالت: «لم يكن دائمًا جيدًا كما هو الآن، لم ترد أبدًا علىٰ رسالتي الثانية».

سأل قائلًا: «هل تعنين أنَّه في شبابه لم يكن يؤمن ولكنَّه آمن لاحقًا؟ هل ذلك ما تعنينه أم لا؟».

ثم ركل قدمها بخشونة بعيدًا عنه.

فأجابت: «ذلك صحيح، ألم يعجبك إحساس قدمي علىٰ قدمك؟!».

كانت الغيمة البيضاء أمامهم بقليل، تتحرك إلىٰ اليسار.

فقالت: «لماذا لا تنعطف باتجاه ذلك الطريق الترابي؟!».

انعطف هايز باتجاه طريق من الصلصال متشعب من الطريق

Twitter: @ketab_n

السريع. كان مليئًا بالتلال والأشجار الظليلة، وكان الطريق مزيَّنًا علىٰ جانبيه. كان مزينًا بشجيرات كثيفة من أزهار العسل من جهة، وبمنظر مطلٍّ علىٰ المدينة من الجهة الأخرىٰ.

سأل هايز: «كيف أصبح مؤمنًا؟ ما الذي غيره ليصبح مبشرًا للمسيح؟».

قالت: «أحب الطريق الترابي، خصوصًا عندما يكون علىٰ تلة مثل هذا. لما لا ننزل من السيارة ونجلس تحت إحدىٰ الأشجار حيث يكون بالإمكان أن نتعرف علىٰ بعض بشكل أفضل؟!».

بعد بضع مئات من الأقدام أوقف هايز السيارة وخرجا منها.

سأل قائلًا: «هل كان رجلًا شريرًا قبل أن يؤمن، أم كان جزءٌ منه شريرًا فقط؟!».

قالت: «كان شريرًا جدًّا».

ثم عبرت من تحت سور مصنوعٍ من أسلاك شائكة علىٰ طرف الطريق. بعد أن عبرته، بدأت تخلع حذاءها وجواربها. **ثم قالت** باستمتاع: «أحب أن أمشي علىٰ المرج حافية القدمين».

تمتم هايز قائلًا: «استمعي لي! علي أن أعود للمدينة. ليس لدي وقت لأمشي علىٰ المروج».

ولكنَّه عبر من تحت سور الأسلاك للطرف الآخر.

«أعتقد أنَّه قبل أن يصبح مؤمنًا لم يكن يؤمن بشيء أبدًا».

قالت: «لنذهب عبر تلك التلة هناك ونجلس تحت الأشجار».

Twitter: @ketab_n

صعدا التلة وذهبا للطرف الآخر منها، وكانت ساباث تمشي أمام هايز بمسافة صغيرة. كان يرىٰ أن جلوسه معها تحت الشجرة سيساعده علىٰ إغوائها، ولكنَّه لم يكن في عجلة من أمره علىٰ اعتبار أنَّها كانت ما تزال عذراء بريئة. كان يشعر بالمشقَّة أن يفعل ذلك في وقت الظهيرة. جلست تحت شجرة صنوبر كبيرة وربتت علىٰ الأرض بجانبها مشيرة له بالجلوس بقربها، ولكنَّه جلس علىٰ صخرة تبعد خمسة أقدام منها. وضع ذقنه علىٰ ركبته ونظر أمامه مباشرة.

قالت: «أستطيع إنقاذك، أمتلك كنيسة في قلبي؛ يسوع هو ملكها».

مال نحوها وقال وهو يحدق بها: «أنا أؤمن بيسوع جديد، يسوع لا يستطيع إهدار دمه ليتوب علىٰ الناس؛ لأنَّه مجرد إنسان لا ألوهية له. كنيستي هي كنيسة اللا يسوع!».

اقتربت منه وسألته قائلة: «هل بالإمكان إنقاذ ابنة زنا في تلك الكنيسة؟».

قال: «لا يوجد شيء اسمه ابن زنا في كنيسة اللا يسوع، الجميع سواسية. ابن الزنا لا يختلف عن أي شخص آخر».

فقالت: «جيد جدًّا».

نظر إليها بانفعال؛ لأنَّه كان يوجد في عقله شيء يناقضه، ويقول له بأنَّ ابن الزنا لا يمكن إنقاذه، لم يكن هناك سوىٰ حقيقة

Twitter: @ketab_n

واحدة -أن يسوع كان كذَّابًا- وأن مصيرها كان ميؤوسًا منه.

قامت بفتح ياقة قميصها واستلقت علىٰ الأرض، وقالت وهي ترفع قدمها تدريجيًّا: «أقدامي بيضاء، أليس كذلك؟».

لم ينظر هايز إلىٰ قدميها. ذلك الشيء في عقله قال بأن الحقيقة لا يمكن أن تناقض نفسها، وأن ابن الزنا لا يمكن إنقاذه في كنيسة اللا مسيح. ثم قرر بأن ينسىٰ الأمر وأنه لم يكن مهمًا.

استدارت واستلقت علىٰ بطنها وقالت: «كان يوجد في السابق طفل، لم يكن أحد يهتم لأمره، لم يبالِ أحدٌ إن مات أو عاش. أرسله أهله من شخص إلىٰ آخر. حتىٰ وصل إلىٰ جدَّته، وكانت امرأة شريرة جدًّا، ولم تكن تتحمل وجوده حولها؛ لأنَّ أيَّ شيء طيِّبٍ ولو كان صغيرًا كان يحولها لشخص حقير، حتىٰ إنَّ جلدها كان يصاب بالحكة والتورم بسبب ذلك. وكانت أعينها تصاب بالحكة والانتفاخ، ولم تكن تستطيع عمل شيء حينها سوىٰ الركض في الشارع ملوحةً بيدها، وهي تسب وتلعن، وكان الوضع يتضاعف عندما يكون ذلك الولد هناك. لذلك: كانت تُبقي ذلك الولد في قفص دجاج. لقد رأىٰ ذلك الولد جدته في نار الجحيم تحترق وتنتفخ، وأخبرها عن كلِّ ما رآه، حتىٰ بلغ فيها الحد بأن ذهبت إلىٰ بئر ولفت حبله حول عنقها وركلت الدلو وشنقت نفسها».

سألت قائلة: «هل كنت ستخمن أنَّني في الخامسة عشرة؟».

قال هايز: «لا يوجد هناك معنىٰ لكلمة ابن زنا في كنيسة اللا مسيح».

Twitter: @ketab_n

قالت له: «لماذا لا تستلقي وتريح نفسك؟».

ابتعد هايز بضعة أقدام واستلقىٰ علىٰ الأرض. وضع قبعته فوق وجهه، وكتَّف يديه فوق صدره. رفعت نفسها باستخدام يديها وركبها وزحفت باتجاهه، وعندما أصبحت فوقه حدقت في قبعته من فوق. ثم رفعت قبعته كما لو كانت ترفع غطاء قدرٍ ونظرت مباشرة إلىٰ عينيه. كانتا تنظران للأعلىٰ.

قالت له بنعومة: «لن يشكل مدىٰ إعجابك بي فرقًا بالنسبة إلي».

نظر إلىٰ رقبتها بينما كانت هي تخفض رأسها حتىٰ كانت أطراف أنوفهما علىٰ وشك التلامس، ولكنَّه لم ينظر إليها.

قالت له بصوت لعوب: «إنِّي أراك ...».

قال: «ابتعدي عني ...». وقفز بشكل عدائي.

نهضت وركضت خلف الشجرة. لبس هايز قبعته ونهض وهو يرتعش. أراد أن يعود للسيارة. انتبه فجأة أنَّ السيارة قد أوقفها هو في منطقة ريفية، غير موصدة، وأنَّ أول شخص يمر بإمكانه أن يقودها ويهرب بها.

قال صوت من وراء الشجرة: «إنِّي أراك ...».

تحرك بسرعة في الاتجاه المعاكس باتجاه السيارة. اضمحلت الابتسامة المتهللة التي كانت علىٰ الوجه الناظر من وراء الشجرة.

دخل السيارة وأخذ يتحرك كأنَّه يريد تشغيلها، ولكنَّها

Twitter: @ketab_n

أصدرت صوتًا أوحىٰ له بأن الماء تسرب من أحد الأنابيب. أخذه الرعب وبدأ يضغط بقوة علىٰ المشغل. كان ثمة جهازان علىٰ لوحة القيادة فيهما إبرتان تتحركان تارة باتجاه طرف وتارة باتجاه الطرف الآخر، ولكنَّهما كانتا تعملان باستخدام نظام خاص منفصل عن بقية السيارة. لم يكن يعرف إن كانت السيارة خالية من الوقود أم لا. ركضت ساباث هاوكس باتجاه السور. ونزلت علىٰ الأرض وتدحرجت تحت السلك الشائك، ثم نهضت ووقفت أمام نافذة السيارة وهي تنظر إليه. **أدار غاضبًا وقال:** «ماذا فعلت بسيارتي؟»، ثم خرج من السيارة، وبدأ بالسير في الشارع دون أن ينتظر إجابتها. فتبعته بعد برهة، ولكنها أبقت علىٰ مسافة بينهما.

في المكان الذي تشعب فيه الطريق السريع إلىٰ الطريق الترابي، كان يوجد محلٌّ أمامه مضخة وقود. وكان يبعد حوالي نصف ميل. حافظ هايز علىٰ مشيته السريعة حتىٰ وصل إليه. كان المحل يبدو مهجورًا، ولكن بعد بضع دقائق خرج رجل من الغابة خلف المحل وأخبره هايز بما كان يريده. بينما كان الرجل يخرج شاحنته المزودة برافعة لسحب السيارات؛ ليأخذهم إلىٰ مكان سيارة هايز وصلت ساباث هاوكس، واتجهت باتجاه قفص طوله ستة أقدام كان بجانب الكوخ. لم يلاحظ هايز ذلك حتىٰ أتت.

لقد لاحظ أنَّ شيئًا حيًّا كان بداخله، واقترب ما يكفي كي يستطيع قراءة اللوحة التي كانت تقول: «عدوان مميتان. شاهد مجانًا».

Twitter: @ketab_n

كان يوجد في داخل القفص دبٌّ نحيف جدًّا بطول أربعة أقدام، كان مستلقيًا علىٰ أرضية القفص، وكان علىٰ ظهره بقع من مادة دبقة توضع علىٰ الأغصان للإمساك بالطيور. تلك المادة وقعت عليه من صقر قابع علىٰ عصا فوقه في القفص نفسه. كان الصقر من فصيلة تسمىٰ صقور الدجاج. كان الصقر فاقدًا لذيله، وكان للدبِّ عين واحدة فقط.

قال هايز بخشونة وهو يمسك بيدها: «تعالي إن لم تكوني ترغبين بالبقاء هنا وحدك».

جهَّز الرجل شاحنته، وعاد الثلاثة إلىٰ مكان السيارة. أخبره هايز في الطريق عن كنيسة اللا مسيح، قام بشرح أسسها، وأنه لا يوجد فيها شيء اسمه ابن زنا، فلم يتفوَّه الرجل بتعليق. عندما وصلوا إلىٰ مكان السيارة وضع الرجل وقودًا من علبة في الخزان، وركب هايز، وحاول تشغيلها، ولكن لم يحدث شيء. رفع الرجل غطاء المحرك وتفحَّص ما بداخله. كان رجلًا بيدٍ واحدة، وكان لديه اثنان من أسنانه يميل لونهما للون الرمل، وكان يملك عينين زرقاوتين وقورتين. لم يتحدث حتىٰ الآن سوىٰ بكلمتين فقط. نظر لوقت طويل تحت غطاء المحرك ووقف هايز بجانبه، ولكنَّه لم يلمس شيئًا. بعد قليل أغلق الغطاء ونظَّف أنفه.

سأل هايز قائلًا: «ما هي المشكلة، إنَّها سيارة جيدة، أليس كذلك؟».

لم يجب الرجل. وجلس علىٰ الأرض، ودخل تحت

Twitter: @ketab_n

السيارة. كان يلبس حذاءً عاليًا، وجوارب رمادية اللون. بقي الرجل تحت السيارة فترة طويلة. فارتكز هايز علىٰ يديه وركبتيه ونزل لينظر ماذا يفعل الرجل، لكنه لم يكن يفعل شيئًا. كان مستلقيًا علىٰ الأرض ينظر للأعلىٰ كما لو كان يتأمل وكانت يده السليمة علىٰ صدره. بعد فترة خرج الرجل من تحت السيارة ومسح وجهه وعنقه بقطعة من قماش كانت توجد في جيبه.

قال هايز: «استمع لي! هذه سيارة جيدة، فقط أعطني دفعة، هذا كل ما في الأمر. تلك السيارة ستأخذني إلىٰ أيِّ مكان أريده».

لم يقل الرجل شيئًا، ولكنَّه ركب في شاحنته وركب هايز وساباث في السيارة، وقام الرجل بدفعهم. بعد بضع مئات من الياردات بدأت السيارة بإصدار أصوات تشبه القهقهة واللهاث. أخرج هايز رأسه من السيارة وأشار للشاحنة بأن تأتي بجانبه.

قال هايز: «ها! لقد أخبرتك، أليس كذلك؟ هذه السيارة ستأخذني لأي مكان أريد. قد تتوقف هنا أو هناك، ولكنها لن تتوقف نهائيًا عن العمل. كم تريد مني؟».

قال الرجل: «لا شيء ...».

قال هايز: «ولكن الوقود، كم تريد من أجل الوقود؟».

قال الرجل بنفس النظرة: «لا شيء ... لا شيء علىٰ الإطلاق».

قال هايز: «حسنًا ... أنا شاكر لك». **ثم قاد مبتعدًا، وقال**

Twitter: @ketab_n

بعدها: «لا أريد أيَّ معروف منه».

قالت ساباث: «إنَّها سيارة رائعة، إنَّها تسير بسلاسة تشبه سلاسة العسل».

قال هايز: «لم يصنعها بعض الغرباء، أو الزنوج، أو أشخاص بأياد واحدة فقط، بناها أناس ذوو أعين مفتوحة يعرفون ما يفعلون».

عندما أتوا علىٰ نهاية الطريق الترابي، وكانوا أمام الطريق الإسمنتي المرصوف، وقفت الشاحنة بجانبهم، وبينما كانت السيارتان واقفتين جنبًا إلىٰ جنب، نظر هايز والرجل إلىٰ بعضهما البعض عبر النوافذ.

قال هايز بانزعاج: «قلت لك: إنَّ هذه السيارة ستأخذني إلىٰ أيِّ مكان أريد».

قال الرجل: «بعض الأشياء تأخذ بعض الأشخاص لبعض الأماكن».

ثم انحرف بشاحنته باتجاه الطريق السريع.

قاد هايز مبتعدًا. وتحوَّلت الغيمة البيضاء لطير بجناحين طويلين رفيعين، وكانت تختفي في الاتجاه المعاكس.

Twitter: @ketab_n

الفصل الثامن

علم إينوخ إمري الآن أنَّ حياته لن تعود كما كانت أبدًا؛ لأنَّ الشيء الذي كان يجب أن يحدث له قد بدأ فعلًا بالحدوث. كان يعلم -دائمًا- أنَّ شيئًا ما سيحدث له، ولكنَّه لم يكن يعلم ما هو. لو كان سيفكر في الموضوع كثيرًا؛ لكان قد استنتج أنَّه قد حان الوقت لكي يثبت أنَّ دم أبيه كان علىٰ صواب، ولكنَّه لم يكن يفكر عادة حتىٰ ذلك المدىٰ البعيد، كان يفكر عادة بما سيفعله في المستقبل القريب. أحيانًا لم يكن يفكر أصلًا، كان يتساءل فقط، ثم يجد نفسه يفعل هذا أو ذاك، كالطير الذي يجد نفسه يبني عشًّا، ولم يكن يخطط لذلك من قبل.

ما كان سيحدث له كان قد بدأ بالحدوث فعلًا عندما أرىٰ هايز موتس ما كان يوجد في الصندوق الزجاجي. كان ذلك لغزًا يفوق قدرة فهمه، ولكنَّه كان يعلم أنَّ الشيء المتوقع منه كان فظيعًا. كان دمه أكثر حساسية من أي عضو آخر في جسمه، كان يتحكم بكل أعضائه، ما عدا عقله، وكانت النتيجة أنَّ لسانه، الذي كان يخرج من فمه كل بضع دقائق ليتفحص مدىٰ سوء القرحة التي كانت علىٰ شفته، كان يعلم أكثر منه.

Twitter: @ketab_n

وجد أنَّ أول شيء غير عادي أصبح يفعله هو ادخار راتبه. كان يدخره كله، ما عدا المبلغ الذي كانت صاحبة بيته تأتي لتأخذه منه كل أسبوع والمبلغ الذي كان يشتري به شيئًا ليأكله. ثم أصبح يتعجب عندما رأىٰ أنَّه لم يعد يأكل كثيرًا، وكان يدخر ذلك المبلغ أيضًا. كان من قبل مولعًا بالمتاجر، كانت عادته أن يصرف ساعة، أو نحوها في أحد المتاجر، بعد أن ينتهي من عمله في حديقة المدينة؛ ليشتري بعض الأشياء من هنا وهناك، كان يتجول في قسم المعلبات، ويقرأ القصص الموجودة علىٰ مؤخرة علب حبوب الإفطار. في الفترة الأخيرة كان مضطرًا لأنْ يأخذ بعض الأشياء التي لا تظهر بارزة من جيوبه من هنا وهناك، وكان يتساءل ما إذا كان ذلك هو السبب في ادخاره مصروف الطعام. كان ذلك ممكنًا، ولكنَّه كان يشكُّ في أنَّ توفيره للمال كان مرتبطًا بشيء أكبر. كان متعودًا علىٰ السرقة، ولكنَّه لم يكن يدخر المال لهذا السبب حتىٰ الآن.

في الوقت نفسه، بدأ بتنظيف غرفته. كانت غرفة خضراء صغيرة، أو كانت خضراء في السابق، توجد في علية بيت قديم مؤلف من غرف مخصصة للتأجير. كان المبنىٰ له شكل وإحساس يشبه المومياء. ولكن إينوخ لم يفكر أبدًا في تلميع الجزء (الذي يمثل الرأس) الذي كان يسكن فيه. ثم وجد نفسه ببساطة يفعل ذلك.

أولًا: رفع السجادة من علىٰ الأرض وعلقها خارج النافذة.

Twitter: @ketab_n

كانت تلك غلطة؛ لأنَّه عندما أراد أن يسحبها للداخل مجددًا، لم يجد سوىٰ بعض الخيوط الطويلة، وكان حبل زاوية السجادة عالقًا بأحدهم. تصور بأنَّ السجادة كانت قديمة جدًّا، وقرر عندها بأن يتعامل مع باقي قطع الأثاث بمزيد من الحذر. فغسل إطار السرير بالماء والصابون واكتشف بعدما أزال الطبقة الثانية من الأوساخ، أن السرير مصنوع من الذهب الخالص، فأثَّر فيه ذلك؛ وقام بغسل الكرسي. كان كرسيا مستديرًا منخفض الأرجل كأنَّه يجلس القرفصاء. بدأ الذهب بالظهور عندما لمس الماء الكرسي أول مرة، ثم بدأ بالزوال مع اللمسة الثانية، ومع المزيد من الماء، **تفكك الكرسي كما لو كانت هذه هي نهاية سنين من الصراع الداخلي.**

لم يعلم إينوخ إن كان هذا لصالحه، أم لا. كان لديه رغبة كريهة بأن يركله ويحطمه لقطع صغيرة، ولكنَّه تركه في مكانه الذي تفكك فيه؛ لأنَّه في ذلك الوقت لم يكن فتىٰ متهورًا يخمن معنىٰ الأمور. في ذلك الوقت، كان يعلم أن الأمور المهمة هي الأمور التي لم يكن يعرفها.

كانت القطعة الوحيدة الأخرىٰ في الغرفة هي المغسلة. كانت مكونة من ثلاث قطع، وكانت تقف علىٰ أعمدة تشبه أرجل الطيور بطول ستة إنشات. كان للأرجل أقدام لها مخالب، وكانت كل رجل مربوطة بكرة حديدية صغيرة. كان الجزء السفلي مُعدًا لتوضع فيه جرة مخصصة لقضاء الحاجة. لم يكن إينوخ يملك تلك الجرة، وبما أنَّه كان يمتلك تقديرًا لمغزىٰ الأشياء؛ **لذلك**: ترك مكانها

Twitter: @ketab_n

فارغًا. وفوق مكان القدر كان يوجد قطعة بلاط من الرخام الرمادي، ومن خلفَ قطعة الرخام تلك كانت تظهر تعريشة من الخشب منقوش فيها رسوم للأزهار والقلوب واللَّفائف، وكانت تلك التفريعة الخشبية تمتدُّ علىٰ كلِّ طرف لتأخذ شكل جناح صقر مطوي الأجنحة. وفي المنتصف، في نفس مستوىٰ وجه إينوخ عند الوقوف، كان يوجد مرآة بيضاوية صغيرة. كانت تكملة الإطار الخشبي تظهر فوق المرآة، وتنتهي عند قمة متوجة ذات قرون تبيِّن أنَّ الفنان الصانع لتلك القطعة لم يفقد الإيمان في عمله.

لطالما اعتبر إينوخ أنَّ تلك القطعة هي مركز الغرفة، وكانت أكثر ما يربطه بالأشياء التي لم يكن يعلمها. في أكثر من مرة بعد العشاء، حلم إينوخ أنَّه قد فتح خزانة المغسلة ودخل فيها، وهناك كان يلاقي طقوسًا وأشياء غامضة ليس لديه فكرة واضحة عنها حين استيقاظه. في أثناء التنظيف، كان يفكر في تنظيف المغسلة من البداية، ولكنَّه كان متعودًا أن يبدأ بالشيء الأقل أهمية، وأن يعمل في حلقة إلىٰ أن يصل إلىٰ المكان، حيث يوجد المغزىٰ؛ **لذلك**: قبل أن يبدأ في تنظيف المغسلة، قام بتنظيف الصور في الغرفة.

كان في الغرفة ثلاث صور، واحدة لصاحبة البيت (كانت عمياء تقريبًا وكانت تتجول معتمدة علىٰ حاسة شمِّها القوية)، واثنتان له. كانت الصورة التابعة لصاحبة البيت عبارة عن تشخيص لغزال ذي قرون متشعبة يقف في منتصف بحيرة صغيرة. كان إينوخ لا يطيق نظرة الاستعلاء علىٰ وجه ذلك الحيوان، ولو لم يكن

Twitter: @ketab_n

يخاف منه؛ لكان قد فعل شيئًا حياله منذ زمن طويل. لم يكن يستطيع فعل شيء في الغرفة دون أن يراقبه ذلك الوجه المغرور، ولم يكن يصيبه الاندهاش؛ لأنَّه لم يكن يتوقع حدوث الأفضل، كما لم يكن يصيبه السرور؛ لأنَّ لا شيء كان يدعو للابتسام. لو كان قد بحث عن شريك في السكن، لم يكن ليجد شريكًا أكثر إزعاجًا منه. كان يحبس في داخله سيل تعليقات وإهانات للغزال، ولكنَّه كان عندما يقول شيئًا بصوت عالٍ، كان يتَّسم بالحذر أكثر. كان الغزال في إطار بني ثقيل مزين بنقوش علىٰ شكل أوراق الشجر وكان هذا يعطي ثِقَلًا للنظرة المعتزة التي كانت تعلو وجه الغزال. كان إينوخ يعلم أنَّ الوقت سيأتي عندما يكون من اللازم أن يفعل شيئًا، لم يكن يعلم ما سيحدث في الغرفة، ولكنَّه عند حدوثه، لم يكن يريد أن يشعر أن الغزال كان المتحكم فيه. أتىٰ الجواب له جاهزًا، أدرك بإلهام مفاجئ أن نزع الإطار من فوقه سيكون مساويًا لنزع ملابسه (مع أنَّه لم يكن يمتلك أيَّ ثياب)، وكان علىٰ حقٍّ؛ لأنَّه عندما فعل ذلك، تقلص حجم ذلك الحيوان حتىٰ أصبح إينوخ ينظر إليه من طرف عينه وهو يضحك.

بعد هذا النجاح، حوَّل انتباهه للصورتين الباقيتين اللتين كانتا فوق اليوميات، واللتين كانتا قد أرسلتا إليه من قبل (مدفن هيلتوب)، و(الشركة الأمريكية لصناعة الإطارات المطاطية). كانت الصورة الأولىٰ تظهر ولدًا يلبس ثياب نوم زرقاء وهو يركع أمام فراشه واضعًا كوعيه علىٰ الفراش وضامًّا راحتي يده وهو يدعو

Twitter: @ketab_n

قائلًا: «وبارك في أبي» بينما كان القمر ينظر للنافذة. كانت تلك لوحة إينوخ المفضلة، وكانت معلقة فوق فراشه مباشرة. كانت الصورة الأخرىٰ لفتاة تلبس إطار سيارات مطاطي وكانت معلقة علىٰ الحائط المقابل للغزال. تركها إينوخ في مكانها، وكان موقنًا بأنَّ الغزال كان يتظاهر فقط بأنَّه لا يراها. وبعد أن انتهىٰ من الصور خرج مباشرة واشترىٰ ستائر قطنية، وعلبة من الطلاء الذهبي وفرشاة دهان بكل ما وفره من أموال.

كان ذلك بمثابة خيبة أمل له؛ لأنَّه كان يأمل أن يشتري بعض الثياب الجديدة بذلك المال، ثم رأىٰ ذلك المال يذهب من أجل بعض الستائر. لم يكن يعلم ما فائدة الطلاء الذهبي حتىٰ وصل إلىٰ البيت. جلس أمام خزانة القدر المخصص لقضاء الحاجة، ثم قام بفتحها وطلائها من الداخل باللون الذهبي. ثم أدرك أن الخزانة يجب أن يكون لها استخدام ما.

لم يكن إينوخ يزعج (دمه)، حتىٰ يخبره بشيء ما إلَّا عندما كان دمه جاهزًا كي يخبره. لم يكن ذلك النوع من الفتيان الذي ينتزع أية فرصة أمامه ويذهب ليقترح أفكارًا حمقاء هنا وهناك. في أمر كبير مثل هذا، كان -دائمًا- علىٰ استعداد أن ينتظر حتىٰ يكون متيقنًا، وقد انتظر، موقنًا علىٰ الأقل أنَّه سيعرف الإجابة خلال أيام معدودة. وطوال فترة أسبوع، كان دمه في اجتماع سريٍّ مع نفسه كل يوم، متوقفًا هنا وهناك؛ ليصيح ببعض الأوامر له.

في يوم الاثنين التالي، كان موقنًا عندما استيقظ أنَّه يعرف

Twitter: @ketab_n

الإجابة في ذلك اليوم. كان دمه يتدفق بقوة كامرأة تنظف البيت بعد أن أتاها زوار، وكان متأكدًا ومتحمسًا. عندما أيقن أنَّ اليوم كان هو اليوم المنشود، لم يقم من الفراش. لم يرد أن يؤكد أنَّ دم أبيه كان علىٰ حق، لم يكن يريد أن يفعل علىٰ الدوام ما يمليه عليه شيء آخر، تحديدًا عندما لا يكون يعلم ما ذلك الشيء؛ لأنَّ ذلك كان أمرًا خطيرًا.

بطبيعة الحال، لم يكن دمه ليوافق علىٰ هذا النوع من التصرفات. كان في حديقة الحيوان في الساعة التاسعة والنصف، متأخرًا نصف ساعة فقط عن الموعد المحدد. لم يكن تفكيره طول اليوم منصبًا علىٰ البوابة التي كان يجب أن يحرسها، ولكنَّه كان يلاحق دمه، كأنَّه ولد يملك دلوًا وممسحة، يمسح هنا ويصب الماء هناك، بلا لحظة راحة. بمجرد أن أتىٰ الحارس المسؤول عن الوردية الثانية، اتجه إينوخ صوب المدينة.

كانت المدينة آخر مكان يرغب إينوخ أن يكون فيه؛ لأنَّ أيَّ شيء كان يمكن أن يحدث هناك. في كل ذلك الوقت الذي كان فيه إينوخ يلاحق دمه، كان عقله يفكر في أنه بمجرد انتهاء الوردية سيذهب للبيت ويخلد للنوم.

عندما وصل إلىٰ وسط القسم التجاري كان منهكًا وكان عليه أن يستند علىٰ حائط إحدىٰ صيدليات شركة (والغريين)، (Walgreen's)؛ لكي يلتقط أنفاسه. كان العرق يجري علىٰ ظهره، فأصبح يشعر بالرغبة في الحكِّ. بعد بضع دقائق دخل

Twitter: @ketab_n

إينوخ إلىٰ الصيدلية. كانت خلفية الصيدلية مملوءة بالساعات المنبهة والشموع، والعطور والمناديل المعقمة، وأقلام الحبر والكشَّافات الضوئية الصغيرة.

كانت كل تلك البضائع معروضة بكل الألوان علىٰ رفوف يصل ارتفاعها إلىٰ ضعفي طوله. كان يشق طريقه نحو صوت قرقعة صادر من كوة كانت تشكل مدخل الصيدلية. كان يوجد في ذلك المكان جهاز مكون من قطع زجاجية وحديدية باللونين الأزرق والأصفر، وكانت تتجَشَّآ حبات الفشار في قدر يحتوي علىٰ الملح والزبدة. اقترب إينوخ، وكان قد أخرج كيس نقوده من جيبه، وكان يرتِّب نقوده. كان يملك كيس نقود جلديًّا طويلًا رمادي اللون، معقودًا من رأسه بخيط. كان قد سرقه من والده، وكان عزيزًا عليه جدًّا؛ لأنَّه كان الشيء الوحيد الذي يملكه ممَّا والده قد لمسه (بجانبه هو). أخرج ما يعادل عشرة سنتات من القطع النقدية، وأعطاها إلىٰ فتًىٰ شاحب الوجه يلبس مئزرًا أبيضَ كان يقف هناك ليقوم بتشغيل الجهاز. قام الفتىٰ بتفحص العلامات الحيوية لإينوخ وملأ كيسًا أبيضًا بالفشار، من دون أن يزيح نظره عن نبض إينوخ للحظة. في أي يوم آخر، كان إينوخ سيحاول أن يصادقه، ولكنَّه كان مشغولًا جدًّا حتىٰ لينظر إليه. أخذ الكيس وبدأ بإرجاع كيس النقود للمكان الذي أخرجه منه.

تابعت أعين الفتىٰ الكيس إلىٰ أطراف جيب أينوخ، وقال: «ذلك الشيء يبدو كأنَّه مثانة خنزير».

Twitter: @ketab_n

تمتم إينوخ قائلًا: «يجب أن أذهب الآن»، ثم أكمل إلىٰ داخل الصيدلية.

في الداخل، مشىٰ بشرود نحو مؤخرة المحل، ثم إلىٰ مقدمته مجددًا عبر ممر آخر كما لو كان يريد أن يُلاحظَ وجوده أيُّ شخص قد يكون يبحث عنه. توقف أمام مكان شراء المشروبات الغازية؛ ليقرر إن كان سيجلس، ويأكل هناك. كانت المنضدة المخصصة للطلب ذات لون زهريٍّ وأخضر، وكانت مصنوعةً من الرخام وكانت تعلوها طبقة من الشمع. ووراء المنضدة كان توجد نادلة صهباء تلبس لباسًا ذا لون يشبه لون الليمون الأخضر، وتلبس مئزرًا زهريَّ اللون. كانت عيناها خضراء اللون وكانت تشبه صورة وراءها لمشروب بطعم الليمون الأخضر والكرز، كان ذلك مشروبًا خاصًّا لذلك اليوم معروضًا بسعر عشرة سنتات. وقفت قبالة إينوخ بينما كان يقرأ القائمة الموجودة فوق رأسها. بعد دقيقة وضعت صدرها علىٰ المنضدة وأحاطته بيديها. لم يستطع إينوخ الاختيار من بين العديد من الخيارات المتاحة، حتىٰ حسمت هي الأمر بأن أمسكت بكأس من المشروب الخاص بالليمون الأخضر والكرز ووضعته أمامه.

قالت: «لا تقلق لقد صنعته اليوم بعد الإفطار».

قال إينوخ: «شيء ما سيحدث لي اليوم».

فقالت: «لقد قلت لك لا تقلق، لقد صنعته اليوم».

ثم قال وهو يحمل نظرة حالمة: «لقد رأيت ذلك اليوم عندما استيقظت».

Twitter: @ketab_n

قالت: «يا إلهي!». وقامت بأخذ الكأس من أمامه. ثم استدارت وبدأت بخلط بعض الأشياء سويًّا بسرعة، وبعد فترة وجيزة صنعت مشروبًا آخر مثل السابق تمامًا، ولكنَّه كان طازجًا ووضعته أمامه.

قال إينوخ: «يجب أن أذهب الآن».

وأسرع خارجًا. كانت هناك عين تنظر إلىٰ جيبه وهو يعبر من أمام جهاز صنع الفشار، ولكنَّه لم يتوقف. لا أريد أن أفعل ذلك، كان يقول ذلك لنفسه. أيًّا كان، لا أريد أن أفعله. أنا ذاهب للبيت. سيكون شيئًا لن أريد أن أفعله، سيكون شيئًا لا شأن لي بفعله. ثم فكر كيف أنَّه أنفق كل نقوده لشراء الستائر، والطلاء الذهبي بينما كان يستطيع أن يشتري قميصًا وربطة عنق فسفورية اللون.

قال لنفسه: (إنَّه سيكون شيئًا مخالفًا للقانون، دائمًا ما يكون شيئًا مخالفًا للقانون!).

وقال لنفسه: (لن أقوم بفعله)، ثم توقف.

توقف أمام صالة لعرض الأفلام، حيث رأىٰ لوحة كبيرة لوحش يقوم بإدخال فتاة في محرقة.

قال لنفسه: (لن أدخل إلىٰ عرض كهذا)، ثم رمق اللوحة بنظرة متوترة. أنا ذاهب للبيت. لن أنتظر في صالة لعرض الأفلام. قال لنفسه وهو يخرج كيس نقوده مجددًا، ليس لدي المال لشراء

Twitter: @ketab_n

تذكرة، لم أقوم حتىٰ بِعَدِّ هذه القطع النقدية الصغيرة الموجودة لدي.

وقال: (ليس يوجد هنا إلَّا ثلاثة وأربعون سنتًا، هذا لا يكفي).

كان مكتوبًا علىٰ القائمة إن سعر التذكرة للبالغين هو خمسة وأربعون سنتًا، وأنَّ السعر للجلوس في الشرفة هو خمسة وثلاثون سنتًا. قال: (لن أجلس في الشرفة، وأشتري تذكرة بخمسة وثلاثين سنتًا).

قال: «لم أدخل إلىٰ هناك».

انفتح بابان أمامه ووجد نفسه يمشي في ممر أحمر طويل، ثم صعد إلىٰ نفق مظلم، ثم إلىٰ نفق أعلىٰ منه، كان مظلمًا أيضًا. وبعد بضع دقائق وجد نفسه في أعلىٰ جزء من الصالة. كان يتحسس الأشياء حوله في الظلام، كما فعل النبي يونس في بطن الحوت، محاولًا إيجاد مقعده. قال بغضب: «لن أنظر إليه». لم يكن يحب أيَّ فيلم إلَّا الأفلام الغنائية الملونة.

كان الفيلم الأول عن عالم يسمىٰ (The Eye)، أو (العين)، وكان يقوم بإجراء تجارب باستخدام أجهزة التحكم. كان الشخص في الفيلم يستيقظ؛ ليجد شقًّا في صدره، أو علىٰ بطنه، أو في رأسه، ثم يجد أن أحد أعضائه قد فُقِد. قام إينوخ بخفض قبعته ورفع ركبتيه أمام وجهه، كانت عيناه فقط تنظر للشاشة. كانت مدة عرض الفيلم ساعة.

Twitter: @ketab_n

كان الفيلم الثاني عن الحياة في سجن جزيرة الشيطان. بعد فترة كان علىٰ إينوخ أن يقبض علىٰ يدي كرسيه، كي يمنع نفسه من السقوط من الشرفة أمامه.

كان اسم الفيلم الثالث: (لوني تعود للبيت مجددًا). كان يحكي قصة قرد إفريقي اسمه لوني قام بإنقاذ بعض الأطفال من ميتم كان يحترق. ظل إينوخ يأمل أن يحترق القرد، ولكنَّه لم يبدُ عليه حتىٰ آثار الحرارة. في النهاية، أعطته فتاة جميلة قلادة. كان ذلك أكثر ممَّا كان يستطيع إينوخ تحمله. نزل بسرعة في الممر وقفز مسرعًا عبر النفقين العلويين وركض مسرعًا عبر الممر الأحمر وخرج إلىٰ الشارع. وانهار بمجرد أن ارتطم الهواء بوجهه.

عندما استعاد وعيه، كان يجلس مقابل حائط مبنىٰ صالة الأفلام ولم يعد يفكر حينها بالهرب من وظيفته. كان الوقت ليلًا، وكان يملك إحساسًا يخبره أن المعلومة التي لن يستطيع تفاديها قد قاربت علىٰ الوصول إليه. كان استسلامه مثاليًّا.

استند علىٰ الحائط لحوالي عشرين دقيقة، ثم نهض، وبدأ بالمشي في الشارع، كما لو كان يقاد بواسطة معزوفة صامتة، أو بواسطة إحدىٰ تلك الصافرات التي لا يستطيع سماعها أحد إلَّا الكلاب. إلَّا أنَّه توقف بعد مرور حارتين، وكان تركيزه منصبًّا علىٰ الطرف المقابل من الشارع. هناك، تحت ضوء الشارع، كانت تقف سيارة ذات لونٍ أحمر قريب من لون الفئران، وكان علىٰ غطاء محركها جسم مظلم يلبس قبعة بيضاء عنيفة المنظر. كانت يد

Twitter: @ketab_n

الجسم تتحرك للأعلىٰ والأسفل، وكان يملك يدين نحيفتين شاحبتي اللون كشحوب لون قبعته تقريبًا، تقومان بإيماءات حادة.

قال إينوخ وهو يشهق: «هايز موتس!». وبدأ قلبه بالخفقان بعنف من طرف إلىٰ آخر، كأنَّه قارع أجراس متحمس.

كان هناك بعض الأشخاص يقفون بجانب السيارة علىٰ الرصيف. لم يكن إينوخ يعلم أنَّ هايز قد أسس كنيسة اللا مسيح، وأنَّه كان يبشِّر لها كلَّ ليلة في الشارع. لم يرَه منذ ذلك اليوم في الحديقة حين أراه ذلك الرجل المنكمش في الصندوق الزجاجي.

كان هايز يصرخ قائلًا: «إذا كنت قد تطهرت من ذنوبك، إذن؛ لكنت قد اهتممت بموضوع التوبة، ولكنَّك لا تهتم. انظر في داخلك، واكتشف أنَّك كنت لتتمنىٰ أنَّك لم تكن قد تبرأت من ذنوبك حتىٰ لو كان ذلك قد حصل لك. ليس هناك سلام أو راحة للمتبرئ».

ثم أكمل قائلًا: «وأنا أبشر بالسلام، أبشر بكنيسة اللا مسيح، الكنيسة المسالمة والراضية!».

بدأ شخصان أو ثلاثة ممَّن كانوا يقفون بجانب السيارة بالسير في الاتجاه الآخر. **قال هايز بصوت باكٍ:** «ارحلوا! هيا ارحلوا! الحقيقة ليس مهمة بالنسبة إليكم. استمعوا».

ثم قال وهو يشير بإصبعه للبقية: «أنتم لا تبالون بالحقيقة. لو كان يسوع قد برَّأكم، ما الفرق الذي سيشكله ذلك لكم؟ لن

Twitter: @ketab_n

تفعلوا شيئًا حيال ذلك. لن تتحرك وجوهكم، لا بذلك الاتجاه ولا بذاك، ولو كان هناك ثلاثة صلبان وكان هو معلقًا في المنتصف، لم يكن ليهمكم أمره أكثر من الاثنين الآخرين. استمعوا لي، ما تحتاجون إليه هو شخص يأخذ مكان يسوع، شخص يتحدث بوضوح. كنيسة اللا مسيح لا يوجد يسوع فيها، ولكنَّها تحتاج إلىٰ واحد! تحتاج إلىٰ يسوع جديد! تحتاج إلىٰ واحد يكون رجلًا متكاملًا، من دون دم مهدر، وتحتاج شخصًا لا يشبه أيَّ رجل آخر حتىٰ تنظر إليه. أعطوني أيها الناس يسوع مثل هذا. أعطوني يسوع جديدًا، وسترون إلىٰ أيِّ مدىٰ تستطيع كنيسة اللا مسيح الوصول!».

رحل أحد المتفرجين وبقي اثنان فقط. كان إينوخ يقف مشلولًا في منتصف الشارع.

قال هايز بصوت باكٍ: «أروني أين هذا اليسوع الجديد، وسوف أنصِّبه في كنيسة اللا مسيح، وعندها سترون الحقيقة. وعندها ستعلمون يقينًا أنكم قد تبرأتم. أعطوني هذا اليسوع الجديد، أيُّ أحد منكم، وهكذا سننجوا كلنا برؤيته!».

بدأ إينوخ بالصراخ من دون صوت. صرخ هكذا لدقيقة كاملة بينما كان هايز يكمل كلامه.

قال هايز موتس باكيًا وكان صوت حلقه مجروحًا: «انظروا إلي! وسترون رجلًا مسالمًا! مسالمٌ؛ لأنَّ دمي قد حرَّرني. خذوا النصيحة من دمكم وتعالوا إلىٰ كنيسة اللا مسيح، وقد يحضر لنا

Twitter: @ketab_n

أحدهم يسوع جديدًا، وننجوا برؤيته!».

تناثر صوت غير عاقل من فم إينوخ، حاول أن يرفع صوته، ولكن دمه منعه.

همس قائلًا: «استمع لي، أنا أعرفه! أعني: أنَّني أقدر أن آتي به! أنت تعرفه! هو! لقد أريتك إيَّاه. أنت رأيته بنفسك!».

ذكَّره دمه أن في آخر مرة رأىٰ فيها هايز موتس ضربه بالحجر علىٰ رأسه. ولم يكن يعرف بعدُ كيفية سرقته من العلبة الزجاجية. كل ما يعرفه هو أنه يمتلك مكانًا جاهزًا في غرفته ليحتفظ به حتىٰ يصبح هايز موتس جاهزًا ليأخذه. اقترح دمه أن يجعل ذلك مفاجأة لهايز موتس. بدأ بالتراجع للخلف. رجع إلىٰ الرصيف ومنه إلىٰ الشارع الآخر وكان علىٰ سيارة أجرة أن تتوقف حتىٰ لا تصطدم به. أخرج السائق رأسه من الشباك وسأله قائلًا: «كيف تتدبر أمورك بهذا الشكل الجيد مع أن الربَّ قد أعطاك مؤخرتين بدلًا من مقدمة ومؤخرة؟».

كان إينوخ مشغول البال ليفكر بذلك. **تمتم قائلًا**: «علي أن أذهب الآن»، ثم أسرع راحلًا.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل التاسع

أبقىٰ هاوكس الباب موصدًا، وكلما دقَّ هايز الباب، الأمر الذي فعله مرتين أو ثلاث مرات كل يوم، أرسل المبشر السابق ابنته إليه وأغلق الباب مجددًا خلفها. كان يستشيط غضبًا عندما يراه يتجول حول المنزل بينما يفكر في سبب ليدخل وينظر إلىٰ وجهه. كان سكرانَ في أكثر الأحوال ولم يرد أن يُرىٰ بهذا الشكل.

لم يفهم هايز لماذا لم يُرَحِّب به ويتصرف، كما يتصرف، أي: مبشر عندما يرىٰ شخصًا تائهًا. ظل يحاول الدخول للغرفة مجددًا، كانت النافذة التي يستطيع الوصول إليها مغلقة وكانت ستائرها مغلقة. أراد أن ينظر لو استطاع وراء النظارات السوداء.

كل مرة ذهب إلىٰ الباب، خرجت الفتاة وأوصد الباب وراءها، ثم يصبح من الصعب التخلص منها. كانت تتبعه لسيَّارته، وتركب فيها، وتفسد عليه تنقلاته، أو كانت تتبعه لغرفته وتجلس هناك. تخلىٰ هايز عن نية إغوائها وحاول أن يحمي نفسه. لم يأتِ إلىٰ البيت لمدة أسبوع قبل أن تظهر في فراشه ذات ليلة بعد أن ذهب للنوم. كانت تحمل في يدها شمعة مشتعلة موضوعة في كأس للحلوىٰ، وكانت تلبس فستان نوم نسائي معلق علىٰ كتفيها، وكانت

Twitter: @ketab_n

تسحله علىٰ الأرض وراءها. لم يستيقظ هايز، حتىٰ أصبحت تقريبًا عند فراشه، وعندما استيقظ، ركض مسرعًا من تحت الغطاء إلىٰ منتصف الغرفة.

قال: «ماذا تريدين؟».

لم تقل أي شيء وظهرت ابتسامتها واسعة في ضوء الشمعة. وقف يحدق فيها بغضب لبرهة، ثم أمسك بكرسي ورفعه كما لو كان سيحطمه فوقها. شعرت بالخوف للحظة فقط. كان لا يوجد علىٰ بابه قفل فوضع الكرسي تحت المقبض وعاد للنوم.

عندما عادت للغرفة قالت له: «اسمع، لا شيء ينفع. كان سيضربني بذلك الكرسي».

قال هاوكس: «أنا سأرحل من هنا بعد بضعة أيام، من الأفضل أن تنتهي من الأمر لو أردت أن لا تجوعي بعدما أرحل». كان سكرانَ، ولكنَّه كان يعني ما يقول.

لم يحصل شيء كما كان هايز يتوقع. كان يقضي كل ليلة في التبشير، ولكن عدد الأعضاء في كنسية اللا مسيح كان لا يزال شخصًا واحدًا، فقط هو. كان يريد أن يحظىٰ بأتباع كُثر في وقت قصير ليبهر الرجل الأعمىٰ بقوته، ولكن لم يتَّبعه أحد. كان يوجد شخص ظنَّ أنَّه قد اتَّبعه، ولكنَّ ذلك كان سوء فهم. كان ولدًا في السادسة عشرة من عمره، وكان يريد أن يذهب معه شخص لبيت دعارة؛ لأنَّه لم يذهب إلىٰ واحد من قبل. كان يعرف المكان ولكنَّه كان يريد الذهاب بصحبة شخص ذي خبرة، وعندما سمع هايز،

Twitter: @ketab_n

وقف ينتظر حتىٰ انتهىٰ من التبشير، ثم سأله أن يذهب معه. ولكن الأمر كُلَّه كان خاطئًا؛ لأنَّه بعد أن ذهبوا للبيت وخرجوا منه، طلب منه هايز أن يصبح عضوًا في كنيسة اللا مسيح، أو تابعًا، أو حواريًّا. اعتذر الفتىٰ عن أن يصبح عضوًا؛ لأنَّه كان كاثوليكيَّ المعتقد. قال: «إنَّ ما فعلوه هو خطيئة مهلكة، وإنَّهم لو ماتوا قبل أن يتوبوا فسيقع عليهم عذاب دائم ولن يروا الرب أبدًا». لم يستمتع هايز بوقته في بيت الدعارة بنفس القدر الذي استمتع به الفتىٰ، وكان قد أهدر نصف ليلته. صرخ قائلًا: إنَّه لا يوجد شيء اسمه خطيئة أو حساب، ولكنَّ الفتىٰ هزَّ برأسه فقط وسأله إن كان يريد أن يذهب مجددًا في الليلة القادمة.

لو كان هايز يؤمن بالصلاة؛ لكان صلىٰ داعيًا أن يرزق بتابع، ولكن القلق هو كلُّ ما كان يستطيع فعله. وبعد ليلتين من لقائه بذلك الفتىٰ، ظهر التابع.

في تلك الليلة قام بالتبشير أمام أربع صالات عرض وفي كل مرة كان يرفع رأسه، كان يرىٰ نفس الوجه الكبير يبتسم له. كان رجلًا بدينًا، وكان يملك شعرًا أشقر مُجعَّدًا، وكانت قصَّة شعره تبرز سوالف شعره علىٰ جانبي وجهه. كان يلبس سترة سوداء مزينة بخطوط فضية وكان يضع قبعة بيضاء ذات حوافٍّ عريضة مرجعًا إيَّاها إلىٰ مؤخرة رأسه لتظهر مقدمته. كان يلبس حذاء أسود ضيقًا، ولم يكن يلبس جوارب. كان يبدو كأنَّه كان مبشِّرًا، ثم تحول ليصبح راعي بقر، أو راعي بقر سابق تحول إلىٰ متعهد لدفن

Twitter: @ketab_n

الموتىٰ. لم يكن وسيمًا، ولكن تحت ابتسامته، كانت هناك نظرة صادقة تعلو وجهه كما لو كانت أسنانًا اصطناعية.

كل ما كان هايز ينظر للرجل، كان يغمز له.

عند آخر صالة عرض قام هايز بالتبشير عندها، كان هناك ثلاثة أشخاص يستمعون له بجانب ذلك الرجل. **سأل هايز قائلًا**: «هل تبالون بالحقيقة أيها الناس؟ الطريق الوحيد للحقيقة يمر عبر الكفر، ولكن هل تبالون؟ هل ستعيرون ما أقول أيَّ اهتمام أم سترحلون فقط مثل البقية؟».

كان هناك رجلان وامرأة تحمل طفلًا يملك وجهًا مثل وجه القطط علىٰ كتفها. كانت تنظر إلىٰ هايز كأنه يقف في كشك في المعرض. **قالت**: «حسنًا، هيا بنا، لقد انتهىٰ، يجب أن نذهب».

استدارت مبتعدةً، وقام الرجلان باللحاق بها.

قال هايز: «ارحلوا، ولكن تذكروا أنَّ الحقيقة لا توجد عند كلِّ زاوية طريق».

اقترب الرجل الذي كان يتبعه بسرعة وقام بشدِّ رجل بنطاله وغمزه.

ثم قال: «ارجعوا يا رفاق، أريد أن أحدثكم عن نفسي».

استدارت المرأة مجددًا وابتسم لها كما لو كان قد أخِذَ بحسن شكلها مرة أخرىٰ. كانت تملك وجهًا مربعًا يميل للاحمرار وشعرًا مصففًا. **قال الرجل**: «كنت أتمنىٰ لو كان جيتاري معي هنا؛ **لأنَّني**

Twitter: @ketab_n

لسبب ما أستطيع أن أتحدث بشكل أفضل لو كانت الموسيقىٰ تُعزَف، أليس الحال هكذا معكم يا أصدقائي؟».

نظر إلىٰ الرجلين كما لو كان يناشد حسن البصيرة الذي كان ظاهرًا علىٰ وجهيهما. كانا يضعان قبعتين بنِّيتين ويلبسان سترتين سوداوتين. وكانا يبدوان كأخوين، أحدهما الأخ الكبير والآخر أصغر منه.

قال التابع بثقة: «قبل شهرين، قبل أن ألتقي بهذا الرسول، لم تكن لتعرف أنِّي الشخص نفسه. لم يكن لي صديق في هذه الدنيا. هل تعرف شعور أن لا يكون لك صديق في هذا الدنيا؟».

قال الرجل الأكبر سنًّا من بين الاثنين: «ليس أسوأ من أن تمتلك صديقًا ويقوم بطعنك بسكين في ظهرك عندما تغفل عنه».

قال الرجل: «يا صديقي، لقد قلت الكثير بكلماتك هذه، لو كان لدينا متسع من الوقت، لكنت طلبت منك أن تعيد كلامك هذا كي يسمعه الجميع كما سمعته أنا».

انتهىٰ العرض في الصالة، وبدأ المزيد من الناس بالاقتراب!

قال الرجل: «أصدقائي، أعلم أنَّكم جميعًا مهتمون بالرسول».

ثم أشار إلىٰ هايز فوق غطاء المحرك، وأكمل قائلًا: «ولو أعطيتموني جميعًا الوقت سأخبركم عمَّا فعله بي هو وأفكاره. لا تتدافعوا؛ لأنَّني مستعد أن أبقىٰ هنا طول الليل أخبركم بذلك،

Twitter: @ketab_n

حتىٰ لو أخذ الأمر كل ذلك الوقت».

وقف هايز في مكانه، بلا حراك، كان رأسه ممدودًا للأمام قليلًا، كما لو كان غير متأكد ممَّا يسمع.

قال الرجل: «يا أصدقائي، دعوني أقدم لكم نفسي، اسمي أوني جاي هولي وأنا أخبركم باسمي حتىٰ يكون بإمكانكم أن تتحققوا وتتأكدوا من أنَّني لا أقول أي شيء كاذبًا. أنا مبشر، ولا يهمني من يعرف ذلك، ولكنَّني لن أطالبكم بالإيمان بشيء لا تستطيعون الإحساس به في قلوبكم. أيها الجماعة الواقفة علىٰ الحافة، اقتربوا حتىٰ تتمكنوا من الاستماع بشكل أفضل». **ثم أكمل قائلًا:** «أنا لا أبيع شيئًا، أنا أقوم بإهداء شيء!». توقف عدد كبير من الناس.

قال: «قبل شهرين من الآن، لم تكونوا لتتعرفوا علي لو رأيتموني. لم أكن أمتلك صديقًا في هذه الدنيا. هل تعرفون شعور أن لا يكون لديكم صديق في هذه الدنيا؟».

هتف صوتٌ عالٍ: «ليس أسوأ من أن تمتلك صديقًا ويقوم . . .».

قال أوني جاي هولي: «يا أصدقائي! أن لا تمتلك صديقًا في هذه الدنيا هو أبأس وأوحش شيء قد يصيب أي رجل أو امرأة! وهكذا كان حالي. كنت علىٰ استعداد أن أشنق نفسي، أو أن أستسلم لليأس. حتىٰ أمي الكبيرة العزيزة لم تكن تحبني، وليس ذلك بسبب أنِّي لم أكن طيبًا في داخلي، كان ذلك بسبب أنَّني لم

Twitter: @ketab_n

أدرِ كيف أظهر هذا الطيبة التي في داخلي للسطح. كل شخص يولد في هذه الأرض ...»، **ثم فرد ذراعيه وأكمل قائلًا**: «يولد طيبًا ومليئًا بالحب، حتىٰ يحدث له شيء ما ... يحدث شيء يا أصدقائي ... أنا لا أحتاج أن أخبر أناس مثلكم بذلك، فأنتم تستطيعون التفكير في ذلك بأنفسكم. وبينما ذلك الطفل يكبر، تختفي طيبته، ولا تعود للظهور، تحجبها الهموم والمشاكل، وتنحسر طيبته بداخله. ثم يصبح يا أصدقائي بائسًا ووحيدًا ومريضًا. ثم يقول: «أين ذهبت طيبة قلبي؟ أين ذهب كل من كان يحبني من أصحابي؟!»، وطول ذلك الوقت، كانت زهرة طيبته المفخمة بالأوجاع موجودة في داخله، وكانت متماسكة لم تسقط منها ورقة واحدة، وفي الخارج لم يكن يوجد إلا الوحدة الشريرة، وقد يصير ذلك المرء راغبًا في أن يأخذ حياته أو حياتك أو حياتي، أو أن يستسلم لليأس يا أصدقائي».

كان يتحدث بنبرة حزينة، ولكنَّه كان يبتسم طول الوقت، حتىٰ يصدق الناس أنَّه قد مرَّ بالظروف التي يتحدث عنها وتخطَّاها بنجاح ...

أكمل قائلًا: «هكذا كان حالي يا أصدقائي ... أنا أعي ما أقول».

ثم تكتف واضعًا يديه أمام صدره، وأكمل قائلًا: «ولكن طوال ذلك الوقت الذي كنت مستعدًا فيه أن أشنق نفسي أو أن أستسلم لليأس تمامًا، كنت إنسانًا طيبًا من الداخل، مثل بقية

Twitter: @ketab_n

الناس، وكنت أحتاج لمن يخرج تلك المشاعر من داخلي. كنت أحتاج لبعض المساعدة يا أصدقائي».

ثم قال مشيرًا إلىٰ هايز: «ثم التقيت بهذا الرسول، كان ذلك قبل شهرين يا أصحابي. استمعت كيف أنَّه كان هناك ليساعدني، وكيف أنَّه يبشر لكنيسة اللا مسيح، الكنيسة التي ستأتي بيسوع جديد ليساعدني في إخراج طيبتي للسطح، حتىٰ يتسنىٰ للجميع أن يعرف حقيقتي. كان ذلك قبل شهرين يا أصدقائي، والآن لم تكونوا لتعرفوا أنَّني نفس ذلك الشخص. أنا أحب كل واحد منكم، وأريد منكم أن تنصتوا له، ولي وتنضموا للكنيسة، كنيسة اللا مسيح المقدسة، الكنيسة الجديدة مع يسوع الجديد، وعندها ستستفيدون كلكم مثلي!».

مال هايز للأمام وقال: «هذا الرجل غير صادق، أنا لم أره قبل هذه الليلة. أنا لم أكن أبشر للكنيسة قبل شهرين واسمها ليس كنيسة اللا مسيح المقدسة!».

تجاهله الرجل والناس كذلك. كان هناك عشرة أو اثنا عشر شخصًا مجتمعين.

قال أوني جاي هولي: «يا أصدقائي! أنا مسرور جدًّا أنكم رأيتموني الآن، وليس قبل شهرين؛ لأنَّه في ذلك الوقت لم أكن أقدر أن أشهد لصالح هذه الكنيسة، ولصالح هذا الرسول. يا أصدقائي في المقام الأول؛ أنتم تستطيعون الاعتماد علىٰ أنَّه لا شيء غريب مرتبط بهذه الكنيسة. ليس عليكم أن تؤمنوا بشيء

Twitter: @ketab_n

لا تستطيعون فهمه والموافقة عليه. إذا لم تفهموا الأمر، إذا فهو غير صحيح، وهذا كل ما في الأمر. لا توجد خدعٌ هنا يا أصدقائي».

مال هايز إلىٰ الأمام وقال: «الكفر هو الطريق للحقيقة، لا يوجد طريق آخر إن فهمت ذلك، أو إن لم تفهمه!».

قال أوني جاي: «الآن يا أصدقائي، أريد أن أطلعكم علىٰ سبب آخر يدفعكم للإيمان المطلق بهذه الكنيسة، إنها مستمدة من الإنجيل. نعم هذا صحيح! إنَّها مستمدة من فهمكم الشخصي للإنجيل يا أصدقائي. تستطيع الجلوس في البيت وتأويل الإنجيل كيفما تشعر في قلبك أنَّه يجب أن يؤول. هذا صحيح، الطريقة نفسها التي كان يسوع سيؤوله. أتمنىٰ لو كان معي جيتاري هنا».

قال هايز: «هذا الرجل كاذب، أنا لم أره أبدًا قبل هذا الليلة. أنا لم . . .».

قال أوني جاي هولي: «هذه الأسباب يجب أن تكون كافية يا أصدقائي، ولكنَّني سأخبركم بسبب آخر، فقط كي أؤكد لكم أنِّي أستطيع فعل ذلك. هذه الكنيسة عصرية! عندما تلتحق بهذه الكنيسة تستطيع أن تتيقن من أن لا أحد ولا شيء قد سبقك، لا أحد يعرف شيئًا أنت لا تعرفه، كل الحقائق موجودة علىٰ الطاولة أمامكم يا أصدقائي، وهذه حقيقة!».

بدأ وجه هايز تحت القبعة البيضاء يأخذ معالم عنيفة. عندما كان علىٰ وشك أن يفتح فمه مجددًا، أشار أوني جاي هولي

Twitter: @ketab_n

بإعجاب إلىٰ الطفل الذي كان يلبس قبعة ريفية زرقاء الذي كان ينام علىٰ كتف المرأة: «هذا الطفل الصغير هناك، كتلة صغيرة من الطيبة الضعيفة. لماذا، أنا أعلم أنَّكم لن تسمحوا لذلك الشيء الصغير بالنمو وستجبرون تلك الطيبة علىٰ الانحسار في داخله بينما كان من الممكن أن تكون ظاهرة علىٰ السطح لتكسبه أصدقاء وتجعله محبوبًا. لهذا أريد كل واحد منكم أن ينضم لكنيسة اللا مسيح المقدسة. سيكلف ذلك كل واحد منكم دولارًا ولكن ما قيمة الدولار؟ بضعة سنتات! ليس بالمبلغ الكبير لتفتيح زهرة الطيبة الموجودة بداخلكم!».

صرخ هايز قائلًا: «اسمع! لا تكلف معرفة الحقيقة شيئًا! لا تستطيع اكتشافها عن طريق المال!».

قال أوني جاي هولي: «أسمعتم ما قاله الرسول يا أصدقائي، الدولار ليس مبلغًا كبيرًا. لا يوجد مبلغ من المال يساوي أكثر من قيمة معرفة الحقيقة! أنا أريد الآن من كل واحد منكم ممَّن سيستفيد من هذه الكنيسة أن يوقع في الدفتر الصغير الموجود في جيبي وأن يعطيني الدولار بشكل شخصي وأن يسمح لي بمصافحته!».

نزل هايز من علىٰ غطاء المحرك وركب السيارة وأدار المشغِّل بعنف.

صرخ أوني جاي هولي قائلًا: «انتظر! انتظر! لم أحصل علىٰ أي اسم من أسماء هؤلاء الأصدقاء بعد!».

كان للسيارة عادة غريبة في المساء. كانت تتقدَّم للأمام ستة

Twitter: @ketab_n

إنشات، ثم تعود للوراء أربعة، وقد قامت بفعل ذلك الآن عدة مرات متكررة، ولو كان الحال غير ذلك لكان هايز قد قادها مبتعدًا. كان عليه أن يمسك بالمقود بكلتا يديه كي لا يُرمَىٰ من الزجاج الأمامي أو إلىٰ المقعد الخلفي. توقفت بعد بضع ثوانٍ وتدحرجت عشرين قدمًا للأمام، ثم أعادت الكرة مجددًا.

كان التوتر ظاهرًا علىٰ وجه أوني جاي هولي، حيث وضع يده علىٰ طرف وجهه، كما لو كانت تلك هي الطريقة الوحيدة كي يحتفظ بابتسامته علىٰ وجهه، وقال: «عليَّ أن أذهب الآن يا أصدقائي، ولكنَّني سأكون هنا في المكان نفسه غدًا مساءً، عليَّ أن ألحق بالرسول الآن».

وركض عندها في الوقت نفسه الذي بدأت فيه السيارة بالتحرك مجددًا. لم يكن ليلحق بها، ولكنَّها توقفت بعد أن سارت عشرة أقدام فقط. فتح الباب ودخل في السيارة، وسقط علىٰ الكرسي بقوة بجانب هايز وهو يلهث. قال: «يا صديقي، لقد ضيعنا عشرة دولارات للتو، لماذا أنت في عجلة من أمرك؟».

كان هناك نوع حقيقي من الأمل ظاهر علىٰ وجهه مع أنَّه كان ينظر إلىٰ هايز بابتسامة تظهر أسنانه العلوية ورؤوس أسنانه السفلية.

أدار هايز رأسه، ونظر إليه طويلًا ليرىٰ الابتسامة قبل أن يستدير تجاه الزجاج الأمامي. بعد ذلك بدأت السيارة تسير بسلاسة. أخرج أوني جاي منديلًا أرجواني اللون ووضعه أمام فمه لبعض الوقت. عندما أزاحه كانت ابتسامته قد عادت مجددًا.

Twitter: @ketab_n

قال: «يا صديقي، علينا أن نجتمع أنا وأنت علىٰ ذلك الشيء. أنا قلت عندما رأيتك تتحدث للمرة الأولىٰ: «هذا رجل عظيم صاحب أفكار عظيمة» . . .».

لم يدر هايز رأسه.

أخذ أوني جاي نفسًا عميقًا. **وسأل قائلًا:** «لماذا، هل تعلم بمن ذكرتني عندما رأيتك للمرة الأولىٰ؟».

ثم صمت لدقيقة وقال بصوت ناعم: «المسيح وإبراهام لنكولن يا صديقي!»[1].

أصبح وجه هايز فجأة مليئًا بتعابير الغضب. كانت كل التعابير علىٰ وجهه مطموسة. وقال بصوت لا يكاد يُسمع: «أنت لست صادقًا!».

قال أوني جاي: «يا صديقي! كيف يمكن أن تقول ذلك؟ أنا كنت مذيعًا لبرنامج علىٰ المذياع لمدة ثلاث سنوات. كان برنامجًا دينيًا موجهًا لكل الأسرة. ألم تسمع به؟ كان اسم البرنامج (الأرواح الهادئة، ربع ساعة من المزاج الهادئ، النغم والذهن الصافي) أنا مبشِّر حقيقي يا صديقي».

أوقف هايز السيارة، وقال: «اخرج من السيارة!».

---

(١) **إبراهام لينكولن:** كان هو الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية، والذي قام بإصدار قوانين تحرير العبيد، والتي أدَّت للحرب الأهلية الأمريكية، ويُعد من أعظم الرؤساء في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

Twitter: @ketab_n

قال أوني جاي: «لماذا يا صديقي؟! لا يجب أن تقول كلامًا كهذا! هذه هي الحقيقة المطلقة. أنا مبشِّر ومذيع مشهور».

قال هايز: «اخرج!».

ثم مد يده وفتح الباب من جهته.

قال أوني جاي: «لم أتوقع أبدًا أن تعامل صديقًا بهذا الشكل، وكل ما كنت أريد أن أسألك عنه هو يسوع الجديد».

قال هايز: «اخرج!».

وبدأ بدفعه باتجاه الباب. دفعه إلىٰ حافة الكرسي، ثم رماه فسقط من الباب علىٰ الطريق.

قال مشتكيًا: «لم أتوقع أن يعاملني صديق هكذا أبدًا».

أقفل هايز الباب، وشغل السيارة، ولكن لم يحدث شيء. كان هناك صوت تحته يشبه صوت رجل يغرغر من دون ماء. نهض أوني جاي ووقف أمام النافذة، **وقال:** «لو أخبرتني فقط عن مكان هذا يسوع الجديد الذي كنت تتحدث عنه».

شغل هايز السيارة عدة مرات، ولكن لم يحدث شيء.

قال أوني جاي ناصحًا: «اسحب الصمام الخانق».

قال هايز: «لا يوجد صمام خانق فيها».

قال أوني جاي: «قد تكون مغمورة. بينما نحن ننتظر، يمكننا التحدث عن كنيسة اللا مسيح المقدسة».

قال هايز: «كنيستي اسمها كنيسة اللا مسيح وأنا قد اكتفيت منك».

Twitter: @ketab_n

قال أوني بنبرة مجروحة: «لا يهم حتىٰ لو أضفت مسيحًا أو اثنين أو أكثر للاسم إن لم يضيفوا شيئًا للمعنىٰ يا صديقي. عليك أن تستمع لي لأنَّني لست مبتدئًا. أنا فنان. إذا أردت أن تصل إلىٰ أي مكان في مجال الدين عليك أن تجعل الموضوع لطيفًا. لديك أفكار جيدة ولكنك تحتاج لفنان يعمل معك».

شغَّل هايز السيارة، ثم دعس علىٰ دواسة الوقود، ثم شغَّل مجددًا، ثم دعس علىٰ دواسة الوقود مجددًا. لم يحدث شيء. كان الشارع فارغًا. **اقترح أوني جاي قائلًا:** «نستطيع أنا وأنت أن ندفعها لجانب الرصيف».

قال هايز: «لم أطلب مساعدتك».

قلا أوني جاي: «أتعلم يا صديقي، أنا فعلًا أريد أن أرىٰ يسوع الجديد ذلك، لم أسمع من قبل فكرة غنية مثل تلك. كل ما نحتاجه هو بعض الدعاية».

حاول هايز تشغيل السيارة عن طريق وضع كامل ثقله علىٰ عجلة القيادة، ولكن ذلك لم ينجح. فخرج من السيارة ووقف وراءها وبدأ بدفعها باتجاه الرصيف. وقف أوني جاي خلفه وأضاف بعض الوزن.

وقال له: «لقد فكرت تقريبًا بنفس فكرة يسوع الجديد تلك، أشعر أن وجود واحد جديد هو فكرة عصرية، أين يوجد يا صديقي؟ هل هو شخص تراه كل يوم؟ أنا أحب أن أقابله وأن أسمع بعض أفكاره».

Twitter: @ketab_n

دفعوا السيارة إلىٰ موقف للسيارات. ولم يكن هناك طريقة لإقفالها وكان هايز خائفًا من أنه إذا تركها في ذلك المكان البعيد عن مكان سكنه؛ فإنَّها ستسرق. لم يكن لديه خيار آخر غير أن ينام فيها. فصعد إلىٰ المقعد الخلفي وبدأ بإسدال الستائر.

كان رأس أوني جاي بارزًا من الشباك الأمامي، وقال: «لا داعي لأن تخاف من أنَّني إذا رأيت يسوع الجديد ذلك؛ فإنَّني لن أعطيك حصتك، رؤيته ستعني الكثير لي يا صديقي».

رفع هايز اللوح الخشبي من فوق إطار المقعد ليفسح مجالًا للنوم. كان يحتفظ بوسادة وبطانية تابعة للجيش في الخلف، والرف تحت النافذة البيضاوية الخلفية، حيث كان يوجد موقد صغير ووعاء قهوة.

قال أوني جاي مقترحًا: «يا صديقي، سيكون من دواعي سروري أن أدفع بعض المال كي أستطيع لقاءه».

قال هايز: «استمع لي، اذهب بعيدًا من هنا، لقد اكتفيت منك. لا يوجد يسوع جديد. هذه كانت طريقة لإيصال فكرة ما».

انزلقت الابتسامة من علىٰ وجه أوني وسأل قائلًا: «ماذا تعني بذلك؟».

قال هايز: «لا يوجد شيء أو شخص من ذاك القبيل، كانت فقط طريقة لقول شيء معين».

ووضع يده علىٰ مقبض الباب وبدأ بإغلاقه غير عابئ برأس أوني!

Twitter: @ketab_n

صرخ أوني قائلًا: «لا يوجد شيء من هذا القبيل!».

ثم تمتم قائلًا: «هذه هي مشكلتكم يا معشر المثقفين، ليس لديكم ما يدعم كلامكم».

قال هايز: «أبعد رأسك من فتحة الباب يا هولي».

زمجر الرجل ورأسه في فتحة الباب قائلًا: «اسمي هوفر شوتس. لقد علمت عندما رأيتك لأول مرة أنَّك لست سوىٰ شخص غريب الأطوار».

فتح هايز الباب بما يكفي لكي يطبقه بقوة. أخرج هوفر شوتس رأسه من فتحة الباب، ولكنَّه لم يخرج إبهام يده. فصدر منه عواءً يكفي لكي يمزق أي قلب يسمعه. فتح هايز الباب وحرر إبهامه وأطبق الباب مرة أخرىٰ. وأرخىٰ الستائر الأمامية واستلقىٰ علىٰ ظهره في مؤخرة السيارة علىٰ بطانية الجيش. كان يستطيع سماع عواء وقفز هوفر شوتس في الشارع.

عندما توقف العواء، سمع هايز صوت خطوات قادمة باتجاه السيارة، ثم سمع صوتًا ملتهبًا لاهثًا يقول له من خلال التنك: «احذر يا صديقي، سأقوم بقطع رزقك. أستطيع أن الحصول علىٰ يسوع جديد خاصٍّ بي وأقدر أن أحصل علىٰ رُسُلٍ لقاء مبلغ صغير. أتسمعني؟ هل تسمعني يا صديقي؟».

لم يجب هايز.

قال الصوت مضيفًا: «وسأقوم بالتبشير هنا غدًا مساء. ما

Twitter: @ketab_n

تحتاج إليه هو القليل من المنافسة، أتسمعني يا صديقي؟».

نهض هايز ومال للأمام نحو الكرسي الأمامي وقرع بوق السيارة بقوة بيده. فأحدث البوق صوتًا يشبه صوت ماعز كان يضحك وقاطعه صوت منشار. قفز هوفر شوتس للخلف كما لو كانت شحنة كهربائية قد فُرِّغَت فيه. قال: «حسنًا يا صديقي». كان يقف علىٰ بعد خمسة عشر قدمًا.

ثم أكمل قائلًا: «انتظر فقط، لم تسمع الكلمة الأخيرة مني بعد».

واستدار للخلف وسار في الطريق الخالي من الأصوات.

بقي هايز في السيارة لحوالي ساعة وحظي بتجربة سيئة هناك. رأىٰ في المنام أنَّه لم يكن ميتًا، ولكنه كان مدفونًا فقط. لم يكن ينتظر الحساب؛ لأنَّه لا يوجد حساب، لم يكن ينتظر شيئًا. نظرت عدة أعين من خلال النافذة البيضاوية الخلفية إلىٰ حالته. البعض كان ينظر إليه ببعض التوقير، بنظرة تشبه نظرة ذلك الفتىٰ من حديقة الحيوان. وكان البعض ينظر فقط ليرىٰ ما يمكن رؤيته. كان هناك ثلاث نساء يحملون أكياسًا ورقية ينظرون إليه نظرة متفحصة كما لو كان شيئًا -قطعة من السمك- يريدون شراءها، ولكنَّهُنَّ ذهبن بعد دقيقة.

نظر رجل يلبس قبعة من الكتَّان من خلال النافذة ووضع إبهام يده في أنفه وقام بهزِّ أصابعه. وبعد ذلك توقفت امرأة تمسك ولدًا صغيرًا في كل يد ونظرت للداخل وابتسمت. بعد برهة دفعت

Twitter: @ketab_n

الولدين جانبًا وألمحت أنَّها ستصعد للسيارة وتمضي معه بعض الوقت، ولكنَّها لم تستطع أن تدخل من خلال النافذة، وفي النهاية رحلت.

خلال ذلك الوقت كله، كان هايز يميل نحو الخروج من السيارة ولكن بما أنَّه لم يكن هناك فائدة من ذلك، فلم يأتِ بأي حركة. ظل يتوقع أن يظهر هاوكس من النافذة البيضاوية وهو يحمل مفكَّ براغي، ولكن الرجل الأعمىٰ لم يأتِ.

في النهاية تخلص من الحلم واستيقظ. كان يظنُّ أنَّ الوقت سيكون صباحًا، ولكنه كان منتصف ليل فقط. سحب نفسه لمقدمة السيارة، وشغَّل السيارة وانطلقت السيارة بسلاسة كما لو كانت لم تعانِ من أي مشكلة. قاد السيارة إلىٰ البيت ودخل إليه ولكن عوضًا علىٰ أن يصعد لغرفته، وقف في الصالة ينظر إلىٰ باب غرفة الرجل الأعمىٰ. ذهب إليها ووضع أذنه علىٰ فتحة المفتاح وسمع صوت شخير، فأدار المقبض بلطف ولكن الباب لم يفتح.

في الوهلة الأولىٰ، خطرت له فكرة أن يقوم بفتح الباب دون مفتاح. بحث في جيوبه عن أداة ووجد قطعة صغيرة من سلك معدني كان يستخدمها في بعض الأحيان كنكاشة أسنان. كان الضوء خافتًا في الصالة، ولكنَّه كان كافيًا، جثا هايز علىٰ الأرض قبالة فتحة المفتاح وأدخل السلك فيها بحذر، محاولًا أن لا يصدر أي صوت.

بعد أن جرّب الأسلاك خمس أو ست مرات بطرق مختلفة

Twitter: @ketab_n

لفترة من الزمن، صدر صوت قرقعة بسيطة من القفل. فانتفض واقفًا وهو يرتعش وفتح الباب. أصبحت أنفاسه قصيرة، وكان قلبه ينبض بقوة كما لو كان قد ركض إلىٰ هنا من مسافة بعيدة. وقف بداخل الغرفة إلىٰ أن تعوَّدت عيناه علىٰ الظلمة ثم تحرك ببطء نحو السرير الحديدي ووقف عنده. كان هاوكس نائمًا عليه. وكان رأسه متدليًا من علىٰ الحافة. جلس هايز القرفصاء بجانبه وأشعل عود ثقاب بجانب وجهه وفتح عينيه. حدق زوجا العيون ببعضهما البعض، حتىٰ انطفأ عود الثقاب. كانت تعابير وجه هايز تشير إلىٰ أن فراغًا عميقًا قد فتح وعكس شيئًا ما، ثم أغلق مرة أخرىٰ.

قال هاوكس بصوت غليظ: «الآن تستطيع أن تذهب، الآن تستطيع أن تتركني وشأني»، ثم أومأ إلىٰ أنَّه سيضرب وجهه، ولكنَّه لم يلمسه. فتحرك وجه هايز للخلف، ولم تكن تبدو عليه أي ملامح تحت القبعة البيضاء، ورحل خلال ثانية.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل العاشر

في الليلة التالية، قام هايز بركن السيارة أمام مسرح (أوديون) وصعد عليها وبدأ بالتبشير.

نادىٰ من فوق غطاء المحرك قائلًا: «دعوني أخبركم ماذا نمثل أنا وهذه الكنيسة! توقفوا لدقيقة واحدة لتستمعوا إلىٰ الحقيقة؛ لأنَّكم قد لا تستمعون إليها مجددًا».

كان يقف هناك وكان عنقه بارزًا للأمام، وكانت يده تتحرك للأمام مشكِّلة نصف دائرة. توقفت امرأتان وفتىٰ.

نادىٰ قائلًا: «أنا أبشر بكل أنواع الحقيقة، الحقيقة الخاصة بكم والخاصة بغيركم، ولكن وراء كل تلك الحقائق، هناك حقيقة واحدة هو أنه لا يوجد حقيقة. عدم وجود أي حقيقة وراء كل الحقائق هو ما نبشِّر به أنا وهذه الكنيسة! المكان الذي تظنون أنَّكم جئتم منه قد اختفىٰ، والمكان الذي كنتم سائرين إليه لم يكن موجودًا من الأساس، والمكان الذي أنتم موجودون فيه لن ينفعكم إن لم ترحلوا منه. أين المكان الذي عليكم التواجد فيه؟ لا يوجد مكان. لا يوجد شيء خارج أنفسكم يستطيع إعطاءكم أي مكان لتذهبوا إليه، لا حاجة لأن تنظروا إلىٰ السماء؛ لأنَّها لن تفتح

Twitter: @ketab_n

وتريكم مكانًا وراءها. لا حاجة لأن تبحثوا عن حفرة في الأرض لتبحثوا من خلالها عن مكان آخر. لا تستطيعون السير للأمام ولا للخلف إلىٰ زمن آبائكم أو أبنائكم إن كان لكم أبناء. في أنفسكم الآن توجد كل المساحة التي تحتاجون إليها. إن كان يوجد شيء اسمه ذنب، فابحثوا عنه هناك. إن كان يوجد شيء اسمه توبة، فابحثوا عنه هناك. وإن كان يوجد شيء اسمه حساب، فابحثوا عنه هناك؛ لأنَّ تلك الأشياء الثلاثة عليها أن تكون موجودة في زمنكم وفي جسدكم وأين المساحة التي تتسع أن تتواجد فيها تلك الأشياء في زمنكم وفي جسدكم؟».

ثم أكمل بصوت باكٍ: «أروني أين تاب عليكم يسوع في وقتكم وفي زمانكم؟ أروني أين؛ لأنَّني لا أرىٰ ذلك المكان. إن كان يوجد مكان تاب عليكم المسيح فيه؛ فعليكم أن تذهبوا لذلك المكان، لكن هل يستطيع أحد منكم العثور علىٰ ذلك المكان؟».

خرج جمع جديد من الناس من المسرح ووقف اثنان منهم لينظروا إليه.

قال بصوت باكٍ: «من هذا الذي يقول إن ضميركم موجود؟».

نظر للناس من حوله بوجه مقبوض، كأنَّه كان يستطيع أن يشم ذلك الشخص الذي يقول بذلك.

قال: «ضميركم خدعة، إنَّه شيء غير موجود حتىٰ وإن كنتم تعتقدون بوجوده، وإن كنتم تؤمنون أنَّه موجود، فمن الأفضل أن تخرجوه من داخلكم وأن تلاحقوه وتقتلوه؛ لأنَّه ليس أكثر من

Twitter: @ketab_n

انعكاس وجهكم في المرآة أو ظلِّكم الذي يمشي وراءكم».

كان يبشر بتركيز عالٍ، حتىٰ إنَّه لم يلاحظ سيارة عالية ذات لون يشبه لون الفئران كانت قد دارت حول الحارة ثلاث مرات، بينما كان الرجلان الراكبان فيها يبحثان عن مكان ليركنا السيارة فيه. لم يلاحظ عندما توقفت في مصفٍّ علىٰ بعد سيارتين منه. وبعد أن توقفت في المصفِّ لم ير عندما خرج منها هوفر شوتس ورجل يلبس سترة زرقاء لامعة وقبعة بيضاء، ثم صعد ذلك الرجل فوق غطاء المحرك. كان مندهشًا من هزالته ونحافته في ذلك المنظر الوهمي المخادع لدرجة أنه توقف عن التبشير. لم يتصور نفسه بذلك الشكل من قبل. كان الرجل الذي رآه غائر الصدر ويمدُّ عنقه للأمام وكانت يداه مرخيَّتين بجانبه، وقف في مكانه كما لو كان ينتظر إشارة كان خائفًا أن تفوته.

كان هوفر شوتس يتجول علىٰ الرصيف وهو يضرب علىٰ أوتار جيتاره، ثم قال: «يا أصدقائي، أريد أن أقدم لكم جميعًا الرسول الحقيقي وأريدكم جميعًا أن تستمعوا لكلماته؛ لأنني أعتقد بأنَّها ستدبُّ السعادة في نفوسكم مثل ما فعلت معي!».

لو كان هايز قد انتبه إلىٰ هوفر؛ لكان من الممكن أن يندهش من مدىٰ السعادة الظاهرة عليه، ولكن تركيزه كان منصبًا علىٰ الرجل الواقف علىٰ غطاء المحرك. نزل من فوق سيارته واقترب منه أكثر، وكان نظره مركزًا علىٰ ذلك الجسم الكئيب النحيف.

رفع شوتس يده مشيرًا بإصبعين نحو الرجل ونادىٰ بصوت حادٍّ

Twitter: @ketab_n

باكٍ يميل للغناء قائلًا: «إنَّ الذين لم يتب أحد عليهم يتوبون علىٰ أنفسهم ويسوع الجديد موجود هنا بالقرب منهم! انظروا جميعًا إلىٰ هذه المعجزة! امنحوا أنفسكم الخلاص في كنيسة اللا مسيح المقدسة!».

أعاد ذلك مرات عديدة مستخدمًا نفس نبرة الصوت، ولكن بشكل أسرع. ثم بدأ يسعل. كان صوت سعاله عاليًا متفجرًا بدأ من مكان عميق وانتهىٰ بصوت أزيزٍ طويل. ثم بصق سائلًا أبيضَ في نهاية الأمر.

كان هايز يقف بجانب امرأة بدينة. بعد برهة أدارت المرأة رأسها وحدَّقت فيه، ثم أدارت رأسها مجددًا وحدَّقت في الرسول الحقيقي.

أخيرًا قامت بوكز كوعه بكوعها وابتسمت له وسألته قائلةً: «هل أنت وهو توأمان؟».

أجاب هايز قائلًا: «إذا لم تلاحقه وتقتله، سيقوم هو بملاحقتك وقتلك».

قالت: «هاه؟ من؟».

استدارت للخلف ونظرت إليه وهو يركب في السيارة ويقودها مبتعدًا. ثم وكزت رجلًا آخر موجودًا علىٰ جنبها الآخر وقالت: «إنَّه مجنون، لم أرَ من قبل توأمين يصطاد واحد منهم الآخر».

عندما عاد إلىٰ غرفته، كانت ساباث هاوكس في فراشه.

Twitter: @ketab_n

وكانت جالسة علىٰ زاوية الفراش، وكانت يدها الأولىٰ ملتفَّة حول ركبتها والأخرىٰ تمسك بغطاء الفراش كما لو كانت تريد أن تتدلىٰ ممسكة به. كان يبدو علىٰ وجهها ملامح التجهم والقلق. جلس هايز علىٰ الفراش ولكنه بالكاد نظر إليها.

فقالت له: «أنا لا أبالي إن ضربتني بالطاولة. أنا لن أرحل. لا مكان لدي لأذهب إليه. لقد رحل وتركني وأنت من جعله يرحل. كنت أراقبك ليلة البارحة ورأيتك تدخل للغرفة وتحمل عود الثقاب أمام وجهه. كنت أعتقد أن أيَّ شخص كان يستطيع أن يرىٰ حقيقته من دون أن يشعل أيَّ عود ثقاب. إنَّه شخصٌ محتال. لم يكن حتىٰ محتالًا كبيرًا، بل كان محتالًا صغيرًا، وعندما كان يتعب من ذلك الأمر، يستجدي الناس في الشارع».

انحنىٰ هايز للأسفل وبدأ بفكِّ رباط حذائه. كان حذاء جيش قديمًا، وكان مطليًّا باللون الأسود؛ ليمحو شعار الحكومة الذي كان يوجد عليه. خلع حذاءه وجلس في مكانه ينظر للأسفل، بينما كانت هي تنظر إليه بحذر.

سألت قائلة: «هل ستقوم بضربي أم لا؟ إذا كنت ستفعل، فافعل ذلك الآن لأنَّني لن أرحل. لا مكان لدي لأذهب إليه». لم يبدُ عليه أنَّه كان سيضرب أيَّ شيء، كان يبدو أنَّه سيجلس هناك حتىٰ يموت.

قالت بنبرة مغايرة: «اسمع! من اللحظة الأولىٰ التي رأيتك فيها قلت لنفسي: هذا ما أريد الحصول عليه، أعطني فقط بعضًا

Twitter: @ketab_n

منه! قلت لنفسي: انظري إلىٰ لون عينيه الشبيه بلون الجوز وافقدي عقلك يا فتاة! هذه النظرة البريئة لا تعني شيئًا، إنَّه شخص فاحش في صميمه، مثلي. الفرق الوحيد بيننا هو أنَّني أحب أن أكون كذلك وهو لا يحب ذلك. نعم يا سيدي!».

ثم أكملت قائلة: «أنا أحب أن أكون كذلك، وأستطيع أن أعلمك كيف تحب ذلك أيضًا. ألا تريد أن تحب ذلك؟».

أدار رأسه قليلًا من فوق كتفه ورأىٰ وجهًا مقبوضًا بسيطًا عليه عينا خضراوتان ساطعتان وابتسامة.

قال دون أن يطرأ تغيير علىٰ ملامح وجهه الجامدة: «نعم، أريد ذلك»، ثم نهض وخلع معطفه وبنطاله وسرواله الداخلي ووضعهم علىٰ كرسي. ثم أطفأ الضوء وجلس علىٰ الفراش مجددًا ونزع جواربه. كانت قدماه بيضاوتين كبيرتين ورطبتين.

قالت له: «هيا! فلنصنع بعض الضوضاء». وقامت بلمس ظهره بركبتها.

قام بفكِّ أزرار قميصه وخلعه، ثم مسح وجهه به ورماه علىٰ الأرض. ثم أدخل قدميه تحت الغطاء وجلس هناك كأنه يريد أن يتذكر شيئًا إضافيًا آخر. كانت تتنفس بسرعة.

«اخلع تلك القبعة، يا ملك الوحوش!».

قالتها بصوت فضٍّ، وخلعت القبعة من علىٰ رأسه، ورمتها عبر الغرفة في الظلام.

Twitter: @ketab_n

الفصل الحادي عشر

في ظهيرة اليوم التالي، كان هناك رجل يلبس معطفًا مطريًا أسودَ طويلًا وقبعة ذات لون أقل سوادًا. كانت القبعة تغطي جزءًا من وجهه، وكانت أطرافها مرفوعة للأعلىٰ كي تفسح مكانًا لياقات المعطف المطري المرفوعة للأعلىٰ أيضًا. كان ذلك الرجل يتحرك بسرعة بين بعض الشوارع الخلفية، وكان يمشي بقرب جدران المباني. كان يحمل شيئًا بحجم الطفل تقريبًا، وكان يحمل مظلة سوداء أيضًا؛ لأنَّ حالة الطقس كان متقلبةً وكان لون السماء رماديًا يشبه لون ظهر عنزة عجوز. كان يلبس نظارات سوداء وكان يملك لحية سوداء كانت تبدو للفاحص أنَّها ليست طبيعية، ولكن مثبَّتةً علىٰ طرفي قبعته بواسطة إبر تثبيت. بينما كان يمشي، كانت مظلته تنسلُّ من تحت يده وتعلق بقدمه كأنَّها كانت تحاول منعه من الذهاب لأيِّ مكان.

لم يمشِ مسافة نصف حارة حتىٰ بدأت قطرات كبيرة من المطر بالهطول علىٰ الشارع، وصدر عندها صوت جمهرة قبيح من خلفه في السماء. بدأ بالركض، حاملًا الحزمة في يدٍ والمظلة في اليد الأخرىٰ. أحاطت به العاصفة خلال لحظات واضطُرَّ إلىٰ أن

Twitter: @ketab_n

يحتمي بين شُبَّاكي عرضٍ للبضائع تحت مظلة مخططة باللونين الأزرق والأبيض التابعة لواجهة أحد المحلات. أخفض نظارته السوداء للأسفل قليلًا. كانت العينان الشاحبتان الظاهرتان من فوق حافة النظارة تعودان لإينوخ ايمري، وكان إينوخ في طريقه لغرفة هايز موتس.

لم يذهب ايمري إلىٰ مسكن هايز من قبل ولكنَّ الغريزة التي كانت تقوده كانت متأكدة جدًا هذه المرة. كان الشيء الموجود في الحزمة هو الشيء الذي أراه لهايز في المتحف. كان قد سرقه في اليوم السابق.

كان قد صبغ وجهه ويديه بطلاء تلميع الأحذية البنِّي، حتىٰ إذا رآه أحد، ظنَّ أنه زنجي. ثم قام بالتسلل للمتحف بينما كان الحارس نائمًا وقام بكسر الزجاج بمفتاح ربط قام باستعارته من صاحبة بيته. ثم حمل الرجل المتقلِّص وهو يرتعش ويتعرق، ووضعه في كيس ورقي، وتسلل خارجًا من جانب الحارس الذي كان لا يزال نائمًا. انتبه إينوخ بمجرد أن خرج من المتحف، بما أنَّه لم يره أحد وهو متنكر كزنجي؛ فإنَّه سيُتَّهَمُ مباشرة بسرقة المتحف، وأنَّ عليه أن يتنكَّر ويخفي نفسه. لهذا السبب كان يلبس النظارات واللحية السوداء.

عندما عاد إلىٰ غرفته، أخرج يسوع الجديد من الكيس، وكان بالكاد يقدر علىٰ النظر إليه، ووضعه في الخزانة، ثم جلس علىٰ طرف سريره وانتظر. كان ينتظر حدوث شيء ما، لم يكن يعلم

Twitter: @ketab_n

ماذا. كان يعلم أن شيئًا ما سيحدث وكان كلُّ جسده ينتظر ذلك. كان يظنُّ أنَّها ستكون إحدىٰ اللحظات الفاصلة في حياته، ولكن بغض النظر عن ذلك، لم يكن يكن لديه أدنىٰ فكرة عما سيحدث. كان يتصور نفسه، بعد أن ينتهي الأمر، رجلًا جديدًا تمامًا ذا شخصية أفضل من شخصيته الحالية. جلس في مكانه لحوالي خمس عشرة دقيقة، ولكن لم يحدث شيء.

جلس هناك لخمس دقائق إضافية.

ثم استيقن من أنَّ عليه أن يقوم بالخطوة الأولىٰ. فنهض من مكانه، ومشىٰ علىٰ رؤوس أصابعه نحو الخزانة، وانحنىٰ باتجاه باب الخزانة، وفي لحظة فتح الباب ونظر للداخل. بعد فترة، وببطء شديد، وسَّع فتحة الباب وأدخل رأسه في خيمة الاجتماع[1].

مضىٰ بعض الوقت.

للناظر من خلفه مباشرة، كان باطن حذائه ومؤخرة بنطاله واضحين فقط. كان الصمت يخيم علىٰ الغرفة، لم يكن هناك صوت حتىٰ من الشارع، كأنَّ الكون كان قد أُطفِئَ. ومن ثَمَّ من دون سابق إنذار، صدر صوت عالٍ من الخزانة لشيء سائل، وصدر دوي لصوت ارتطام عظمة بقطعة من الخشب.

---

(١) (خيمة الاجتماع)، أو (خيمة الشهادة): ذُكرت في الإنجيل علىٰ أنَّها الخيمة التي أمر الرب موسىٰ أن يبنيها لقومه.

Twitter: @ketab_n

تراجع إينوخ بخوف للخلف، حاميًا رأسه ووجهه. جلس علىٰ الأرض لبعض الدقائق وكانت تعابير الصدمة تبدو عليه. للوهلة الأولىٰ، ظنَّ أنَّ الرجل المنكمش هو من عطس، ولكن بعد لحظة لاحظ حال أنفه. مسح أنفه بكمِّه وجلس علىٰ الأرض لبعض الوقت. كانت ملامحه التي تشير إلىٰ إحساس عميق بعدم رضاه بما توصل إليه، تظهر واضحة علىٰ وجهه ببطء. وبعد فترة قام بركل الباب مغلقًا إياه في وجه يسوع الجديد، ثم نهض وبدأ في أكل قطعة من الحلوىٰ بسرعة شديدة. كان يأكلها كما لو كان يضمر لها العداء.

في صبيحة اليوم التالي لم يستيقظ حتىٰ العاشرة -كان يوم عطلته-، ولم يخرج ليبحث عن هايز موتس حتىٰ الظهيرة. تذكر العنوان الذي أعطته إياه ساباث هاوكس، وقادته غريزته لذلك المكان. كان متهجمًا وناقمًا أنَّه كان عليه أن يمضي يوم إجازته هكذا، وفي طقس سيئ، ولكنَّه كان يريد أن يتخلص من يسوع الجديد، حتىٰ إذا أمسكت الشرطة بأحد من أجل سرقته، فيقومون بالإمساك بهايز بدلًا منه. لم يفهم أبدًا لماذا سمح لنفسه أن يُعَرِّضَ نفسه للخطر من أجل قزم أسود منكمش -جزئيًا- لم يفعل شيئًا، سوىٰ أنَّه انتهىٰ به الأمر محنطًا وموضوعًا في متحف لبقية حياته. كان ذلك أكبر من أن يستوعبه. كان متهجِّمًا جدًا. وبالنسبة إليه الآن، كل يسوع كان أسوأ من الآخر.

كان قد استعار مظلة صاحبة بيته، واكتشف عندما كان واقفًا

Twitter: @ketab_n

أمام مدخل المحل، وهو يحاول فتحها، أنَّها كانت علىٰ الأقل بنفس عمر صاحبة البيت. وعندما تمكن من فتحها أخيرًا، أرجع نظاراته للخلف أمام عينيه ومشىٰ تحت المطر.

كانت المظلة ملكًا لصاحبة بيته، وكانت قد توقفت عن استعمالها منذ خمس عشرة سنة (وهذا كان السبب الوحيد لموافقتها علىٰ أن يستعيرها)، وبمجرد أن لمسها المطر، انهارت وطعنته في مؤخرة عنقه. ركض مسافة بضع بنايات ودخل تحت مظلة محلٍّ آخر ونزعها. ومن أجل أن يصلحها، كان عليه أن يضع طرفها علىٰ الأرض وأن يفتحها بالقوة باستخدام قدمه. ثم ركض مجددًا، وكان يحملها وهو واضع يده عند المكبح كي يبقيها مفتوحة، وهذا سمح للمقبض، الذي كان محفورًا علىٰ شكل رأس كلب من نوع (تيرير) *(terrier)*، بأن يرتطم بمعدته كل بضع ثوانٍ. أكمل سيره مسافة ربع حارة قبل أن ينفصل الحرير الأسود عن المكبح، ويسمح للمطر أن ينهال عليه. ثم اختبأ تحت المظلة الموجودة أمام بوابة أحد دور عرض الأفلام. كان يوم الأحد، وكان هناك الكثير من الأطفال المصطفين أمام شباك قطع التذاكر.

لم يكن إينوخ يحب الأطفال كثيرًا، ولكن الأطفال كانوا يحبون لسبب ما النظر إليه. التفت الواقفون في الصف، وبدأوا ينظرون إليه باهتمام. كان مظهر المظلة بشعًا، كان نصفٌ يشير للأعلىٰ والنصف الآخر يشير للأسفل. والنصف الذي كان يشير للأعلىٰ كان علىٰ وشك أن يسقط، ويسرِّب المزيد من الماء عليه.

Twitter: @ketab_n

وعندما حدث ذلك، ضحك الأطفال وبدأوا بالقفز. حدَّق إينوخ فيهم، وأدار لهم ظهره، وأخفض نظاراته. وجد نفسه أمام صورة بالحجم الطبيعي لغوريلا مرسومة باستخدام أربعة ألوان. وكان مكتوبًا فوق رأس الغوريلا، بأحرف حمراء كبيرة (جونجو! ملك الغابة العملاق والنجم الكبير! هنا شخصيًّا!)، وكان مكتوبًا عند مستوىٰ ركبة الغوريلا (جونجو سيظهر أمام صالة العرض اليوم في الساعة الثانية عشرة ظهرًا! تذكرة مجانية لأول عشرة أشخاص يملكون الشجاعة الكافية لمصافحة يده!».

كان إينوخ في الغالب يفكر في شيء آخر بينما كان القدر يخبئ له شيئًا مفاجئًا. عندما كان في الرابعة من عمره، أحضر له أبوه صندوقًا من التنك من السجن. كان برتقالي اللون، وكان عليه صورة لحلوىٰ مصنوعة من الفول السوداني، وكان مكتوبًا عليه بأحرف خضراء (مفاجأة مليئة بالمكسرات!)، وعندما فتحها إينوخ، قفزت قطعة من الحديد الملفوف علىٰ شكل زنبرك من الصندوق وكسرت طرفي سنيه الأماميتين. كانت حياته مليئة بالأحداث المشابهة لهذه الحادثة، حتىٰ كان يبدو أنَّه يجب عليه الإحساس أكثر بوقت وجود الخطر. وقف في مكانه وقرأ الإعلان مرتين بتمعُّن. في عقله، كان يعتبر أنَّ فرصة إهانة قردٍ ناجحٍ تدبيرٌ إلهي.

فجأة عاد إليه كلُّ التبجيل والتقدير ليسوع الجديد. رأىٰ أنَّه سيكافأ في نهاية الأمر، وأنَّه سيحظىٰ بتلك اللحظة العظيمة التي كان ينتظرها.

Twitter: @ketab_n

استدار للخلف، وسأل أقرب ولد عن الوقت. **قال الولد:** (إن الساعة كانت الثانية عشرة وعشر دقائق، وإنَّ جونجو كان متأخرًا عشر دقائق). قال ولد آخر: (إنَّه من الممكن أن يكون قد تأخر بسبب المطر). **قال ولد آخر:** (لا ليس المطر، السبب هو أنَّ المخرج كان علىٰ متن طائرة آتية من هوليوود).

صلَّ إينوخ علىٰ أسنانه. **وأخبره الولد الأول:** (إنَّه إن كان يريد أن يصافح يد النجم؛ فإنَّ عليه أن يقف في الطابور مثل البقية وأن ينتظر دوره). سأله طفل عن عمره. ولاحظ الآخر أن شكل أسنانه كان مضحكًا. إلّا أنَّه تجاهل كل هذا الكلام قدر ما يستطيع، وبدأ بإصلاح المظلة.

بعد بضع دقائق، انعطفت شاحنة سوداء من الزاوية وسارت في الشارع ببطء في المطر الكثيف. وضع إينوخ المظلة تحت ذراعه وبدأ يحدق من خلال نظاراته السوداء. بينما كانت الشاحنة تقترب، بدأ جهاز (**الفونوجراف**) ***(phonograph)***[1] داخلها يعزف لحنًا (تارارا بووم دي أي)، ولكن صوت المطر كان طاغيًا علىٰ صوت الموسيقىٰ. كان هناك صورة كبيرة لفتاة شقراء الشعر مرسومة علىٰ الشاحنة من الخارج، كان إعلانًا عن فيلم آخر غير فيلم الغوريلا.

وقف الأطفال في الطابور بحذر بينما توقفت الشاحنة أمام صالة عرض الأفلام. كان بابها الخلفي مصممًا علىٰ شكل قفص

(١) جهاز كان يستخدم قديمًا لتشغيل الأسطوانات الموسيقية.

Twitter: @ketab_n

وكان فيه نافذة حديدية. غير أنَّ القرد لم يكن فيها. خرج رجلان من الشاحنة، وهما يشتمان ويلعنان، وركضا للخلف وفتحا الباب.

أدخل أحدهما رأسه للداخل، وقال: «حسنًا، نريد عرضًا سريعًا، هلَّا فعلت ذلك؟».

وأشار الشخص الآخر بإبهامه للأطفال قائلًا: «ارجعوا للخلف، هلَّا رجعتم للخلف؟».

قال صوت من داخل الشاحنة: «ها هو جونجو يا رفاق، جونجو النجم الكبير! صفِّقوا لجونجو يا رفاق!». كان الصوت يبدو كأنه صوت تمتمة بسبب المطر.

أدخل الرجل الواقف بجانب الشاحنة رأسه في فتحة الباب مرة أخرىٰ، وقال: «هلَّا خرجت إلىٰ هنا؟».

صدر صوت دوي خافت من داخل الشاحنة. وبعد لحظة، برزت ذراع سوداء مكسوَّة بالفرو للخارج وبالكاد لمسها المطر حتىٰ رجعت للداخل مجددًا

قال الرجل الواقف تحت المظلة: «اللعنة!».

ثم نزع معطفه المطري ورماه نحو الرجل الواقف بجانب الباب، والذي رماه بدوره في داخل القفص. بعد دقيقتين أو ثلاثة، ظهر غوريلا عند باب الشاحنة، كان يلبس معطفًا مطريًا ويرفع ياقته للأعلىٰ. كان هناك سلسلة حديدية معلقة حول عنقه، أمسك الرجل به وأنزله للأسفل واحتمىٰ الاثنان من المطر تحت المظلة الموجودة

Twitter: @ketab_n

أمام صالة العرض. كانت هناك امرأة تملأ وجهها ملامح الأمومة جالسة وراء شباك قطع التذاكر، وكانت تجهز التذاكر من أجل أول عشرة أطفال يملكون الشجاعة الكافية ليصافحوا الغوريلا.

لم يبالِ الغوريلا بالأطفال، وتبع الرجل إلىٰ الطرف الآخر من المدخل حيث كان يوجد مسرح صغير بارتفاع قدم عن الأرض. صعد المسرح واستدار باتجاه الأطفال وبدأ بالهدير. لم تكن صيحاته عالية بقدر ما كانت مخيفة، كان يبدو أنَّها صادرة من قلب أسود. كان إينوخ يرتعد خوفًا، ولو كان غير محاط بالأطفال لكان هرب بعيدًا.

قال الرجل: «من سيتقدم أولًا؟! هيا هيا، من سيتقدم أولًا؟ أنت صاحب القميص الأصفر؟ لن يؤذيك ما دمتُ ممسكًا به بهذه السلسلة». أحكم قبضته علىٰ السلسلة وأبرزها أمامهم ليروا أنَّه كان يمسك بها بأمان.

بعد دقيقة انفصلت طفلة صغيرة عن المجموعة. كانت تملك خصلًا تشبه قشور الخشب، ووجهًا صارمًا مثلث الشكل. اقتربت لمسافة أربعة أقدام من الغوريلا.

قال الرجل: «حسنًا حسنًا، افعليها بسرعة».

اقترب الغوريلا، وصافح يدها بسرعة. خلال ذلك الوقت كان قد اقتربت طفلة أخرىٰ وبعدها ولدان آخران. فأعيد تنظيم الصف، وبدأ بالتقدم.

Twitter: @ketab_n

حافظ علىٰ الغوريلا يده ممدودة وحوَّل رأسه بعيدًا نحو المطر، وكانت نظرة ملل تعلو وجهه. فتخلص إينوخ من خوفه، وكان يفكر بشكل عاجل بتعليق فاحش يصلح أن يكون إهانة للغوريلا. لم يكن في العادة يواجه مشكلة في صياغة شيء من هذا القبيل، ولكن لم يخطر علىٰ باله شيء في تلك اللحظة. كلا الجزأين من عقله كانا فارغين تمامًا. لم يستطع حتىٰ استحضار بعض عبارات الإهانة التي كان يستخدمها بشكل يومي.

كان هناك طفلان فقط أمامه الآن. صافح الأول يد الغوريلا وتنحىٰ جانبًا. كان قلب إينوخ ينبض بشدة. انتهىٰ الولد الذي كان أمامه وتنحىٰ جانبًا وتركه في مواجهة الغوريلا الذي أمسك بيده بحركة تلقائية.

كانت أول يدٍ تمتد لإينوخ منذ أن أتىٰ للمدينة. كانت دافئة وناعمة.

وقف لبرهة في مكانه، ويده مشبوكة بيد الغوريلا، ثم بدأ يتلعثم قائلًا: «اسمي إينوخ إمري، ارتدت **(أكاديمية الكتاب المقدس رودميل للبنين)**. أعمل في حديقة الحيوان. ورأيت اثنين من أفلامك. أنا في الثامنة عشرة من عمري، ولكنني أعمل لصالح بلدية المدينة. أخبرني أبي أن آتي . . .». ثم توقف عن الكلام.

مال الغوريلا باتجاهه قليلًا وتغيرت عيناه، كانت هناك عينان بشريتان بشعتان تحدقان به من وراء القناع، ثم سمع صوتًا من داخل السترة يقول له: «اذهب إلىٰ الجحيم». كان الصوت

Twitter: @ketab_n

منخفضًا، ولكنَّه كان واضحًا، ثم قام الغوريلا بإبعاد يد إينوخ عنه.

كانت إهانة إينوخ قاسية لدرجة أنَّه التفت حوله ثلاث مرات قبل أن ينتبه للاتجاه الذي كان عليه الخروج منه. ثم ركض في المطر بأسرع ما يمكنه.

عندما وصل لمنزل ساباث، كان مبللًا بالماء وكذلك كانت الحزمة التي كان يحملها. كان يمسك بها بإحكام، ولكنَّه كان لا يريد شيئًا سوىٰ أن يتخلص منها وأن لا يراها مجددًا. كانت صاحبة البيت الذي يسكن فيه هايز موجودة علىٰ الشرفة الأمامية، وكانت تنظر بشكل غير مطمئنٍّ باتجاه العاصفة. عرف عن طريقها مكان غرفة هايز وصعد إلىٰ هناك. كان الباب مفتوحًا قليلًا وأدخل رأسه في الفتحة. كان هايز مستلقيًا علىٰ فراشه، وكان يوجد خرقة تنظيف علىٰ عينيه، كان الجزء الظاهر من وجهه شاحب اللون وذا تعابير متضايقة، كما لو كان يشعر بألم مزمن. كانت ساباث هاوكس تجلس علىٰ الطاولة الموجودة بجانب النافذة، كانت تنظر إلىٰ نفسها من خلال مرآة صغيرة مخصصة للجيب. قام إينوخ بإصدار صوت عندما خدش الحائط ورفعت ساباث عندئذ نظرها. وضعت المرآة جانبًا، وقامت بالسير علىٰ رؤوس أصابعها حتىٰ وصلت للصالة، وأغلقت الباب وراءها.

قالت: «إنَّ رجلي مريض اليوم، وهو نائم الآن؛ لأنَّه لم ينم البارحة أبدًا، ماذا تريد؟».

قال إينوخ: «هذا له وليس لك»، ثم قام بإعطائها الحزمة المبللة.

Twitter: @ketab_n

ثم أكمل قائلًا: «صديق له أعطاني إيَّاها لأسلمها له. لا أعلم ما بداخلها!».

قالت: «سأهتم بالأمر، لا تقلق».

انتاب إينوخ حاجة ملحَّة بأن يهين أحدًا ما، كان ذلك الشيء الوحيد القادر علىٰ منح مشاعره ونفسه القليل من الراحة. **فقال**: «لم أكن أعلم أبدًا أنَّه مهتمٌّ بك»، ثم رمقها بإحدىٰ نظراته المميزة.

فقالت: «لم يستطع الكف عن ملاحقتي، في بعض الأحيان يتصرفون بهذا الشكل. أنت لا تعلم ما يوجد في هذه الحزمة؟».

قال لها: «فقط أعطِه إيَّاها، وهو سيعرف ما هي وتستطيعين أن تخبريه أنَّني سعيد بأنَّني انتهيت من هذا الموضوع». ثم بدأ بنزول الدرج، وعندما كان في منتصف الطريق استدار ورمقها بنظرة أخرىٰ.

وقال: «أستطيع أن أرىٰ سبب وضعه للخرقة علىٰ عينيه».

قالت: «احتفظ برأيك لنفسك، لم يسألك أحد».

عندما سمعت صوت الباب الرئيس يغلق خلفه، بدأت بتفحُّص الحزمة. لم تستطع معرفة محتواها من الخارج، كانت أقسىٰ من أن تكون ثيابًا، وأطرىٰ من أن تكون جهازًا. فقامت بحفر حفرة في الغلاف من أحد الأطراف، ورأت ما بدا وكأنَّه خمس حبات بازلاء مجففة مصفوفة، ولكن الصالة كانت مظلمة فلم تستطع الرؤية بوضوح. قررت بأن تأخذ الحزمة للحمام حيث

Twitter: @ketab_n

الإنارة أفضل، وأن تقوم بفتحها قبل أن تعطيها لهايز؛ لأنَّه لو كان مريضًا كما قال لها، فلن يرغب في أن يتم إزعاجه بأمر كهذا.

ادَّعىٰ هايز في وقت مبكر من ذلك اليوم أنَّه يشكو من ألم رهيب في صدره، كان قد بدأ في السعال في الليل - كان سعالًا قويًّا جافًّا، وكان صوته يدلُّ علىٰ أنَّه يتظاهر بالسعال. كانت متأكدةً من أنَّه يحاول التخلص منها بإيهامها أنَّه يعاني من مرض معدٍ.

لم يكن مريضًا فعلًا، قالت ذلك لنفسها وهي تمشي في الصالة، هو لم يعتد علي بعد. دخلت الحمام وجلست علىٰ طرف حوض استحمام كبير أخضر اللون وفكت الحبل من حول الحزمة. **وتمتمت قائلة:** «ولكنَّه سيعتاد علي». ثم نزعت الغلاف ورمته علىٰ الأرض، ثم جلست، وتعابير الاندهاش تعلو وجهها، تنظر إلىٰ الشيء الموجود في حضنها.

وجود يسوع الجديد ليومين خارج صندوقه الزجاجي لم يساعد علىٰ تحسُّن حالته. كان جزء من وجهه مهشَّمًا وفي الطرف الآخر كان رمش عينه قد انكسر إلىٰ نصفين وكان غبار شاحب اللون يتساقط من خلاله. لفترة من الزمن كان وجه ساباث يحمل نظرة فارغة، كما لو كانت لا تعلم بماذا تفكر حيال الأمر أو كما لو كانت لا تفكر أبدًا. جلست في مكانها لحوالي عشر دقائق، دون أن تخطر علىٰ بالها أيَّة فكرة، كان هناك شيء مميِّزٌ حياله يسيطر علىٰ تفكيرها. لم تكن تعرف أيَّ شخص يشبهه من جهة الشكل، ولكن كان هناك شيءٌ فيه من كلِّ شخص عرفته من قبل، كما

Twitter: @ketab_n

لو كانوا قد عُجنوا جميعًا في شخص واحد ثم قُتل هذا الشخص وتقلَّص وجفَّ.

فرفعته عاليًا وبدأت تتفحصه وبعد دقيقة تعوَّدت يداها علىٰ ملمس جلده. تحرَّك القليل من خصل شعره من مكانها وقامت بتمشيط شعره وإرجاعه كما كان وهي تحمله في يدها وتنظر إلىٰ وجهه المنكمش. كان فمه مائلًا قليلًا لأحد الأطراف، وكان ذلك الجزء المتبقي من ابتسامته يغطِّي القليل من منظره المرعب. بدأت تهزُّه قليلًا في يدها، وبدأ يظهر انعكاس خفيف لنفس الابتسامة علىٰ وجهها.

تمتمت قائلة: «أنا أعترف، أنت لطيف الشكل، أليس كذلك؟».

كان رأسه يتَّسع بالضبط في الفراغ علىٰ كتفها وسألت قائلة: «من هم أبوك وأمك؟».

خطرت إجابة في رأسها مباشرة وأصدرت صوتًا يشبه صوت نباح صغير وجلست مبتسمة وتعابير الرضا تظهر علىٰ عينيها.

قالت بعد برهة: «حسنًا! لنذهب ونسبب له صدمة».

كان هايز قد استيقظ فجأة عندما سمع صوت الباب يغلق بقوة خلف إينوخ إمري. عندما استيقظ ورأىٰ أنَّها لم تكن موجودة في الغرفة، نهض بنشاط وبدأ يلبس ثيابه. كان في باله فكرة قد خطرت له، مثل فكرة شراء السيارة، في أثناء نومه ومن دون أيِّ علم مسبق

Twitter: @ketab_n

بها. كان سينتقل إلىٰ مدينة أخرىٰ ويبشِّر لكنيسة اللا مسيح في مكان لم يسمعوا فيه بهذه الكنيسة من قبل. سيستأجر غرفة جديدة هناك وامرأة جديدة ويبدأ بداية جديدة بذهنٍ صافٍ. أتت إمكانية حدوث هذا الشيء من ميزة اقتنائه لسيارة؛ من ميزة امتلاك شيء يتنقل بسرعة، بشكل شخصي، إلىٰ المكان المراد الذهاب إليه. نظر للخارج نحو السيارة. كانت تقف عالية قوية في المطر. لم يكن يلاحظ المطر، كان يرىٰ السيارة فقط. لم يكن ليستطيع أن يقول إنَّه كان هناك مطر في حال سُئِلَ عن ذلك. كان مشحونًا بالطاقة، وتحرك من جانب النافذة، وأنهىٰ لبس ثيابه. في وقت مبكر من ذلك اليوم، عندما استيقظ للمرة الأولىٰ، كان يشعر كما لو كان سيصاب بمرض السل في صدره، كان يشعر بصدره فارغًا في الليل، وكان يشعر به كما لو كان صدره يتثاءب، وبقي يسمع صوت سعاله، كما لو كان آتيًا من مسافة بعيدة. ثم سقط بعدها في حفرة من النوم المُتعِب، ولكنَّه استيقظ بهذه الخطة وبالطاقة اللازمة لينفذها في الحال.

تناول حقيبته من تحت الطاولة، وبدأ يضع أغراضه فيها. لم يكن يملك الكثير، وكان ربع ما يمتلكه موجودًا في الحقيبة أصلًا. كانت يده ترتب الأغراض بحيث لا تلمس يده الإنجيل الذي كان موجودًا كالصخرة في قعر الحقيبة في السنين الأخيرة، ولكنَّه عندما كان يوَسِّع مكانًا لحذائه الثاني، لمست أصابعه غرضًا صغيرًا وقام بإخراجه. كانت علبة نظارات أمه. كان قد نسي أنه يملك نظارة.

Twitter: @ketab_n

قام بوضعها وعندها اقترب الحائط الذي كان أمامه وبدأ يتمايل. كانت هناك مرآة ذات إطار أبيض معلقة علىٰ ظهر الباب، قام بالسير نحوها ونظر إلىٰ نفسه. كان وجهه الضبابي أسودَ من كثرة الحماسة وكانت الخطوط علىٰ وجهه غائرة وملتوية. أعطته النظارات ذات الإطار الفضي نظرة شخص فطن، كأنَّها كانت تخفي بعضًا من الخطة المخادعة التي كانت ظاهرة علىٰ عينيه العاريتين. بدأ يطقطق أصابعه بشكل متوتر ونسي ما كان علىٰ وشك فعله. لقد رأىٰ وجه أمه في انعكاس صورته في المرآة. تراجع للخلف بسرعة ونزع النظارات ولكن الباب فتح ورأىٰ شخصين أمامه.

أحدهم قال: «نادني بأمي الآن». أمَّا الشخص الداكن الآخر فكان يبتسم كما لو كان يحاول التعرف علىٰ صديق قديم يحاول أن يقتله. وقف هايز من دون حراك وكانت إحدىٰ يديه ممسكة بحافة النظارة، وكانت الأخرىٰ مرفوعة في الهواء في مستوىٰ صدره. كان رأسه ممدودًا للأمام كما لو كان يحاول استخدام وجهه كله للرؤية. كان يبعد مسافة أربعة أقدام عنهم ولكنهم كانوا يبدون كأنهم تحت ناظريه.

قالت ساباث: «اسأل والدك إلىٰ أين كان سيهرب وهو مريض هكذا؟ اسأله إن كان ينوي أن يأخذنا معه؟».

اقتربت اليد التي كانت مرفوعة في الهواء من الوجه المنكمش، ولكنَّها لم تلمسه، ثم اقتربت مجددًا، ببطء، ولم تلمس شيئًا، ثم اقتلعته من يدها ورمته علىٰ الحائط. انفصل الرأس

Twitter: @ketab_n

عن الجسد وتناثرت الأوساخ التي بداخله مثل سحابة صغيرة من الغبار.

صرخت ساباث قائلة: «لقد حطمته! لقد كان ملكي!».

التقط هايز الجلد من علىٰ الأرض، وفتح الباب الخارجي الذي كانت تعتقد صاحبة البيت أنَّه يؤدي لمخرج الطوارئ، ورمىٰ ما كان يحمل بيده خارجًا. تطاير المطر علىٰ وجهه وتراجع للخلف ووقف، ينظر بحذر، كما لو كان يعِدُّ نفسه لتلقي صدمة.

صاحت قائلة: «لم يكن عليك أن ترميه خارجًا، كان من الممكن أن أصلحه!».

اقترب من الباب ووقف علىٰ حافته، وهو ينظر للضباب الرمادي المحيط به. كانت حبات المطر تتساقط علىٰ قبعته وتتناثر كأنَّها وقعت علىٰ قطعة من التنك.

قال صوت ساخط من خلفه: «لقد عرفت عندما قابلتك لأول مرة أنَّك رجل شرير ولئيم، عرفت أنَّك من ذلك النوع الذي لا يدع أحدًا يحصل علىٰ أي شيء، لقد عرفت أنَّك لئيم بما يكفي لتضرب طفلًا بعرض الحائط. لقد عرفت أنَّك لا تمرح، ولا تدع أحدًا يستمتع بوقته؛ لأنَّك لا تريد شيئًا سوىٰ يسوع!».

استدار ورفع يده بشكل عدواني، بشكل أفقد توازنه تقريبًا علىٰ حافة الباب. سقطت قطرات من المطر أمام نظارته وعلىٰ وجهه الشديد الأحمرار، وكانت قطرات المطر تتطاير هنا وهناك

Twitter: @ketab_n

بعد أن ترطتم بحافة قبعته. صرخ قائلًا: «لا أريد شيئًا سوىٰ الحقيقة! والذي ترينه هو الحقيقة ولقد رأيتها أنا!».

قالت: «المبشرون يتحدثون فقط، إلىٰ أين كنت تنوي أن تهرب؟».

صرخ قائلًا: «لقد رأيت الحقيقة الوحيدة الموجودة!».

«إلىٰ أين كنت تنوي أن تهرب؟».

قال بصوت مرتفع: «إلىٰ مدينة أخرىٰ، لأبشر بالحقيقة. كنيسة اللا مسيح! ولدي سيارة تستطيع أن توصلني إلىٰ هناك، لدي . . .».

ولكنَّه توقف بسبب السعال. لم يكن صوت سعال -كان صوتًا يشبه صوت صرخة صغيرة طالبة للنجدة من قعر واد ضيق-، ولكن اللون والتعابير تسربت من وجهه حتىٰ أصبح وجهه خاليًا من التعابير مثل حبات المطر التي كانت تتساقط عليه.

سألت قائلة: «ومتىٰ كنت تنوي الذهاب؟».

قال: «بعد أن أحصل علىٰ بعض النوم». ثم نزع نظارته ورماها من الباب.

قالت: «لن تحصل علىٰ أي قدر من النوم!».

Twitter: @ketab_n

الفصل الثاني عشر

لم يستطع إينوخ، بالرغم من نفسه، أن يتجاهل التوقع بأنَّ يسوع الجديد سيفعل شيئًا له مقابل خدماته. كانت هذه تمثل فضيلة الرجاء[1] عند إينوخ، والتي كانت مقسومة عنده إلىٰ قسمين: قسم من الشك، وقسم من الرغبة. لقد كانت تلك الفكرة تجول في خاطره طوال اليوم بعد أن ترك ساباث هاوكس. لم تكن لديه فكرة واضحة عن الجائزة التي كان يريدها، ولكنَّه لم يكن فتىٰ معدوم الطموح. كان يريد أن يصبح شخصًا ذا شأن. وكان يريد أن يتحسن حاله نحو الأفضل. كان يريد أن يصبح مثالًا للشاب العصري، مثل الأشخاص في إعلانات شركات التأمين. كان يريد أن يرىٰ في يوم ما طابورًا من الناس الراغبين في مصافحة يده.

أضاع كل اليوم في غرفته وهو يتململ ويعبث، كان يعض علىٰ أظافره ويقشر الباقي من الحرير من علىٰ مظلة صاحبة البيت حتىٰ نزع الحرير كله وكسر أضلاعها. لم يتبقَ سوىٰ عصا ذات طرف حديدي حاد علىٰ إحدىٰ جهتيها، ورأس كلب من الطرف

---

(١) الفضائل الإلهية الثلاث في الاعتقاد المسيحي هي: (الرجاء، والإيمان، والمحبة)، وهي تُدعىٰ إلهية؛ لأنَّها الأساس الذي تبنىٰ عليه علاقة الإنسان مع الرب.

Twitter: @ketab_n

الآخر. كانت تصلح لتكون أداة لنوع خاص من التعذيب من زمن قديم. مشىٰ إينوخ في غرفته ذهابًا وإيابًا، وكانت العصا تحت ذراعه، وانتبه أنَّها من الممكن أن تكون شيئًا يميزه، وهو يمشي في الشارع.

في الساعة السابعة مساءً، قام بارتداء معطفه وحمل عصاه واتجه نحو مطعم يبعد مسافة حارتين تقريبًا. راوده شعور بأنَّه سيحصل علىٰ بعض التكريم، ولكنَّه كان متوترًا جدًّا، كما لو كان خائفًا من أنَّه قد يكون مضطرًا لانتزاع ذلك التكريم بدلًا من الحصول عليه. لم يبادر نحو فعل شيء قبل أن يأكل أولًا. كان اسم المطعم (مطعم باريس)، كان علىٰ شكل نفق بعرض ستة أقدام تقريبًا، وكان موجودًا بين محل لمسح الأحذية، ومحل للتنظيف الجاف للألبسة. دخل إينوخ للمطعم، وجلس علىٰ مقعد مرتفع في آخر المطعم بجانب طاولة التقديم، وطلب طبقًا من حساء البازلاء وشراب الشيكولاتة المخلوط بالحليب والمثلجات.

كانت النادلة امرأة طويلة تملك تقويمًا أصفرَ للأسنان في فمها وترفع شعرها وتربطه داخل شبكة سوداء. عندما كانت تدون طلبه، كانت تضع إحدىٰ يديها علىٰ خصرها دائمًا، ودونت الطلب باليد الأخرىٰ. ومع أنَّ إينوخ كان يأتي للمكان كل يوم؛ فإنَّها لم تكن تشعر بالودِّ تجاهه أبدًا.

بدلًا من أن تعدَّ طلبه بدأت بقلي اللحم المقدد. لم يكن في المطعم إلَّا هو وزبون آخر انتهىٰ من طعامه، وكان يقرأ الجريدة.

Twitter: @ketab_n

لم يكن أحد ليأكل اللحم المقدد إلَّا هي.

مدَّ إينوخ يده من فوق الطاولة ووكزها بعصاه، وقال لها: «اسمعي! يجب أن أذهب. أنا في عجلة».

قالت: «اذهب إذن!». كانت تراقب المقلاة بانتباه تام.

قال: «أعطني قطعة من قالب الحلوىٰ هذا»، ثم أشار إلىٰ نصف قالب حلوىٰ ذي لون زهري وأصفر موضوع علىٰ قاعدة زجاجية.

ثم أكمل قائلًا: «هناك شيء عليَّ أن أفعله ... عليَّ أن أذهب ... ضعي القطعة بجانب ذلك الشخص هناك»، ثم أشار للشخص الذي يقرأ الجريدة. ثم قام من علىٰ الكرسي العالي، وبدأ يقرأ الطرف الخارجي من جريدة الرجل.

أخفض الرجل الجريدة ونظر إليه. ابتسم إينوخ. ثم رفع الرجل الجريدة مرة أخرىٰ.

سأله إينوخ قائلًا: «هل أستطيع استعارة الجزء الذي لا تقرأه من جريدتك؟».

أخفض الرجل جريدته مجددًا وحدق فيها. كانت عيناه عميقتين ولا ترمشان. قام بنزع الجزء المخصص بالرسوم الكرتونية، وأعطاه لإينوخ. كان هذا الجزء المفضل لإينوخ. كان يقرأها كل ليلة كما لو كانت عملًا. بينما كان يأكل قطعة الحلوىٰ التي رمتها له النادلة من فوق الطاولة، كان يقرأ الجريدة وكان يشعر

Twitter: @ketab_n

بأنَّه مملوء بالطيبة والشجاعة والقوة.

عندما انتهىٰ من الطرف الأول، قلب الجريدة وبدأ يبحث بين إعلانات الأفلام، التي كانت موجودة علىٰ الطرف الآخر. فمرت عيناه عبر ثلاثة أعمدة دون توقف، ثم أتت علىٰ صندوق فيه إعلان لجونجو، ملك الغابة العملاق، كان الإعلان يسرد صالات العرض التي سيزورها في جولته وساعة تواجده في كل واحدة منها. خلال ثلاثين دقيقة كان سيصل جونجو إلىٰ صالة (فيكتوري) في شارع رقم (٥٧)، وسيكون هذا آخر ظهور له في المدينة.

لو كان أيُّ شخص قد رأىٰ إينوخ، وهو يقرأ هذا الإعلان، لكان قد لاحظ تغيرًا في ملامحه. كانت ملامحه ما تزال مشرقة بسبب الإلهام المستمد من القصص الكرتونية، ولكن شيئًا ما كان قد أتىٰ علىٰ ملامحه، كانت نظرة استفاقة.

استدارت النادلة لترىٰ إن كان قد رحل أم لا. وعندما رأت ملامحه قالت: «ماذا دهاك، هل ابتلعت بذرة شيء ما؟».

تمتم إينوخ قائلًا: «أنا أعرف ماذا أريد».

فقالت وتعلوها نظرة قاتمة: «وأنا أعلم ما أريد أيضًا».

تحسس إينوخ باحثًا عن عصاه، ثم وضع نقوده علىٰ الطاولة، وقال: «علي أن أذهب».

قالت: «لا تدعني أقف في طريقك».

قال: «قد لا ترينني مجددًا - بوضعي الحالي».

Twitter: @ketab_n

قالت: «أنا موافقة علىٰ أي وضع لا أراك فيه».

ذهب إينوخ. كانت ليلة رطبة جميلة. وكانت برك الماء الموجودة علىٰ الرصيف مضيئة، وكان أثر الضباب واضحًا علىٰ واجهات وشبابيك المحلات التي كانت ممتلئة بالبضائع. اختفىٰ وهو يمشي في الشارع، وشق طريقه بسرعة بين أزقة المدينة المظلمة. كان يقف مرة أو مرتين في نهاية الزقاق لينظر في كل الاتجاهات قبل أن يتابع الركض في أحدها. كانت (فيكتوري) صالة عرض صغيرة، غالبًا ما كانت تذهب إليها العائلات. عبر إينوخ مجموعة من الحارات المضيئة، ثم مر عبر بعض الأزقة والشوارع الخلفية، حتىٰ أتىٰ علىٰ قسم للمحال التجارية. عندها أبطأ سرعته، ورأىٰ الصالة علىٰ بعد قُرابة حارة منه، كانت تلمع من بعيد في وسط الظلام. لم يعبر لطرف الشارع الذي كانت الصالة موجودة فيه، بل تابع سيره باتجاه بقعة مضيئة أمامه. توقف أمام الصالة مباشرة واختبأ خلف درج أحد المباني المواجهة للصالة.

كانت الشاحنة التي تحمل جونجو واقفة في الجهة المقابلة من الشارع وكان جونجو يقف علىٰ المسرح يصافح امرأة كبيرة في السن. ثم تنحت المرأة جانبًا، وتقدَّم رجل يلبس قميصًا بأكمام قصيرة وصافح يده بعنف، كما يفعل الرياضيون. وتبعه طفل في الثالثة من عمره يلبس قبعة رعاة بقر كانت تغطي وجهه تقريبًا. راقب إينوخ لبعض الوقت، كانت الغيرة ظاهرة علىٰ وجهه. ثم تبع الطفل الصغير سيدة تلبس سروالًا قصيرًا، ثم تبعها رجل كبير في

Twitter: @ketab_n

السن كان يحاول أن يجذب بعض الانتباه لنفسه، فكان يرقص بدلًا من أن يمشي بطريقة محترمة. انطلق إينوخ راكضًا فجأة عبر الشارع ودخل في باب الشاحنة الخلفي المفتوح دون أن يحدث صوتًا.

ظلَّت عملية المصافحة مستمرة إلىٰ أن أوشك وقت عرض الفيلم. عندها عاد جونجو إلىٰ الشاحنة ودخل الناس إلىٰ صالة العرض. صعد السائق والشخص المسؤول عن تنظيم الاحتفال إلىٰ الجزء الأمامي من الشاحنة ثم تحركت الشاحنة، وعبرت المدينة بسرعة وأكملت طريقها مستخدمة الطريق السريع، كانت مسرعة جدًّا.

بعد ذلك صدر من الشاحنة بعض الأصوات الغريبة، لم تكن أصوات الغوريلا العادية، كانت تلك الأصوات محجوبة بصوت المحرك والأصوات القادمة من الشارع. كانت الليلة باهتة وهادئة، ولم يعكر صوت السكون شيء إلَّا بعض الاعتراضات الصادرة أحيانًا من البوم أو الصوت البعيد لقرقعة قطار الشحن. كانت الشاحنة تمشي بسرعة، حتىٰ أبطأت سرعتها عندما وصلت إلىٰ تقاطع للسكة الحديدية، وبينما كانت الشاحنة تعبر فوق قضبان السكة، انسلَّ جسم من الباب الخلفي وكاد أن يقع، ثم هرب مسرعًا نحو الغابة.

عندما أصبح في عمق الغابة محاطًا بأشجار الصنوبر، وضع العصا ذات الطرف الحاد جانبًا ووضع شيئًا كبيرًا رخوًا كان يحمله تحت ذراعه علىٰ الأرض، وبدأ بنزع ثيابه. كان يطوي كل قطعة

Twitter: @ketab_n

ثياب بشكل متقن ويضعها فوق القطعة التي نزعها قبلها. وعندما أصبحت كل ثيابه مصفوفة فوق بعضها البعض، أخذ العصا وبدأ يحفر حفرة في الأرض.

كسرت بعض أشعة القمر الشاحبة ظلمة ليل غابة الصنوبر، وسلَّطت بعض الحزم حوله هنا وهناك وأظهرت أنه كان إينوخ. كان منظره الطبيعي مشوهًا بسبب جرح عميق كان يمتد من طرف شفته إلىٰ عظمة الترقوة (العظمة الواصلة بين الصدر والكتف)، وبسبب آثار كدمة تحت عينه كانت تعطيه شكل إنسان متلبد المشاعر. ولكن لم يكن هناك شيء أبعد من الحقيقة من هذا التصور؛ لأنَّه كان يحترق من فرط سعادته.

بدأ الحفر بسرعة وصنع حفرة بعمق وبطول قدم تقريبًا. ثم وضع كومة الثياب فيها ووقف جانبًا لبرهة ليستريح. دفنه لثيابه لم يكن كناية عن دفنه لشخصيته السابقة، لقد كان يعرف فقط أنه لن يحتاج لثيابه بعد الآن. بمجرد أن التقط أنفاسه، دفع التراب المتراكم بجانب الحفرة فوق الثياب ودعس عليه بقدمه. اكتشف بعد أن فعل ذلك أنه كان ما يزال يلبس حذاءه. عندما انتهىٰ من طمر الحفرة، نزع حذاءه ورماه. ثم أمسك بذلك الغرض الكبير الرخو وهزَّه بشكل عنيف.

في وجود ذلك الضوء الخافت، كان بالإمكان رؤية قدميه البيضاوتين النحيلتين تختفيان الواحدة تلو الأخرىٰ، ثم اختفت ذراعه الأولىٰ ثم الثانية. استبدل جسم أسود كبير أشعث جسمه

Twitter: @ketab_n

الأصلي. لبرهة كان يبدو وكأنَّ له رأسين. واحد أسود والآخر أبيض، وبعد برهة، دخل الرأس الأسود فوق الآخر. وانشغل لفترة بعقد بعض الأربطة وتعديل وضعية جلده الجديد ليناسبه أكثر.

ثم لفترة من الزمن بعد ذلك، وقف بسكون تام دون أن يأتي بأية حركة. ثم بدأ بالهدير وأخذ يضرب صدره. بدأ يقفز للأعلىٰ والأسفل واندفع للأمام ملوحًا بيديه. كانت صيحاته ضعيفة وغير واثقة في البداية ولكنها أصبحت أعلىٰ بعد ذلك. ثم أصبحت منخفضة وشريرة، ثم عالية مجددًا، ثم منخفضة وشريرة مجددًا. ثم توقفت صيحاته تمامًا. مدَّ الجسم يديه، غير ممسك بشيء، وهزَّها بعنف. ثم أرجع يده، ثم مدَّها مجددًا، غير ممسك بشيء، وهزَّها. أعاد ذلك أربع أو خمس مرات. ثم أمسك بالعصا الحديدية ذات الطرف الحاد ووضعها بزاوية مائلة تحت ذراعه واتجه نحو الطريق السريع. لم تكن هناك غوريلا في الوجود، سواء كانت في إفريقيا أو في ولاية كاليفورنيا أو في أحسن شقَّة في العالم في مدينة نيويورك، أسعد في تلك اللحظة من تلك الغوريلا، التي كافأها ربُّها أخيرًا.

كان هناك رجل وامرأة يجلسان علىٰ صخرة بجانب الطريق السريع، وينظران علىٰ امتداد الوادي إلىٰ المدينة غير أنَّهما لم يتفطّنا لاقتراب الجسم الأشعث منهم. كانت المداخن وأسطح المباني المربعة الشكل تشكِّل حائطًا أسودَ غير مستوٍ أمام السماء المضيئة قليلًا. وهنا وهناك، كانت القبب تقتطع جزءًا من السحب

Twitter: @ketab_n

الموجودة في السماء. أدار الفتىٰ عنقه في الوقت المناسب ليرىٰ الغوريلا تقف علىٰ بعد بضعة أقدام منه، كانت بشعة وسوداء وكانت يدها ممدودة. رفع الفتىٰ يده من حول الفتاة وهرب دون إحداث صوت نحو الغابة واختفىٰ داخلها. وبمجرد أن أدارت الفتاة عينيها، بدأت بالهرب وهي تصرخ نحو الطريق السريع. وقفت الغوريلا مستغربة وكانت يدها الآن بجانبها. فجلست علىٰ الصخرة التي كانا يجلسان عليها وحدقت نحو الخطّ غير المستوي الذي كان بين حائط المباني وبين السماء.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الثالث عشر

في الليلة الثانية من ليالي عمله مع رسوله المستأجر، وكنيسة اللا مسيح المقدسة، حصَّل هوفر شوتس ربحًا بقيمة: (خمسة عشر دولارًا، وخمسة وثلاثين سنتًا). كان الرسول يحصل علىٰ ثلاثة دولارات في الليلة لقاء خدماته، ولقاء استخدام سيارته المستعملة. كان اسمه سولاس لايفيلد، كان يعاني من السل، وكان لديه زوجة وست أطفال، وكان أقصىٰ ما يريد أن يفعله أن يكون رسولًا. لم يخطر له أبدًا أنَّه من الممكن أن يكون ذلك العمل خطيرًا. في الليلة الثانية، لم ينتبه لوجود سيارة عالية لونها كلون الفئران تقف علىٰ مسافة نصف حارة منه، وكان داخلها وجه شخص أبيض، وكان ينظر إليه بنظرة حادَّة مفادها أن شيئًا ما سيحدث ولن يستطيع شيء منع حدوث ذلك.

ظلَّ ذلك الوجه يراقبه لمدة ساعة تقريبًا بينما كان يمثِّل دوره وهو واقف علىٰ غطاء محرك السيارة، كلَّما كان يرفع شوتس يده مشيرًا إليه بإصبعين. عندما انتهىٰ آخر عرض في دار العرض ولم يعد هناك ناس ليبشروا لهم، دفع هوفر للرسول ماله وركب الاثنان في السيارة ورحلا. ساروا بالسيارة مسافة عشر حارات إلىٰ محل

Twitter: @ketab_n

سكن هوفر. توقفت السيارة وخرج هوفر من السيارة وقال: «أراك غدًا مساء يا صديقي»، ثم دخل في مدخل بيت داكن اللون وقاد سولاس لايفيلد السيارة مبتعدًا.

كانت السيارة الأخرىٰ ذات اللون الذي يشبه لون الفئران تسير خلفه علىٰ بعد مسافة نصف حارة تقريبًا. وكان السائق هو هايز موتس.

زادت كلتا السيارتين من سرعتهما وخلال دقائق كانتا تتجهان نحو ضواحي المدينة. انحرفت السيارة الأولىٰ نحو طريق فرعي، حيث كانت الأشجار مغطاة بالطحالب وكان الضوء الوحيد قادمًا من مصابيح السيارتين. قام هايز بتقصير المسافة بين السيارتين بشكل تدريجي، ثم قام بزيادة سرعة المحرك فجأة واصطدم بالسيارة الأخرىٰ من الخلف. ثم توقفت السيارتان.

قام هايز بركن سيارته علىٰ جانب الطريق، بينما خرج الرسول من سيارته وكان يغمض عينيه نصف إغماضة؛ لأن ضوء مصباح سيارة هايز كان موجهًا نحوه. بعد برهة، تقدم نحو شباك سيارة هايز ونظر داخلها. لم يكن هناك صوت في المكان إلَّا الصوت الصادر من صراصير الليل والضفادع الموجودة علىٰ الأشجار.

قال بصوت مليء بالتوتر: «ماذا تريد؟».

لم يجبه هايز، كان ينظر إليه فقط. ثم ارتخىٰ فم الرجل وانتبه إلىٰ الشبه بين ملابسهما وحتىٰ بين شكليهما.

Twitter: @ketab_n

قال بصوت مرتفع: «ماذا تريد؟! أنا لم أفعل لك شيئًا!».

قام هايز بتشغيل المحرك وانطلق بالسيارة للأمام. في هذه المرة اصطدم بالسيارة بزاوية معينة أدت إلىٰ أن تنقلب السيارة علىٰ جنب الطريق ومنه انقلبت في خندق.

نهض الرجل من المكان الذي سقط فيه وركض نحو شباك السيارة ووقف علىٰ بعد أربعة أقدام من منها ونظر للداخل.

قال هايز: «لماذا تبقي شيئًا كهذا في الشارع؟!».

فأجاب الرجل: «لم يكن هناك عطل في السيارة، لماذا رميتها نحو الخندق هكذا؟».

- انزع قبعتك.

قال الرجل وهو يسعل: «استمع يا هذا، ماذا تريد؟ توقف عن النظر إلي. قل ماذا تريد».

- أنت مزيف، لماذا تقف علىٰ السيارة وتقول إنَّك لا تؤمن بالشيء الذي تؤمن به؟

- وما شأنك أنت؟ ما دخلك أنت بما أفعل؟ علىٰ الرجل أن يعتني بنفسه.

- أنت مزيف، أنت تؤمن بيسوع!

- وما شأنك أنت؟ لماذا رميت سيارتي عن الطريق؟

- انزع تلك القبعة وتلك السترة!

- اسمع! أنا لست أحاول السخرية منك. هو اشترىٰ لي هذا

Twitter: @ketab_n

السترة. لقد تخلصت من بقية ستري.

مدَّ هايز يده وأطاح بالقبعة من علىٰ رأس الرجل، وقال: «وانزع هذه السترة!».

بدأ يمشي باتجاه جانب الطريق.

صرخ هايز قائلًا: «انزع تلك السترة!».

ثم قاد السيارة باتجاهه. بدأ سولاس عندها يمشي ويقفز وهو ينزع معطفه.

فصرخ هايز قائلًا: «انزع كل ثيابك»، وكان وجهه بجانب الزجاج الأمامي للسيارة.

بدأ الرسول عندها بالركض بشكل جدي. فمزّق قميصه وهو يخلعه وفكَّ حزام بنطاله وركض نازعًا إياه، ثم بدأ يمد يده تجاه حذائه كما لو كان يريد أن ينزعه أيضًا، ولكن قبل أن يستطيع أن يصل إليه، اصطدمت به سيارة هايز ودهسه. قاد هايز عشرين قدمًا إضافيًا ثم أوقف السيارة وقاد للوراء ودهسه مرة أخرىٰ. ثم أوقف السيارة وخرج منها. كانت السيارة ما زالت تقف علىٰ نصف الجثة بفخر كما لو كانت سعيدة أن تحرس ما اصطادته أخيرًا.

لم يكن الرجل يشبه هايز كثيرًا وهو ممدد علىٰ وجهه، ومن دون أن يلبس القبعة والسترة. لقد خرج منه الكثير من الدم بحيث شكّل بركة صغيرة حول رأسه. لم يكن يتحرك أي عضو منه ما عدا إصبعًا واحدا كان يتحرك للأعلىٰ وللأسفل أمام وجهه كما لو كان

Twitter: @ketab_n

يستخدمه ليحدد كم مرَّ من الوقت. وكزه هايز بطرف حذائه وصدر منه صوت أنين لثانية ثم سكت.

قال هايز: «شيئان لا أستطيع تحملهما. شخص مزيف وشخص يسخر من شخص حقيقي. كان عليك ألا تعبث معي أبدًا إن لن تكن تريد أن يحدث لك ما حدث».

كان الرجل يحاول أن يقول شيئًا ولكن لم يخرج منه سوىٰ الأنين. فأنزل هايز رأسه إلىٰ جانب وجهه حتىٰ يستمع له. **قال الرجل وهو يغرغر:** «تسببت بالكثير من المشاكل لأمي. لا تجعلها ترتاح أبدًا. لقد سرقت تلك السيارة ولم أخبر أبي بالحقيقة أبدًا ولم أعط هنري . . .».

قال هايز: «اخرس»، ثم اقترب أكثر منه حتىٰ يستمع لاعترافه.

- بُحت بمكان وجوده وحصلت علىٰ خمسة دولارات لقاء ذلك.

- اخرس الآن!

- يا يسوع . . . !

- اخرس كما قلت لك!

فقال الرجل وهو يئن: «ساعدني يا يسوع . . . !».

صفعه هايز علىٰ مؤخرة رأسه، فسكت الرجل عندها. ثم أنزل رأسه ليسمع إن كان سيقول شيئًا آخر ولكنَّه لم يكن يتنفس.

Twitter: @ketab_n

فاستدار هايز وتفحص مقدمة السيارة ليرىٰ إن كانت قد تضررت. كان الصادم الأمامي ملطخًا ببعض بقع الدم. وقبل أن يركب السيارة ويعود للمدينة، قام بمسح مقدمة السيارة بخرقة.

في الصباح الباكر من اليوم التالي، ركب هايز السيارة وقادها إلىٰ محطة للوقود؛ ليملأ خزَّانها بالوقود ويفحصها قبل رحلته القادمة. لم يعد لغرفته في الليلة السابقة ولكنه أمضىٰ الليلة في السيارة في أحد الأزقَّة. لم يكن نائمًا، ولكنَّه كان يفكر بالحياة الجديدة التي كان سيبدأها مبشِّرًا لكنيسة اللا مسيح في المدينة الجديدة.

في محطة الوقود، خرج فتىٰ أبيض يظهر عليه علامات النعاس ليقوم بخدمته. أخبره هايز بأن يملأ خزان الوقود، وأن يفحص عدَّادي الماء والزيت، وأن يفحص مستوىٰ الهواء في الإطارات؛ لأنه سيقوم برحلة طويلة. سأله الفتىٰ أين سيذهب، فأخبره بأنَّه ذاهب إلىٰ مدينة أخرىٰ. فسأله الفتىٰ إن كان ينوي الذهاب لتلك المدينة بهذه السيارة، فأجابه: أن نعم. نقر هايز الفتىٰ في مقدمة قميصه بإصبعه وقال له أن ليس علىٰ أحد يمتلك سيارة جيدة أن يقلق حيال أي شيء، ثم سأل الفتىٰ إن كان قد فهم ذلك. فأخبره الفتىٰ بأنَّه قد فهم ذلك، وأنَّه يشاركه الرأي أيضًا. قام هايز بتقديم نفسه، وأخبره بأنَّه مبشِّر لكنيسة اللا مسيح، وأنَّه يبشِّر كل ليلة من فوق غطاء محرك هذه السيارة. شرح له أنَّه ذاهب إلىٰ مدينة أخرىٰ ليبشِّر هناك. قام الفتىٰ بملء خزان الوقود وفحص

Twitter: @ketab_n

عدَّادي الماء والزيت وفحص الإطارات، وبينما كان يعمل، كان هايز يتبعه ويخبره بما عليه أن يؤمنَ به.

قال بأنَّه ليس من الصواب أن يؤمن المرء بما لا يستطيع لمسه أو رؤيته أو فحصه بأسنانه. قال بأنَّه قبل بضعة أيام كان يؤمن بأن الكفر هو الطريق الوحيد للخلاص، ولكن من الخطأ أن يؤمن المرء بذلك؛ لأنَّه بهذه الحالة يجب أن يكون مؤمنًا بشيء حتىٰ يكفر به. أمَّا بخصوص يسوع الذي وُلد في بيت لحم وصلب في جلجثة[1]؛ لأجل خطايا بني آدم، يقول هايز إن هذا فكرٌ أفسَدُ من أن يحمله المرء في رأسه، ثم حمل دلو الفتىٰ وضربه بالأرض ليشدِّد علىٰ ما يقول.

ثم بدأ بشتم يسوع، والكفر به بشكلٍ قاس، ولكنَّه كان مقنعًا لدرجة أنَّ الفتىٰ توقف عن العمل كي يستمع له. عندما انتهىٰ الفتىٰ من فحص السيارة، أخبره بأنَّ خزان الوقود فيه مكان تسريب، وأنَّ المبرِّد فيه مكان تسريب، وأنَّ الإطار الخلفي قد يعمِّر معه مسافة عشرين ميلا إذا قاد ببطء.

قال هايز: «اسمع، هذا السيارة قد بدأت حياتها للتو. لا تستطيع صاعقة أن توقفها!».

---

(١) (جلجثة): هو اسم يُشير إلىٰ مكان يقع خارج مدينة القدس القديمة، يعتقد بحسب الإنجيل أنَّ يسوع صُلب عنده. تعود تسمية هذه المنطقة إلىٰ الآرامية (جاجولثا) بمعنىٰ: موقع الجمجمة.

Twitter: @ketab_n

فأجاب الفتىٰ: «لا فائدة من وضع الماء فيها؛ لأنَّها لن تحتفظ به».

قال هايز: «ضع فيها الماء علىٰ كل حال». ثم وقف مكانه وراقب الفتىٰ بينما كان يضع الماء فيها. ثم أخذ منه خريطة للطريق وقاد مبتعدًا، تاركًا وراءه بقعًا من الماء والزيت والوقود علىٰ الطريق.

قاد بسرعة نحو الطريق السريع، ولكنَّه بعد أن قطع عدة أميال، أصابه إحساس أنَّه لم يكن يقطع مسافة مجدية بسرعة كافية. كانت الأكشاك ومحطات الوقود وعلامات الطريق السريع رقم (٦٦٦) تمرُّ مسرعة بجانبه، وكان يوجد إسطبلات مهجورة عليها إعلانات شركة (CCC) للسُّعوط.

وحتىٰ إنَّه رأىٰ إعلانًا يقول: **(يسوع مات من أجلك!)**.

ولكنَّه لم يقرأه عمدًا. كان يشعر بأنَّ الطريق كان ينزلق للخلف من تحته. كان يعلم أنَّه قد عبر ريف المدينة، ولكنَّه لم يكن يعلم أنَّه لا توجد مدينة أخرىٰ.

لم يسر مسافة خمسة أميال علىٰ الطريق السريع قبل أن يسمع صافرة إنذار وراءه. نظر حوله ورأىٰ سيارة شرطة سوداء تقترب منه. سارت بجانبه وأشار له الشرطي أن يقف علىٰ جانب الطريق. كان رجل الشرطة يملك وجهًا لطيفًا مائلًا للحمرة وعينين بلون الثلج الصافي.

Twitter: @ketab_n

قال هايز: «لم أكن مسرعًا!».

فأجاب الشرطي موافقًا: «لا؛ لم تكن . . .».

«كنت أقود في الجانب الصحيح من الطريق».

«نعم؛ هذا صحيح . . .».

«ماذا تريد مني إذن؟».

«لم يعجبني شكلك فقط. أين رخصة قيادتك؟».

«أنا لم يعجبني شكلك أيضًا، ولست أملك رخصة قيادة».

قال الشرطي بصوت لطيف: «حسنًا؛ لا أعتقد أنَّ حضرتك تحتاج إلىٰ واحدة».

قال هايز: «حسنًا؛ أنا لا أملك واحدة علىٰ كل حال».

قال الشرطي بنبرة مختلفة: «اسمع! هل تمانع أن تقود سيارتك إلىٰ قمة التلة التالية؟ أريدك أن ترىٰ المنظر من هناك. إنَّه أجمل منظر رأيته في حياتك».

استهجن هايز الأمر، ولكنه شغَّل السيارة. لم يمانع أن يصارع الشرطي إن كان هذا ما يريده. فقاد إلىٰ قمة التلة، وكانت سيارة الشرطة خلفه مباشرة.

قال له الشرطي: «الآن استدر وواجه السد، ستتمكن من رؤية المنظر بشكل أفضل هكذا».

استدار هايز بالسيارة في مواجهة السد.

Twitter: @ketab_n

وقال له الشرطي: «ربما عليك أن تخرج من السيارة، أعتقد أنَّك ستتمكن من الرؤية بشكل أفضل وأنت خارج السيارة».

خرج هايز من السيارة وحدَّق في المشهد. كان السد ينحدر لمسافة ثلاثين قدمًا للأسفل، وكان مصنوعًا من الصلصال الأحمر، وكان يطلُّ علىٰ مرج محروق جزئيًا فيه بقرة جالسة بجانب بركة صغيرة. وفي وسط المشهد كان هناك كوخ مكون من غرفة واحدة وكان يقف علىٰ سطحه صقر حانٍ كتفيه للأعلىٰ.

وقف الشرطي خلف سيارة هايز ودفعها من فوق السد وقفزت البقرة من مكانها وركضت هاربة عبر المرج باتجاه الغابة. ركضت البقرة كما لو كانت ترفرف بجناحيها واختبأت خلف إحدىٰ الأشجار. هبطت السيارة علىٰ سقفها، وبقيت ثلاثة إطارات معلقة فيها، وكانت تلك الإطارات تدور. وقد انخلع المحرك من مكانه وتدحرج لمسافة بجانب السيارة ومعه بعض القطع المتفرقة التي كانت مفرطعة هنا وهناك.

قال الشرطي وهو ينفض الغبار عن يديه: «الذي لا يملك سيارة، لا يحتاج لرخصة قيادة».

وقف هايز بضع دقائق وهو ينظر إلىٰ المشهد. كان يبدو علىٰ وجهه أنه يبصر المسافة الممتدة عبر المرج وإلىٰ ما بعده، كل المسافة التي كانت تمتد من عينيه إلىٰ السماء الرمادية الممتدة لأعماق وأعماق، الممتدة إلىٰ الفضاء. انحنت ركبتاه من تحته وجلس علىٰ حافة السد وقدماه متدليتان من عليه.

Twitter: @ketab_n

وقف الشرطي ينظر إليه وقال: «هل أستطيع أن أُقلّك إلىٰ وجهتك؟».

بعد دقيقة اقترب منه، وقال: «أين كانت وجهتك؟».

انحنىٰ الشرطي للأسفل ووضع يده علىٰ كتف هايز وقال بتلهف: «لم تكن مخطّطًا أن تذهب لأي مكان؟!».

هزَّ هايز رأسه. لم تتغير ملامح وجهه ولم يلتفت باتجاه الشرطي. كان يبدو أنَّه مركِّزٌ في النظر إلىٰ الفضاء. نهض الشرطي وعاد لسيارته ووقف بجانب بابها ينظر إلىٰ مؤخرة قبعة وكتف هايز.

ثم قال: «حسنًا؛ أراك لاحقًا»، ثم ركب فيها ورحل.

بعد برهة وقف هايز وبدأ في السّير عائدًا إلىٰ المدينة. أخذ منه طريق العودة إلىٰ المدينة مجددًا ثلاث ساعات. توقف عند متجر لبيع الأدوات واشترىٰ دلوًا من التنك وكيسًا من الجير ثم عاد لمكان سكنه وهو يحمل هذه الأغراض. عندما وصل للبيت، توقف خارجًا علىٰ الرصيف وفتح كيس الجير وعبَّأ نصفه في الدلو. ثم ذهب إلىٰ صنبور ماء بجانب الدرج الأمامي وملأ بقية الدلو بالماء وصعد الدرج. كانت صاحبة البيت تجلس علىٰ الشرفة الأمامية وهي تهدهد قطة في حضنها.

قالت له: «ماذا ستفعل بهذا يا سيد موتس؟».

قال هايز: «سأعمي نفسي»، ودخل للمنزل.

جلست صاحبة البيت في مكانها لفترة أطول. لم تكن من ذاك

Twitter: @ketab_n

النوع من النساء اللَّاتي يشعرن بأنَّه يوجد كلمة أقسىٰ من الأخرىٰ. كانت تأخذ كل كلمة بمعناها الحرفي ولكن كانت كل المعاني متشابهة بالنسبة إليها. وعلىٰ الرغم من ذلك، بدلًا من أن تعمي نفسها إذ كانت تشعر بالأسىٰ لتلك الدرجة، كانت لتقتل نفسها وكانت تستغرب لماذا لا يفعل أحد ذلك. كانت ببساطة ستضع رأسها في الفرن أو ربما تبتلع عددًا كبيرًا من الحبوب المنومة وتنتهي من الأمر. ربما كان السيد موتس يتصرف بفظاظة فقط. ما هو السبب الذي يمكن أن يجعل شخصًا يريد أن يتخلص من بصره؟ امرأة مثلها، ذات بصر سليم، لا تستطيع أن تتحمل أن تكون كفيفة ليوم واحد. لو كان عليها أن تكون كفيفة لكانت تفضل أن تكون ميتة. ثم خطر لها أنها لو كانت ميتة لكانت ستصبح كفيفة أيضًا. نظرت أمامها بحدَّة، كانت تلك أول مرة تواجه فيها تلك الحقيقة. تذكَّرت مقولة (الموت الأبدي) التي يستخدمها المبشرون، ثم أخرجت تلك الفكرة من رأسها مباشرة، دون أن تتغير معالم وجهها. لم تكن تلك إنسانة متديِّنة ولم تكن تشكر النجوم كل يوم. ولكنَّها كانت تصدق أي شخص يملك تلك النزعة الدينية بأن يفعل أيَّ شيء، وكان السيد موتس أحد هؤلاء الأشخاص ولولا ذلك لما كان مبشرًا. قد يضع الجير علىٰ عينيه ولم تكن لتشكَّ بكلامه أبدًا؛ لأن كل هؤلاء الأشخاص، وكانت تلك حقيقة غير معلومة للجميع، يعانون من خلل في رؤوسهم. ما هو السبب الذي يمكن أن يجعل شخصًا عاقلًا لا يريد أن يستمتع بحياته؟

لم تكن تعرف الإجابة أبدًا.

Twitter: @ketab_n

الفصل الرابع عشر

نعم لم تكن تعرف الإجابة أبدًا. ولكنَّها أبقت ذلك السؤال في بالها؛ لأنَّه بعد أن فعل ذلك، بقي يسكن في بيتها وكل يوم كان منظره يذكرها السؤال نفسه. أخبرته في البداية أنَّه لا يستطيع البقاء؛ لأنَّه لا يلبس نظارات سوداء، وأنَّها لم تكن تحب النظر إلىٰ التشوه الذي سببه لعينيه. علىٰ الأقل لم تكن تظنُّ أنَّها تُحبُّ ذلك. إن لم تُبقِ تفكيرها مُنصبًّا علىٰ شيء آخر عندما يكون بقربها؛ فإنَّها كانت ستجد نفسها تميل باتجاهه وتنظر إلىٰ وجهه كما لو كانت تتوقع أن ترىٰ شيئًا لم تره من قبل. كان ذلك يزعجها، ويعطيها الإحساس بأنَّه كان يغشُّها بشكل خفي.

كان يجلس علىٰ شرفتها الأمامية لفترة كبيرة من كل ظهيرة، ولكن الجلوس معه كان كالجلوس وحدك. لم يكن يتحدث إلَّا عندما يحلو له ذلك. تسأله سؤالًا في الصباح، وقد يُجيبك بعد الظهيرة، أو ربما لا يُجيب أبدًا. لقد عرض عليها أن يدفع لها المزيد من المال لقاء أن تسمح له بالبقاء في غرفته؛ لأنَّه كان يعلم طريقه من وإلىٰ الغرفة، فقررت أن تدعه يبقىٰ، علىٰ الأقل حتىٰ تعرف كيفية خداعه لها.

Twitter: @ketab_n

كان يحصل علىٰ المال من الحكومة كل شهر لقاء شيء حدث لأحد أعضائه الداخلية، فلم يكن عليه أن يعمل. كانت صاحبة البيت مندهشة دائمًا من قدرته علىٰ الدفع. عندما كانت تجد مصدرًا للدخل، كانت تتعقبه حتىٰ مصدره، ثم لم تكن قادرة علىٰ التمييز بينه وبين مصدر دخلها. كانت تشعر أنَّ الضرائب التي كانت تدفعها كانت تعود إلىٰ كل الأماكن التي لا قيمة لها في العالم، وأنَّ الحكومة لم تكن فقط تدفعها للزنوج والعرب، ولكنَّها كانت تضيعها علىٰ كل مُغفَّلٍ أعمىٰ يجلس في بيته يستطيع أن يوقع علىٰ بطاقة. كانت تشعر أنَّ من حقِّها أن تسترجع أيَّ شيء تستطيع استرجاعه، لو كان مالًا أو أيَّ شيء آخر. كما لو كانت تملك الأرض في السابق، وتم سلبها منها. لم تكن تستطيع النظر لأي شيء باعتدال دون أن تشتهيه، وكان أكثر ما يثيرها هو فكرة أن يوجد شيء ثمين مخبَّأ بجانبها، شيء لا تستطيع أن تراه.

بالنسبة إليها، كان الرجل الأعمىٰ يملك نظرة تدل علىٰ أنَّه قادر علىٰ أن يرىٰ شيئًا ما. كان وجهه يحمل نظرة مندفعة مميزة، كما لو كان مندفعًا وراء شيء يستطيع هو فقط أن يميزه. حتىٰ عندما كان يجلس دون حراك علىٰ الكرسي، كان وجهه يحمل نظرة تشير أنَّه مندفع نحو شيء ما. لكنَّها كانت علىٰ علم أنَّه كفيف تمامًا. لقد تأكدت من ذلك تمامًا بمجرد أن نزع الخرقة التي كان يستخدمها كضمادة علىٰ عينيه. نظرت إليه بتمعن حينها وكان ذلك كافيًا لها كي تتأكد أنَّه فعل ما قال إنَّه سيفعله. بالنسبة إلىٰ بقية القاطنين في

Twitter: @ketab_n

البيت، فقد كانوا يمرون بجانبه وهم يمشون علىٰ رؤوس أصابعهم بعد أن قام بنزع الخرقة، وينظرون إليه بقدر ما يستطيعون، ولكنَّهم الآن أصبحوا لا يُعيرُونَه أي اهتمام. حتىٰ إنَّ بعض القاطنين الجدد لم يكونوا يعرفوا أنَّه قد فعل ذلك لنفسه. كانت ابنة هاوكس قد نشرت الأمر حول البيت بمجرد أن حدث. حيث راقبته، وهو يفعل ذلك، ثم ذهبت لجميع الغرف، وهي تصرخ بما حدث، وعندها أتىٰ كل القاطنين وهم يركضون. كانت صاحبة المنزل تشعر أنَّ تلك الفتاة هي (هاربي)[1]، وأنَّه لو كان ذلك المخلوق حقيقيًّا لكانت هي. بقيت تهتم به لبضعة أيام، ثم رحلت. قالت إنَّها اعتمدت علىٰ رجل كفيف غير صادق لا يؤمن بيسوع، وإنَّها كانت مشتاقة لأبيها الذي كان قد رحل وتركها علىٰ متن سفينة لنقل الموز. كانت صاحبة البيت تتمنَّىٰ أن يكون قد غرق في قاع البحر المالح. لقد كان متخلِّفًا عن دفع شهر من الأجرة. بعد أسبوعين طبعًا، رجعت ساباث وكانت علىٰ استعداد أن تهتم به. كان من الممكن سماع صوت صراخها عليه من علىٰ بعد حارة، وكان هو لا يفتح فمه أبدًا.

كانت صاحبة البيت تدير البيت وفقًا لنظام صارم. حيث أخبرته بأنَّ عليه أن يدفع ضعف الإيجار؛ لأنَّ ساباث أصبحت

---

(١) (هاربي): هو مخلوق أسطوري من الأساطير اليونانية والرمانية القديمة، له جسم طائر، ورأس امرأة، ويستخدم تشبيهه في الأدب للدلالة علىٰ المرأة الكريهة والمزعجة.

Twitter: @ketab_n

تعيش معه الآن. قالت له بأنَّ هناك بعض الأشياء التي تمانعها، وبعض الأشياء التي لم تكن تمانع. تركته كي يستنتج ما قصدته من كلامها. لم يقل لها شيئًا، قام فقط بعدِّ ثلاثة دولارات إضافية وناولها المال. قالت له: «تلك الفتاة يا سيد موتس تسعىٰ فقط خلف مالك».

«إن كان هذا ما تريده فلها ذلك. أنا مستعدٌّ أن أدفع لها كي تبقىٰ بعيدة».

فكرة أنَّ الضرائب التي تدفعها ستذهب لتعيل مثل تلك القمامة كانت أكثر ممَّا تقدر أن تتحمل.

قالت بسرعة: «لا تفعل ذلك! ليس لديها الحق في ذلك».

في اليوم التالي اتصلت بمؤسسة الشؤون الاجتماعية، وقامت بالترتيبات اللازمة لترسل الفتاة إلىٰ مركز القُصَّر، لقد كانت ضمن السنِّ القانوني.

كانت مهتمة أن تعرف المبلغ الذي كان يتحصَّل عليه من الحكومة، وبما أنَّ بصره قد ذهب، فقد شعرت بأنَّها يجب أن تعرف. قامت بفتح الرسالة بمجرد وصولها إلىٰ صندوق البريد في المرة التالية باستخدام البخار، حتىٰ لا يعلم أنَّه تم فتحها مسبقًا. وبعد عدة أيام شعرت بأنَّه عليها أن تزيد في الأجرة. لقد قامت بعمل ترتيبات معه كي تُقدِّم له وجبات الطعام، وبما أنَّ سعر لوازم الطبخ قد ارتفع، فكان عليها أن ترفع السعر أيضًا، ولكنَّها لم تتخلص من إحساس أنَّه كان يغشها. لماذا قام بتدمير بصره، وأنقذ

Twitter: @ketab_n

نفسه إلَّا إذا لم يكن لديه خطة ما، إلَّا إذا كان يريد شيئًا لا يستطيع الحصول عليه إن لم يكن أعمىٰ؟ كانت تنوي أن تعرف كل ما تقدر عنه.

سألته في ظهيرة أحد الأيام، وهي تجلس معه علىٰ الشرفة

قائلة: «من أي مدينة أنت، ومن أي مدينة كان والداك يا سيد موتس؟ والداك ما زالا علىٰ قيد الحياة؟!».

كانت تقدر أن تتخيَّل الإجابة التي تريد، فلم يقم بأي حركة تدلُّ علىٰ أنَّه يريد إجابتها.

قالت: «والداي ليسا علىٰ قيد الحياة أيضًا، والدا السيد فلود مازالا علىٰ قيد الحياة ما عداه هو، كانت هي تدعىٰ السيدة فلود، هم يأتون إلىٰ هنا كي يتسوَّلُوا فقط، ولكن السيد فلود كان يملك المال. لقد مات في حادث طائرة».

قال بعد فترة: «كل أهلي فارقوا الحياة».

قالت: «السيد فلود، مات بحادث طائرة».

بدأت تستمتع بالجلوس علىٰ الشرفة معه، ولكنَّها لم تكن تعلم دائمًا إن كان هو يعلم بوجودها أم لا. حتىٰ عندما كان يجيب عليها، لم تكن تدري إن كان يعلم أنَّها كانت هي من تتحدث معه. كانا يجلسان معًا، هو كان يجلس، وهي كانت تجلس وتهز الكرسي، طوال منتصف فترة الظهيرة دون أن يظهر عليهما أنَّهما تبادلا كلمتين فيما بينهما، مع أنَّها كانت تتحدث مطوَّلًا. إن لم

Twitter: @ketab_n

تتابع كلامها وتبقي بالها مشغولًا؛ فإنَّها كانت ستجد نفسها تجلس علىٰ الكرسي، وهي تنظر إليه وفمها مفتوح. ولو رآها أي شخص من الرصيف؛ لَاعْتقد أنَّها كانت تتودد إلىٰ جثة هامدة.

قامت بمراقبة عاداته عن كثب. لم يكن يأكل كثيرًا، أو يهتم بما تُقدِّمه له من طعام. لو كانت هي الكفيفة؛ لكانت جلست تأكل الحلوىٰ والمثلجات بجانب المذياع طول اليوم، وهي تنقع رجليها في الماء لتسترخي. كان يأكل أي شيء ولم يكن يعرف الفرق. كان يزداد نحالة وكان صوت سعاله يزداد عمقًا، وأصبح يعرج. في غضون الأشهر الأولىٰ من الشتاء، أصابه الفيروس، ولكنَّه كان مع ذلك يتمشىٰ في الخارج كل يوم. كان يمشي حوال نصف اليوم. وكان يستيقظ كل يوم ويتمشىٰ في غرفته. كانت تستطيع سماعه من غرفتها في الطابق السفلي، وهو يمشي ذهابًا وإيابًا، ذهابًا وإيابًا، ثم كان يخرج ويمشي في الخارج قبل الإفطار، وبعد الإفطار كان يخرج ويمشي حتىٰ منتصف اليوم. كان يعرف الأربع أو الخمس حارات المحيطة بالبيت، ولم يكن يذهب أبعد منها. كانت ترىٰ أنَّه كان يستطيع البقاء في غرفته، في مكان واحد، وهو يحرك قدميه للأعلىٰ وللأسفل. كان من الممكن أن يموت ويأخذ كل ما اكتسبه في هذه الحياة معه إلَّا تلك التمارين. من الممكن حتىٰ أن يكون أحد أولئك الرهبان. هي كانت تعتقد أنَّه ينتمي إلىٰ إحدىٰ جماعات الرهبنة. لم تكن تفهم ذلك. لم تكن تحب فكرة أن يوضع شيء

Twitter: @ketab_n

علىٰ رأسها. كانت تحب ضوء النهار الصافي. كانت تحب أن ترىٰ الأشياء.

لم تكن متأكدة بشأن ما يجول أو ما لا يجول في ذهنه. كانت تفكر أن عقلها هو صندوق ذو مفتاح تستطيع التحكم بنفسها من خلاله. ولكن في حالته، كانت فقط تستطيع أن تتخيل أنَّ الأمر معكوس تمامًا، كأن العالم الأسود بمجمله كان في رأسه، وأنَّ رأسه أكبر من العالم، كأنَّ رأسه كان كبيرًا ليتسع للسماء والكواكب، وكل ما كان وهو كائن وما سيكون.

كيف كان يعلم إن كان الوقت يمشي للأمام أو للخلف، أو إن كان هو يمشي معه أم لا؟ كانت تتخيل الأمر كما لو كان المرء يمشي في نفق مظلم، وكل ما يمكن أن يراه هو مقدار نقطة من الضوء. لم تكن تستطيع تصور الأمر إلَّا هكذا. كانت ترىٰ الأمر كما لو كان نجمة، كالنجمة الموجودة علىٰ بطاقات أعياد الكريسماس. كانت تتصوره عائدًا إلىٰ بيت لحم وضحكت عندها.

كانت تعتقد أنَّ من المفيد له إن كان يملك شيئًا ليفعله بيديه، شيئًا ليخرجه من عزلته في نفسه ويربطه بالعالم الحقيقي مجددًا. كانت علىٰ يقين أنَّه ليس علىٰ صلة به أبدًا. لم تكن متأكدة في بعض الأحيان إن كان يعلم أنَّها موجودة. اقترحت أن يشتري غيتارًا، ويتعلَّم أن يعزف عليه. كان في مخيلتها صورة لهم هما الاثنين وهما يجلسان في المساء علىٰ الشرفة وهو يعزف. اشترت نبتتين صناعيتين حتىٰ تجعل مكان جلوسهما أكثر عزلة وخصوصية

Twitter: @ketab_n

عن الشارع، وكانت تعتقد أن صوت عزفه من خلف النباتات الصناعية سيغير من مظهره الشبيه بالموتىٰ. اقترحت ذلك عليه، ولكنَّه لم يجبها.

بعد أن كان يدفع أجرة غرفته وطعامه كل شهر، كان يبقىٰ لديه جزء لا بأس به من المبلغ المرسل له من الحكومة، ولكنَّها كانت ترىٰ أنَّه لم يكن يصرف ذلك المال أبدًا. لم يكن يدخن التبغ أو يشرب الويسكي. لم يكن لديه ما يفعله بذلك المال سوىٰ أن يخسره، بما أنَّه كان وحيدًا. كانت تفكر بالفائدة التي ستعم علىٰ أرملته إن ترك واحدة بعد مماته. كانت ترىٰ المال يقع من جيبه ولا يبالي كي ينحني ويتحسس مكانه. في أحد الأيام عندما كانت تنظف غرفته، وجدت أربعة دولارات وبعض الفكة في سلة المهملات. وبعد أن عاد بعدها من إحدىٰ جولاته، **قالت**: «سيد موتس، يوجد دولار وبعض الفكة في سلة المهملات. أنت تعلم مكان سلة المهملات. كيف حصل هذا؟!».

قال: «كان زائدًا عن حاجتي. لم أكن بحاجة إليه».

سقطت علىٰ الكرسي وسألت قائلة بعد فترة: «هل ترمي المال كل شهر؟».

قال: «فقط عندما يكون زائدًا عن حاجتي».

تمتمت قائلة: «الفقراء والمحتاجون، الفقراء والمحتاجون، ألا تفكر بهم؟ إن لم تكن تريد هذا المال فأحدٌ غيرك قد يحتاجه!».

Twitter: @ketab_n

فقال لها: «بإمكانك أخذه».

قالت بهدوء: «سيد موتس، أنا لست فقيرة بعد!».

لاحظتِ الآنَ أنَّها أمام رجل مجنون، وأنَّ من الواجب أن يسيطر عليه شخص عاقل.

كانت صاحبة البيت قد تجاوزت منتصف عمرها، ولكن كان عندها قدمان تشبها قدمي حصان السباق، وأنف أخبرها أحد القاطنين بأنَّه إغريقي الشكل. كان شعرها علىٰ شكل عناقيد متدلية علىٰ حاجبيها وخلف أذنيها. ولكن لا شيء من هذه المواصفات كانت مفيدة في جذب انتباهه. كانت ترىٰ أنَّ السبيل الوحيد هو أن تهتم بما كان يهتم به هو.

في ظهيرة أحد الأيام وهم علىٰ الشرفة قالت: «سيد موتس، لِمَ لَمْ تعد تبشِّر؟ العمىٰ ليس عائقًا. الناس يحبون أن يروا مبشرًا أعمىٰ. سيكون هذا شيئًا جديدًا!».

كانت معتادة أن تستمر في الكلام دون الحصول علىٰ إجابة!

«يمكن أن تمتلك كلبًا من الكلاب المدربة لمساعدة العميان، ستحصلان علىٰ جمهور جيد أنت وهو. الناس -دائمًا- ما يأتون لرؤية الكلاب».

أكملت قائلة: «بالنسبة إلي، أنا لا أملك تلك المسحة الدينية. أنا أؤمن أنَّ ما هو صواب اليوم سيكون خطأ في الغد، وأن الوقت الحالي هو موجود كي تتمتع بحياتك، هذا إذا ما سمحت للآخرين

Twitter: @ketab_n

بأن يستمتعوا بحياتهم أيضًا. أنا أملك طيبة تعادل طيبة الكثيرين ممَّن يؤمنون بيسوع يا سيد موتس».

قال هايز ومال للأمام فجأة: «أنت أفضل، لو كنت تؤمنين بيسوع لَمَا كنت بنفس هذه الطيبة».

لم يمدحها من قبل أبدًا!

قالت: «سيد موتس، أنا أتوقع أنَّك مبشر رائع! عليك أن تبدأ بالتبشير مجددًا. سيعطيك هذا شيئًا لتفعله. في الوضع الحالي، ليس لديك ما تفعله إلَّا المشي. لماذا لا تبدأ بالتبشير مجددًا؟!».

تمتم قائلًا: «لا أستطيع أن أبشر بعد الآن!».

«لماذا؟».

فأجابها: «لا أملك الوقت الكافي».

ثم نهض ومشىٰ كما لو كانت قد ذكَّرته بعملٍ مهم. كان يمشي كما لو كانت قدماه تؤلمانه، وكان يبدو أنَّ عليه أن يكمل المسير.

بعد مرور بعض الوقت اكتشفت لماذا كان يعرج. كانت تنظف غرفته وقامت بالصدفة بركل حذائه الإضافي. ثم قامت برفعه والنظر فيه معتقدة أنَّها ستجد شيئًا مخبأً فيه. كان باطن الحذاء مملوءًا بالحصىٰ والزجاج المكسَّر وبقطع صغيرة من الحجارة. فقامت بإفراغ ما في الداخل والتفتيش عن لمعة تدلُّ علىٰ شيء ثمين، ولكنَّها رأت أنَّ ما في يدها هي قمامة بإمكان أي شخص أن

Twitter: @ketab_n

يجمعها من الزقاق. وقفت لبعض الوقت، وهي تحمل حذاءه، ثم وضعته في النهاية تحت الفراش. بعد بضعة أيام، قامت بتفحص الحذاء مرة أخرىٰ ورأت أنَّ فيه حجارة جديدة. لصالح من يفعل هذا؟ سألت نفسها. ما الذي يحصل عليه من هذا الفعل؟ كل فترة كان يأتيها إيحاء أن شيئًا ما كان مخبَّأ بجانبها، ولكنَّه كان بعيدًا عن متناولها. في ذلك اليوم عندما كان في المطبخ يتناول العشاء، قالت: «سيد موتس، لماذا تمشي علىٰ الحصىٰ؟».

قال بصوت قاسٍ: «كي أدفع الثمن».

«تدفع ثمن ماذا؟».

قال: «ليس مهمًّا ماذا، أنا أدفع الثمن».

قالت بإلحاحٍ: «ولكن ماذا تملك أنت حتىٰ تدفع ثمنه؟».

فأجاب بجفاء: «اهتمي بشؤونك، أنت لا تستطيعين رؤية ما أرىٰ».

كانت صاحبة البيت تمضغ طعامها ببطء.

قالت بصوت أجش: «هل تظن يا سيد موتس، أن الإنسان يكون أعمىٰ بعد الموت؟».

بعد دقيقة قال: «أتمنىٰ ذلك».

سألت وهي تحدق فيه قائلة: «لماذا؟».

قال بعد برهة: «إن لم يكن لعينك قعر؛ إذًا فسعتها ستكون كبيرة».

Twitter: @ketab_n

حدقت صاحبة البيت لفترة طويلة، ولكنَّها لم تكن ترىٰ شيئًا.

بدأت بتسليط اهتمامها كله عليه، حتىٰ إنَّها بدأت تهمل بعض الأمور الأخرىٰ. بدأت تتبعه في جولاته، وتلتقيه بالصدفة وترافقه فيها. لم يكن يبدو أنَّه يعلم بوجودها، إلَّا في بعض الأحيان عندما كان يصفع وجهه كما لو كان صوتها يضايقه، مثل تأثير صوت البعوضة. كان صوت سعاله له أزيز وكان عميقًا وبدأت تلح عليه بشكل متواصل كي يهتم بصحته.

كانت تقول: «لا يوجد أحد ليهتم بك سواي يا سيد موتس. لا أحد يهتم لأمرك حقيقة إلَّا أنا. ولن يهتم أحد إن لم أفعل أنا». بدأت بصنع أطباق شهية له وبدأت تأخذها لغرفته. كان يأكل ما تقدمه له علىٰ الفور، بوجه ساخر، ثم يرجع الطبق إليها من دون أن يشكرها، كما لو كان كل تفكيره، موجها نحو مكان آخر وأن هذا الأمر هو مقاطعة عليه أن يتحمَّلها. في صبيحة أحد الأيام قال لها فجأة إنَّه سيحصل علىٰ طعامه من مكان آخر، وسمَّىٰ لها المكان، كان مطعمًا صغيرًا بعد الزاوية كان يديره أحد الأجانب.

قالت: «وستندم علىٰ ذلك اليوم الذي قررت فيه ذلك! ستصاب بعدوىٰ، لا يوجد عاقل يذهب لذلك المكان المظلم المقرف. أنت الذي لا يستطيع أن يرىٰ يا سيد موتس كأنَّ عليك حجابًا».

تمتمت عندما رحل قائلة: «مغفل مجنون، انتظر حتىٰ يأتي

Twitter: @ketab_n

الشتاء. أين ستأكل عندما يأتي الشتاء، عندما تنفخ الرياح الفيروس فيك؟».

لم يكن عليها أن تنتظر طويلًا. أصيب بالإنفلونزا قبل الشتاء وكان لفترة ضعيفًا جدًّا، ولا يقدر أن يمشي للخارج، وأشبعت رغبتها بأن كانت تحضر له وجباته إلىٰ غرفته. جاءت في أحد الأيام مبكرة ووجدته نائمًا، كان يتنفس بشكل ثقيل. وكان القميص القديم الذي يلبسه للنوم مفتوحًا في المنتصف، وكان يظهر منه ثلاثة أسنان لسلك شائك ملفوف حول صدره. تراجعت نحو الباب ثم أوقعت الصينية. ثم قالت بصوت غليظ: «سيد موتس، ماذا تفعل بهذا الشيء؟ إنّ ذلك غير طبيعي».

نهض من مكانه.

كررت قائلة: «ماذا يفعل ذلك السلك حولك؟ هذا غير طبيعي».

قام بعد برهة بإغلاق قميصه وقال: «إنَّه طبيعي. حسنًا، إنَّه ليس اعتياديًّا. إنَّه مثل تلك القصص الدموية، إنَّه شيء توقف الناس عن فعله - مثل الغلي بالزيت أو أن يصبح المرء قسيسًا أو تعذيب القطط».

قالت: «هذا ليس سببًا لتفعل ذلك. توقف الناس عن فعل ذلك».

فقال: «لم يتوقفوا عن فعله ما دمت أنا أفعله».

Twitter: @ketab_n

كررت قائلة: «توقف الناس عن فعل ذلك. لماذا أنت تفعله؟».

قال: «أنا لست نظيفًا».

وقفت تنظر إليه، غير مبالية بالأطباق المكسرة عن قدميها.

بعد دقيقة قالت: «كنت أعلم ذلك، هناك دم علىٰ ذلك القميص وعلىٰ ذلك الفراش. يجب أن نحضر لك منظفة . . .».

فقال: «ليس ذلك النوع من النظافة».

تمتمت قائلة: «إنَّه النوع الوحيد يا سيد موتس».

ثم نظرت للأسفل إلىٰ الأطباق التي جعلها تكسرها وإلىٰ الفوضىٰ التي عليها أن تنظفها. ذهبت إلىٰ الخزانة الموجودة في الصالة وعادت بعد دقيقة ومعها مكنسة.

قالت بصوت ساخر عالٍ: «إنَّ خروج الدم أسهل من خروج العرق يا سيد موتس، لا بُدَّ أنَّك تؤمن بيسوع، أولَمَا كنت لتفعل تلك الأشياء الحمقاء. لا بُدَّ أنَّك كنت تكذب علي عندما أخبرتني عن كنيستك. لن أستغرب إن كنت عميلًا للبابا أو إن كانت لديك صلة بشيء من هذا القبيل».

قال وهو مستلقٍ، وكان يسعل: «أنا لست مريضًا لديك».

ذكرته قائلة: «لا يوجد أحد غيري كي يهتم بك».

كانت خطتها الأولىٰ أن تتزوجه ثم تدخله إلىٰ مصحة للمجانين، غير أنَّ خطتها تغيرت بالتدرج وأصبحت أن تتزوجه

Twitter: @ketab_n

وتحتفظ به. رؤية وجهه أصبحت عادة عندها. كانت تريد أن تخترق الظلام الموجود وراءه وأن ترىٰ بنفسها ماذا يوجد خلفه. كانت تشعر أنَّها انتظرت بما فيه الكفاية، وأنَّ عليها أن تحصل عليه الآن وهو ضعيف، أو أن لا تحصل عليه أبدًا. كان ضعيفًا جدًّا بسبب الإنفلونزا لدرجة أنَّه كان يترنح عندما يمشي. كان الشتاء قد بدأ وكانت الريح تعصف بالبيت من كل جانب، محدثة صوتًا كأنَّه صوت سكاكين تدور في الهواء.

في منتصف صبيحة أحد أبرد أيام السنة، قامت بإدخال رأسها من الباب فجأة وقالت: «لا أحد يملك عقلًا سليمًا يريد أن يكون في الخارج في يوم كهذا. هل تسمع صوت الريح يا سيد موتس؟ من حسن حظك أنك تملك هذا المكان الدافئ لتبقىٰ فيه وأحدًا ليهتم بك». جعلت صوتها أكثر نعومة من العادة.

ثم قالت: «ليس كل شخص أعمىٰ ومريض محظوظ هكذا، بأن يحظىٰ بشخص يهتم به».

دخلت الغرفة وجلست علىٰ الكرسي الموجود بقرب الباب. جلست علىٰ حافته، وهي تميل للأمام مباعدة بين قدميها ومسندة يديها علىٰ ركبتيها.

قالت بعد ذلك: «دعني أخبرك يا سيد موتس، القليل من الناس يملكون نفس الحظ الذي تملك، ولكنَّني لا أستطيع أن أستمر في صعود هذه السلالم. إنَّها تنهكني. كنت أفكر بما نستطيع فعله بخصوص ذلك».

Twitter: @ketab_n

كان مستلقيًا علىٰ الفراش، ولكنَّه نهض فجأة كما لو كان يستمع لها، كما لو كان قد أحسَّ بالخطر بسبب نبرة صوتها.

وقالت: «أنا أعلم أنَّك لا تريد أن تترك غرفتك هنا». ثم انتظرت أثر ذلك الكلام عليه. أدار وجهه باتجاهها، كانت تعلم أنَّها قد حصلت علىٰ انتباهه.

قالت: «أنا أعلم أنَّك تحب العيش هنا، وأنَّك لا تريد الرحيل، وأنَّك رجل مريض وتحتاج إلىٰ شخص كي يهتم بك، كما أنَّك أعمىٰ». أحست بأنفاسها وهي محبوسة وبقلبها يرتعش. مدَّ يده باتجاه قدم الفراش، وبدأ يتحسس مكان ثيابه التي كانت مكوَّمة هناك. ثم أخذ يلبس ثيابه بسرعة فوق قميصه الليلي.

أكملت قائلة: «لقد كنت أفكر في كيفية ترتيب الأمور بحيث تحصل أنت علىٰ بيت وعلىٰ شخص يهتم بك، ولا يكون علي صعود تلك السلالم، لماذا ترتدي ثيابك اليوم يا سيد موتس؟ أنت لا تريد الخروج في هذا الطقس».

ثم أكملت كلامها وهي تراقبه فيما كان يفعل قائلة: «أنا كنت أفكر بذلك، وأنا أرىٰ أنَّ الشيء الوحيد الذي نستطيع فعله أنا وأنت هو أن نتزوج. أنا لم أكن لأقبل بهذا في الظروف العادية، ولكنَّني مستعدة لفعل ذلك من أجل رجل مريض أعمىٰ. إذا لم نساعد بعضنا البعض يا سيد موتس، فلن يساعدنا أحد، لا أحد. العالم مكان خالٍ».

السترة التي كانت زرقاء لامعة عندما تم شراؤها أصبح لونها

Twitter: @ketab_n

أخف الآن. أصبح لون القبعة أبيضَ يميل للون القمح. كان يضعها علىٰ الأرض بجانب حذائه عندما لا يكون لابسا إياها. ثم مدَّ يده باتجاهها ووضعها علىٰ رأسه، ثم بدأ بلبس حذائه المحشو بالصخور.

قالت: «لا يجوز أن يبقىٰ شخص دون مأوىٰ، أنا علىٰ استعداد أن أعطيك بيتًا هنا معي، مكان تستطيع البقاء فيه -دائمًا- يا سيد موتس، وأن لا تقلق حيال هذا الأمر بعد الآن».

كانت عصاه علىٰ الأرض بجانب مكان حذائه. تحسس مكانها ثم أمسك بها ووقف وبدأ بالمشي ببطء نحوها. **ثم قالت له**: «لدي مكان لك في قلبي يا سيد موتس». قالت ذلك وأحست بقلبها يهتزُّ مثل قفص الطيور. لم تكن تعلم إن كان قادمًا نحوها ليعانقها أم لا. مرَّ بجانبها ووجهه خال من التعابير، ثم خرج عبر الباب إلىٰ الصالة.

استدارت بحدة وقالت: «سيد موتس! أنا لا أستطيع السماح لك أن تبقىٰ هنا تحت أي ظروف أخرىٰ. أنا لا أستطيع صعود هذه السلالم. أنا لا أريد شيئًا سوىٰ أن أساعدك. أنت لا تملك أحدًا ليهتم بك إلَّا أنا. لا أحد يبالي إن مت أو عشت إلَّا أنا! لا مكان يؤويك إلَّا بيتي!».

كان يتحسس مكان الدرجة الأولىٰ من السلم بعصاه.

ثم سألت بصوت أكثر ارتفاعًا قائلة: «أم أنَّك تخطط أن تعثر علىٰ غرفة أخرىٰ في بيت آخر؟ ربما تخطط أن تذهب لمدينة أخرىٰ!».

Twitter: @ketab_n

فقال لها: «هذا ليس المكان الذي أنا ذاهب إليه، لا يوجد بيت آخر ولا مدينة أخرىٰ».

«لا يوجد شيء يا سيد موتس، الوقت يسير للأمام ولا يسير للخلف وإذا لم تقبل بما عُرض عليك، ستجد نفسك في الظلام البارد الشديد السواد وكم المسافة التي تظنُّ أنَّك ستقطعها فيه؟!».

كان يتحسس كل درجة بعصاه قبل أن يضع قدمه عليها. عندما وصل للقاع، نادته من فوق قائلة: «لا حاجة لك أن تعود لمكان لا تقدِّره يا سيد موتس. الباب لن يفتح لك. تستطيع أن تعود كي تأخذ أغراضك ثم ترحل إلىٰ المكان الذي تظن نفسك ذاهبًا إليه».

وقفت علىٰ أعلىٰ الدرج لفترة طويلة.

ثم تمتمت قائلة: «سيعود. لندع الريح تجرحه قليلًا».

في تلك الليلة هطل مطر ثلجي غزير. وكانت السيدة فلود مستلقية في فراشها، كانت مستيقظة في منتصف الليل. ثم بدأت بالبكاء. كانت تريد أن تركض للخارج في المطر والبرد وتبحث عنه وتجده مستترًا من المطر في مكان ما وتحضره للبيت وتقول له، سيد موتس، سيد موتس، تستطيع البقاء هنا للأبد، أو نستطيع الذهاب سويًا للمكان الذي أنت ذاهب إليه، سنذهب سويًا. كانت قد عانت من حياة صعبة. خالية من العذاب أو المتعة، وكانت تعتقد أنَّها الآن بعد أن وصلت لآخر جزء منها أنَّها كانت تستحق صديقًا. إن كانت ستصبح عمياء بعد أن تموت، فمن يوجد كي يقود الأعمىٰ أفضل من الأعمىٰ الضليع بالأمر؟

Twitter: @ketab_n

بمجرد أن طلع الضوء، خرجت في المطر وبحثت عنه في الخمس، أو الست حارات التي كان يعرفها، وذهبت من باب إلىٰ باب، تسأل عنه، ولكن لم يره أحد. فعادت للبيت واتصلت بالشرطة، ووصفته لهم، وطلبت أن يمسكوا به وأن يرجعوه إليها كي يدفع لها الأجرة. انتظرت طول اليوم، كي يحضروه في سيارة الشرطة، أو أن يرجع لأجل أغراضه، ولكنَّه لم يأتِ. استمر المطر بالهطول واستمرت الريح بالهبوب، وظنَّت أنه قد غرق في أحد الأزقة. كانت تمشي بسرعة في غرفتها ذهابًا وإيابًا. ثم أصبحت تمشي أسرع فأسرع، وهي تفكر في عينيه التي لا قعر لهما وبالعمىٰ الذي يصيب المرء بعد موته.

بعد يومين، عثر عليه شرطيان يتجولان بسيارتهما وهو مستلقٍ في خندق مجارٍ بجانب موقع بناء مهجور. قاد السائق السيارة إلىٰ طرف الخندق، ونظر إليه لبعض الوقت، **وسأل قائلًا**: «ألسنا نبحث عن رجل أعمىٰ؟!».

قام الآخر بتفحص القائمة لديه، وقال: «رجل أعمىٰ يلبس سترة زرقاء، ولم يدفع إيجاره».

قال الأول: «أعتقد أن هذا هو».

وأشار إلىٰ الخندق. اقترب الثاني من الزجاج الأمامي ونظر إليه.

قال: «سترته ليست زرقاء».

قال الأول: «بلىٰ إنَّها زرقاء، توقف عن دفعي هكذا. اخرج

Twitter: @ketab_n

خارج السيارة وسأريك أنَّها زرقاء».

خرجا من السيارة ومشيا من حولها وجلسا القرفصاء علىٰ طرف الخندق. كانا يلبسان أحذية جديدة طويلة ولباس شرطة رسمي. كان شعرهما أشقرَ وكانا يملكان سوالف شعر طويلة، وكانا بدينين، ولكن أحدهما كان أكثر بدانة من الآخر.

اعترف الأكثر بدانة قائلًا: «ربما كانت زرقاء في السابق».

سأل الأول قائلًا: «أتظنُّ أنَّه ميت؟!».

قال الآخر: «اسأله هو!».

«لا ليس ميتًا إنه يتحرك».

قال الأكثر بدانة: «ربما يكون فاقد الوعي».

ثم أخرج هراوته الجديدة.

مكثا يراقبانه لبضع ثوانٍ. كانت يده تتحرك علىٰ طول الخندق، كما لو كان يبحث عن شيء ليمسك به. سألهم بصوت خافت عن مكان وجوده، وما إن كان الوقت صباحًا أم مساء.

قال الأنحف منهما: «إنَّه الصباح. علينا أن نرجعك معنا كي تدفع الأجرة».

قال الرجل الأعمىٰ: «أريد الذهاب إلىٰ وجهتي».

قال الشرطي: «عليك أن تدفع الأجرة أولًا، كاملة!».

قام الآخر، وهو مدرك أن هايز ما زال واعيًا، بضربه علىٰ رأسه بالهراوة الجديدة.

Twitter: @ketab_n

قال: «لا نريد أي مشاكل منه، أمسك بقدميه».

مات هايز في سيارة الشرطة، ولكنَّهم لم ينتبهوا لذلك وأخذوه إلىٰ صاحبة البيت. فجعلتهم يضعوه علىٰ فراشها وعندما أخرجتهم من البيت، أوصدت الباب وراءهم وسحبت كرسيًّا وجلست بجانب وجهه حيث كانت تستطيع التحدث إليه. وقالت: «حسنًا يا سيد موتس، أرىٰ أنك قد عدت للبيت!».

كان وجهه عابسًا وساكنًا.

قالت: «كنت أعلم أنَّك ستعود، وكنت بانتظارك. وليس عليك أن تدفع الأجرة بعد الآن. تستطيع العيش مجانًا هنا، بالطريقة التي تحلو لك، في الطابق العلوي أو السفلي. بالطريقة التي تريد وسأقوم أنا بخدمتك، وإن كنت تريد الذهاب لمكان آخر، فسنذهب سويًا».

لم تكن قد رأت وجهه بهذا الهدوء من قبل وأمسكت بيده ووضعتها علىٰ قلبها. كانت يده جافة، ولا يوجد فيها مقاومة. كانت تفاصيل جمجمته بارزة من تحت جلده، وكان يبدو أن تجاويف عينيه العميقتين تقود إلىٰ نفق مظلم حيث اختفىٰ هناك. اقتربت من وجهه شيئًا فشيئًا، وهي تنظر بعمق إليهما، محاولة أن تعرف كيف خدعها، أو ما هو الشيء الذي خدعها، ولكنَّها لم تستطع رؤية أي شيء. أغلقت عينيها ورأت النقطة المضيئة، ولكنَّها كانت بعيدة لدرجة أنَّها لم تستطع التركيز والمحافظة عليها في عقلها. شعرت كما لو كانت قد منعت من الدخول أو ما يشابه

Twitter: @ketab_n

ذلك. جلست تحدق وعيناها مغلقتان، نحو عينيه، وشعرت أنَّها أخيرًا وصلت لبداية شيء لم تكن تستطيع البدء فيه، وكانت تراه يبتعد عنها شيئًا فشيئًا، شيئًا فشيئًا في الظلام حتىٰ أصبح هو تلك النقطة المضيئة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

عالم الأدب
للترجمة والنشر

الدم الحكيم

«مال نحوها وهو يحدق بها: أنا أؤمن بيسوع جديد، يسوع لا يستطيع إهدار دمه ليتوب على الناس؛ لأنه مجرد إنسان لا ألوهية له. كنيستي هي كنيسة اللايسوع!».

فلانيري أوكونور كاتبة أمريكية وصوت مهم في الأدب الأمريكي، أكثر ما كتبته كان بالأسلوب القوطي الجنوبي، وتعتمد كثيرًا على وضع أحداث قصصها في إطار تلك المنطقة، كذلك تعكس كتابتها إيمانها المسيحي الكاثوليكي.

تعد هذه الرواية واحدة من أعظم (١٠٠) رواية عالمية، حيث تناقش الرواية مواضيع مهمة منها الحرية، وحرية الإرادة، الحياة والموت، وحتمية الإيمان. كذلك ناقشت مواضيع ثانوية نثرتها هنا وهناك خلال القصة كالتمييز العنصري والجنسي والعزلة.

كتبت جانيت دايفي في صحيفة الإندبندنت عن أسلوب أوكونور: «أوكونور تتعلق بشخصياتها بشكل كبير، ولا تتخلى عنهم حتى النهاية. استخدمت المنهج الواقعي في طرحها، مزجته بكوميديا سوداء. حقًا لقد أيقظت مخيلتي».

الثمن: ١١ دولارًا
أو ما يعادلها

ISBN 978-977-85194-0-2
9 789778 519402

info@aalamaladab.com